

(١٣٣٢)

الفوقية

مسائل وردود

من مصنفات العقيدة والتفاسير

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"ص -١٣٦- وقال شيخ الإسلام :

فصل

في [سجود القرآن] وهو نوعان : خبر عن أهل السجود، ومدح لهم، أو أمر به، وذم على تركه .

فالأول سجدة الأعراف : ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] ، وهذا ذكره بعد الأمر باستماع القرآن والذكر .

وفي الرعد : ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد : ١٥] ، وفي النحل : ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمآئل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دآبة والملآئكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [النحل : ٤٨ ٥٠] ،." [1]

"ص -١٣- ﴿ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك : ١٧] ﴿ بل رفعه الله إليه﴾ [النساء : من الآية١٥٨] ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج : من الآية٤] ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة : من الآية٥] ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل : من الآية٥٠] ﴿ ثم استوى على العرش﴾ [لأعراف : من الآية٥٤] في ستة مواضع ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ [طه : ٥] ﴿ يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب﴾ [غافر : من الآية٣٦] ﴿ أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر : من الآية٣٧] ﴿ تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت : من الآية٤٢] ﴿ منزل من ربك بالحق﴾ [الأنعام : من الآية١١٤] إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة . وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة مثل قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه؛ وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار : فيخرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم . وفي الصحيح في حديث الخوارج : (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء) وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين

---

(١) مجموع الفتاوى /٨٥

أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء) وذكره . وقوله في." [1]

"ص -١٣٦- وسئل شيخ الإسلام ـ رحمه الله أيضا ـ عن علو الله على سائر مخلوقاته .

فأجاب :

أما علو الله ـ تعالى ـ على سائر مخلوقاته، وأنه كامل الأسماء الحسنى والصفات العلى، فالذي يدل عليه منها الكتاب : قوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر : ١٠] ، وقوله : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران : ٥٥] ، وقوله : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك : ١٦، ١٧] ، وقوله : ﴿ بل رفعه الله إليه﴾ [النساء : ١٥٨] ، وقوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج : ٤] ، وقوله : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة : ٥] ، وقوله : ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل : ٥٠] .

وقوله : ﴿ ثم استوى على العرش﴾ في ستة مواضع؛ وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ [طه : ٥] ، وقوله إخبارا عن فرعون : ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى﴾ [غافر : ٣٦، ٣٧] ، وقوله : ﴿ تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت : ٤٢] ، وقوله : ﴿ منزل من ربك بالحق﴾ [الأنعام : ١١٤] ، وأمثال ذلك .." [2]

"ص -١٩٢- وقال الإمام أبوعثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب [الرسالة في السنة] له : ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه، كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان سلف الأمة، لم يختلفوا أن الله ـ تعالى ـ على عرشه، وعرشه فوق سمواته .

قال : وإمامنا أبو عبد الله الشافعي احتج في كتابه [المبسوط] في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وإن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها، بخبر معاوية بن الحكم، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن إعتاقه إياها، فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا ! فقال لها : (أين ربك) ؟ فأشارت إلى السماء، فقال : (أعتقها فإنها مؤمنة) ، فحكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٧١

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٧٣

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : باب القول في الاستواء :

قال الله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ [طه : ٥] ، ﴿ ثم استوى على العرش﴾ [الفرقان : ٥٩] ، ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام : ١٨] ، ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾

[النحل : ٥٠] ، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر : ١٠] ، ﴿ أأمنتم من في السماء﴾

[الملك : ١٦] وأراد من فوق السماء؛ كما قال : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه : ٧١] بمعنى : على جذوع النخل . وقال : ﴿ فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة : ٢] أي : على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السموات . فمعنى الآية : أأمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات . قال :. " (١)

"ص -٣١١- وقال تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه﴾ [النساء : ١٥٨] ، وقال تعالى : ﴿ وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾ الآية [الأنبياء : ٩١] ، وقال تعالى : ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج : ٣، ٤] ، وقال تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وهو العلي العظيم﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

قال : فهذا خبر الله أنه في السماء . ووجدنا كل شيء في أسفل مذموما ، يقول جل ثناؤه : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء : ١٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ [فصلت : ٢٩] .

وقلنا لهم : أليس تعلمون أن إبليس مكانه مكان ، والشياطين مكانهم مكان ؟ فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد،ولكن معنى قوله عز وجل : ﴿ وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ [الأنعام : ٣] يقول : هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو الله على العرش وقد أحاط علمه بما دون

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٣/٧٤

العرش، لا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، وذلك قوله : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ [الطلاق : ١٢] .." [١]

"علموا انه ليس له شيء يقع عليه اسم الشيء الا وله حد وغاية وصفة وان لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة فالشيء ابدا موصوف لا محالة ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية وقولك لا حد له يعنى انه لا شيء

قال ابو سعيد والله تعالى له حد لا يعلمه احد غيره ولا يجوز لأحد ان يتوهم لحده غاية في نفسه ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك الى الله ولمكانه ايضا حد وهو على عرشه فوق سمواتة فهذان حدان اثنان

وسئل عبد الله بن المبارك بم نعرف ربنا قال بأنه على عرشه باءن من خلقه قيل بحد قال بحد حدثناه الحسن بن الصباح البزار عن علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك

فمن ارعى أنه ليس لله حد فقد رد القرالقرآن وادعى أنه لا شيء لإن الله وصف حد مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ سورة طه ٥ ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ سورة الملك ١٦ ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ سورة آل عمران ٥٥ ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم** ﴾ سورة النحل ٥٠ ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ سورة فاطر

." [٢]

"سورة الملك ١٦ ﴿ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ سورة الملك ١٧ وقال تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ سورة فاطر ١٠ وقال ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ سورة آل عمران ٥٥ وقال ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ سورة النساء ١٥٨ وقال ﴿ وله من في السماوات والأرض ومن عنده ﴾ سورة الأنبياء ١٩ وقال ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم** ﴾ سورة النحل ٥٠ وقال ﴿ ذي المعارج ﴾ سورة المعارج ٣ وقال ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ سورة الأنعام ١٨ وقال ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ سورة البقرة ٢٥٥

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٦/٧٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥٧/٢

فهذا خبر الله أنه في السماء ووجدنا كل شيء أسفل مذموما بقول الله عز وجل ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ سورة النساء ١٤٥ ﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ سورة فصلت ٢٩

". (١)

"الوهاب الوراق من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث إن الله فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة

قال الأشعري ومما يؤكد أن الله مستو على عرشه دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث النزول كقوله ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأستجيب له حتى يطلع الفجر

قال الأشعري دليل آخر قال الله تعالى ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم** ﴾ سورة النحل ٥٠ وقال تعالى ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ سورة المعارج ٤ وقال ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ سورة فصلت ١١ وقال ﴿ ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ﴾ سورة الفرقان ٥٩ وقال ﴿ ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ سورة السجدة ٤ فكان ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه والسماء

". (٢)

"بصره إليه ومعلوم أنه لو كانت الجهات بالنسبة إلى الله سواء لم نؤمر بهذا

الوجه الرابع أن السجود من باب العبادة والخضوع للمسجود له كالركوع والطواف بالبيت وأما السؤال والدعاء ففيه قصد المسئول المدعو وتوجيه القلب نحوه لا سيما عند الضرورة فإن السائل الداعي يقصد بقلبه جهة المدعو المسئول بحسب ضرورته واحتياجه إليه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٣٩/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٠٤/٦

وإذا كان كذلك كان رفع رأسه وطرفه ويديه إلى جهة متضمن لقصده إياه في تلك الجهة بخلاف الساجد فإنه عابد ذليل خاشع وذلك يقتضي الذل والخضوع ليس فيه ما يقتضي توجيه الوجه واليد نحوه لكن إن كان داعيا وجه قلبه إليه وهذا حجة من فرق بين رفع البصر في حال الصلاة وحال الدعاء

الوجه الخامس أن يقال قصد القلوب للمدعو في العلو أمر فطري عقلي اتفقت عليه الأمم من غير مواطأة وأما السجود فأمر شرعي يفعل طاعة للآمر كما تستقبل الكعبة حال العبادة طاعة للآمر

وحينئذ فالاحتجاج بما في فطر العباد من قصد من في العلو وهذا لا معارض له

قال واحتج الخصم أيضا بالآيات الواردة الموهمة للجهة كقوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ سورة طه ٥ وقوله ﴿ يخافون **ربهم من فوقهم** ﴾ سورة النحل ٥٠ وقوله ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ سورة الأنعام ٦٢

". (١)

" والنهار وهم لا يسأمون وقال تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال تعالى وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقال تعالى ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو وقال تعالى إن الله عنده علم الساعة

ولفظ مع من الظروف وقد أضيف اسم الله إليه فيما شاء الله من المواضع وإضافته إلى الظرف أبلغ من إضافة الظرف إليه قال تعالى يخافون **ربهم من فوقهم** وقال إليه يصعد الكلم الطيب وقال تعرج الملائكة والروح إليه

وحق لمن يكون هذا وأمثاله كلامه إذا أراد الله رحمته أن يتوب منه كما قال أبو المعالي عند الموت لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أنا أموت على عقيدة أمي وروي على عقيدة عجائز نيسابور ولهذا يقول مثل هؤلاء عليكم بدين العجائز فإن تلك العقيدة الفطرية التي للعجائز خير من هذه الأباطيل التي هي من شعب الكفر والنفاق وهم يجعلونها من باب التحقيق والتدقيق

فصل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥/٧

أبو عبدالله الرازي فيه تجهم قوي ولهذا يوحد ميله إلى الدهرية أكثر من ميله إلى السلفية الذين يقولون إنه فوق العرش وربما كان يوالي أولئك أكثر من هؤلاء ويعادي هؤلاء أكثر من أولئك مع اتفاق المسلمين على أن الدهرية كفار وأن المثبتة للعلو فيهم من خيار المسلمين من لا يحصيه إلا الله تعالى وقد صنف على مذهب الدهرية المشركين والصابئين كتبا حتى قد صنف في السحر ." (١)

" قال أبو سعيد والله تعالى له حد لا يعلمه غيره ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله تعالى ولمكانه أيضا حد وهو على عرشه فوق سمواته فهذان حدان اثنان قال وسئل ابن المبارك بما نعرف ربنا قال بأنه على العرش بائن من خلقه قيل بحد قال بحد حدثناه الحسن بن الصباح البزار عن علي بن الحسين بن شقيق عن ابن المبارك فمن ادعى أنه ليس لله حد فقد رد القرآن وادعى أنه لا شيء لأن الله تعالى وصف حد مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال الرحمن على العرش استوى أأمنتم من في السماء يخافون ربهم من فوقهم إني متوفيك ورافعك إلي إليه يصعد الكلم الطيب فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله تعالى وجحد آيات الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله فوق عرشه فوق سماوته وقال للأمة السوداء أين الله قالت في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة فقول رسول الله صلى الله عليه و سلم إنها مؤمنة إنها لو لم تؤمن بأن الله في السماء لم تكن مؤمنة وأنه لا يجوز في الرقبة المؤمنة إلا من يحد الله أنه في السماء كما قال الله ورسوله فحدثنا أحمد بن منيع البغدادي الأصم حدثنا أبو معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن الحصين أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأبيه يا حصين كم تعبد اليوم إلها قال سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء فلم ينكر النبي صلى الله عليه و سلم على الكافر إذ عرف أن إله العالمين في السماء كما قاله النبي صلى الله عليه و سلم فحصين في كفره يومئذ كان أعلم بالله الجليل الأجل من المريسي وأصحابه مع ما ينتحلون من الإسلام إذ ميز بين الإله الخالق الذي في السماء وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التي في الأرض وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحدوده بذلك إلا المريسي ." (٢)

" ولا صفة فالشيء ابدا موصوف لا محالة ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية وقولك لا حد له تعني أنه لا شيء

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٢٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٤٢٧

قال أبو سعيد والله تعالى له حد لا يعلمه غيره ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده عاية في نفسه ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله ولمكانه أيضا حد وهو على عرشه فوق سمواته فهذان حدان إثنان

قال وسئل إبن المبارك بم نعرف ربنا قال بأنه على عرشه بائن من خلقه قيل بحد قال بحد حدثناه الحسن بن الصباح البزار عن علي بن الحسن بن شقيق عن أبن المبارك قال فمن ادعى أن ليس لله حد فقد ردالقرآن وادعى أنه لا شيء لأن الله تعالى وصف حد مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال الرحمن على العرش استوى أأمنتم من في السماء يخافون **ربهم من فوقهم** إني متوفيك ورافعك إلي إليه يصعد الكلم الطيب فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله فوق عرشه فوق سمواته وقال للأمة السوداء أين الله قالت في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة فقول رسول الله صلىالله عليه وسلم إنها مؤمنة دليل على أنها لو لم تؤمن أن الله في السماء لم تكن مؤمنة وأنه لا يجوز في الرقبة المؤمنة إلا من شهد لله أنه في السماء كما قال الله ورسوله

ثم قال وحدثنا أحمد بن منيع البغدادي حدثنا أبو معاوية عن شبيب إبن شيبة عن الحسن عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأبيه يا حصين كم تعبد اليوم إلها قال سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال فأيهم تعده لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء فلم ينكر النبي صلىالله عليه وسلم ". (١)

" العرش استوى وقد قال عز و جل إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال سبحانه بل رفعه الله إليه وقال سبحانه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه وهذه الآيات التي استشهد بها الامام أحمد لقول ابن المبارك وكذلك هي التي احتج بها عثمان بن سعيد الدارمي وغيره على ذلك فهذا الرازي وموافقوه على النفي من المعتزلة ومتأخري الأشعرية يسلمون أن الاستدلال بهذه الآيات على أن الله فوق العرش يستلزم القول بدلالتها على أن الله متحيز في جهة وأن له حدا وقد تقدم تمام قول الأشعري

قال أيضا وقد قال تعالى يخافون **ربهم من فوقهم** وقال سبحانه تعرج الملائكة والروح إليه وقال سبحانه ثم استوى إلى السماء وقال ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا وقال ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع قال وكل هذا يدل على أنه في السماء مستو على عرشه قال

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١٥٨/٢

والسماء باجماع الناس ليست في الأرض فدل على أنه عز و جل منفرد بوحدانيته مستو على عرشه كما وصف نفسه قال وقال سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا وقال عز و جل هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وهاتان الآيتان هما اللتان احتج بهما أحمد على قول ابن المبارك في الرواية الأخرى

قال وقال سبحانه يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي وقال سبحانه وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه قال واجتمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء قال ومن دعاء المسلمين جميعا إذا هم رغبوا إلى الله في الأمر النازل بهم أنهم يقولون يا ساكن العرش أو يامن احتجب بالعرش أو بسبع ." (١)

" وقال ابو بكر البيهقي في كتاب الاعتقادر له في باب القول في الاستواء قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى ثم استوى على العرش وهو القاهر فوق عباده يخافون **ربهم من فوقهم** اليه يصعد الكلم الطيب أأمنتم من في السماء أراد فوق السماء كما قال ولأصلبنكم في جذوع النخل وقال فسيحوا في الأرض يعني على الأرض وكل ما علا فهو سماء والعرش على السموات فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات وقال فيما كتبنا من الآيات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية بأن الله بذاته في كل مكان وقوله وهو معكم أينما كنتم انما أراد بعلمه لا بذاته

وقال ابو عمر بن عبد البر لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من النقل صحيح الاسناد لا يختلف اهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه و سلم وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول اهل الحق قول الله تعال وذكر بعض الآيات الى أن قال وهذا اشهر واعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال ابو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الملقب شيخ الاسلام في كتاب الصفات له باب اثبات استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنا من خلقه من الكتاب والسنة فذكر رحمه الله دلالات ذلك من الكتاب والسنة الى أن قال ففي أخبار شتى أن الله تعالى فوق السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف يعملون وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/١٧٧

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٥٣٠

"قوله: ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ [٢٥/٦٤] وفي قوله: ﴿ أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ﴾ [٣٩/٩] وذكر السجود في قوله: ﴿ واسجد واقترب ﴾ [٩٦/١٩] وفي قوله: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ [٤٢-٤٣/٦٨] وقوله: ﴿ وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ﴾ [٤/١٥٤] وقوله: ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ [١٥/٩٨] وقوله: ﴿ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ [٤٠/٥٠] وقوله: ﴿ فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ﴾ [٤/١٠٢].

وآيات سجود التلاوة ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [٧/٢٠٦].

وقوله: ﴿ ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [٤٩، ١٦/٥٠]..." (١)

"

"وهذه حكاية مذاهب لهشام في أشياء من لطيف الكلام:

كان هشام يقول أن الجن مأمورون ومنهيون لأنه قال: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم وقال: فبأي آلاء ربكما تكذبان، وكان يقول في وسواس الشيطان أن الله سبحانه يقول: الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس قال: فعلمنا أنه يوسوس وليس يدخل أبدان الناس ولكن قد يجوز أن يكون الله سبحانه قد جعل الجو أداة للشيطان يصل بها إلى القلب من غير أن يدخل فيه، قال: ويعلم ما يحدث في القلب وليس ذلك بغيب لأن الله سبحانه قد جعل عليه دليلا، مثل ذلك أن يشير الرجل إلى الرجل أن أقبل أو أدبر فيعلم ما يريد فكذلك إذا فعل الإنسان فعلا يريد شيئا من البر عرف الشيطان ذلك بالدليل فينهى الإنسان عنه.

وقال هشام في الملائكة أنهم مأمورون منهيون لقول الله عز وجل: ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال: يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون.". (٢)

"﴿الرحمن على العرش استوى (٥)﴾ [طه: ٥] وأشباه ذلك، هذا معنى أنه لا يتعلق به تكليف، وإلا فالتكليف متعلق بكل موجود، من حيث يعتقد على ما هو عليه، أو يتصرف فيه إن صح تصرف العباد فيه،

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٦٨

(٢) مقالات الإسلاميين ت ريتر، أبو الحسن الأشعري ص/٦٢

إلى غير ذلك من وجوه النظر" (١).

وفي هذه العبارات يذكر المؤلف أن السلف لم يخوضوا في معنى هذه الصفة ونحوها من الصفات، بل ينهي عن النظر في معناها كما في النص الأخير.

وهذا الكلام للإمام الشاطبي في هذه الصفة موافق لقول بعض الأشاعرة الذين يفوضون معنى الاستواء إلى الله، ويدعون أنه غير معلوم، ظنا منهم أن ذلك مذهب السلف، ومنهم من ذهب إلى تأويل الاستواء بالاستيلاء (٢).

رابعا: مسألة علو الله تعالى:

قال الإمام الشاطبي متحدثا عما يلزم مفسر القرآن معرفته: "ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثم سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة، ولا بد من ذكر أمثلة تعين على فهم المراد، وإن كان مفهوما: قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦] وأشباه ذلك، إنما جرى على معتادهم في اتخاذ الآلهة في الأرض، وإن كانوا مقرين بإلهية الواحد الحق، فجاءت الآيات بتعيين الفوق وتخصيصه

---

(١) "الموافقات" للشاطبي (٣/ ٣٤٤).

(٢) انظر كلام الأشاعرة في هذه المسألة في: "أصول الدين" للبغدادي (ص ١١٢ - ١١٤)، "الملل والنحل" للشهرستاني (ص ٩٢)، "تفسير الفخر الرازي" (١٤/ ١٠٦، ١٢١).

وانظر في رد أهل السنة عليهم: "الفتاوى" (٤/ ٦٧ - ٦٨)، (٥/ ٣٤ - ٣٦)، "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية (١/ ١٤ - ١٦)، "مختصر الصواعق المرسلة" لابن القيم (١/ ٥٤ - ٥٥)، "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز (ص ٢٨٠ - ٢٨١).." [1]

"على أن صفة المهدية أعم من صفة النبوة، وفي هذا رد لما توهمه ابن محمود من أن صفة المهدية من خصائص النبوة، وأنه لا مهدي بعد رسول الله كما أنه لا نبي بعده.

وقال ابن محمود في صفحة (٢٩): "والمهدي متى قلنا بتصديق الأحاديث الواردة فيه، ليس بملك معصوم،

---

(١) الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني، الشاطبي، إبراهيم بن موسى مقدمة/٦٤

ولا نبي مرسل، ما هو إلا رجل عادي كأحد أفراد الناس، إلا أنه عادل، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وكل الأحاديث الواردة فيه ضعيفة، ويترجح بأنها موضوعة على لسان رسول الله، ولم يحدث بها".

والجواب عن هذا من وجوه؛ أحدها: أن يقال: قد كرر ابن محمود في عدة مواضع قوله إن المهدي ليس بملك مقرب ولا نبي مرسل، وقال في هذا الموضع ليس بملك معصوم، ولم أر أحدا سبقه إلى وصف الملائكة بهذه الصفة، وإن كانوا معصومين عن كبائر الذنوب وصغائرها، لقول الله –تعالى–: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، وقال –تعالى–: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، وقال –تعالى–: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾، وقال –تعالى–: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾. وإنما تقال هذه الصفة في حق الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم– كما هو معروف عند أهل العلم.

الوجه الثاني: أن يقال: قول ابن محمود إن المهدي ليس بملك مقرب ولا نبي مرسل وتكريره ذلك يعتبر كلاما لاغيا لا حاصل تحته؛ لأن المهدي الذي أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بخروجه لا يدعي أنه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يدعي الناس ذلك فيه، وإنما هو إمام من أئمة العدل الذين يعملون بالكتاب والسنة، ويزيلون الجور والظلم، ويبسطون القسط والعدل.

الوجه الثالث: أن يقال: لو أن رجلا ادعى أنه المهدي وزعم أنه ملك مقرب أو نبي مرسل، لكان الواجب تكذيبه وقتله إلا أن يتوب؛ لأنه لا يدعي ذلك إلا من هو كذاب دجال.

وأما قوله: ما هو إلا رجل عادي كأحد أفراد الناس، إلا أنه عادل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

فجوابه: أن يقال هذا هو الحق لو أن ابن محمود ثبت عليه.." (١)

"@٢٦٣ @قال الشيخ رحمه الله : إن الله تعالى لما خلق الأشياء وأوجدها وأخرجها من العدم إلى الوجود ، ظهر في كل شيء من ذلك علو وشموخ ورفعة لمعرفتها بأنها له ، وأنه اوجدها ، وأنها منسوبة إليه ، وجعل في كل شيء خاصية معنى فارتفعت به ، قالت الملائكة : ﴿نحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ . وتحاجت الجنة والنار فافتخر كل واحد منهما بما خصت به من نعيم اوليائه ، والانتقام من اعدائه ، وافتخرت الجبال على الأرض لما مادت الأرض فأرساها بالجبال.

| وقال ابن عباس : فإنها لتفتخر على الأرض إلى يوم القيامة ، وقال إبليس : ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف : ١٢] فكل شيء كان افتخاره بالله عز وجل نجا ، ومن افتخر بجواره ونظر إلى ذاته

---

(١) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، التويجري، حمود بن عبد الله ص/١٨٠

هلك كإبليس عليه اللعنة وحق لشيء عرف انه مقصود ربه ليس كمثله شيء أن يفتخر به ويعلو قدره ، وقد قصده الحق بالإيجاب ، وخاطبه بكن ، وخصه بمعنى ، فلولا أن الله وسم كل شيء بسمة من سمات العبودية وذل الخلقة وعجز البنية ، وما خص كل شيء مما خلق بشيء لشمخت بأنفها واستجبرت وتجبرت ، فسقطت عن عين الله وهلك ، كما استكبر ابليس فلعن ، فوسم الله عز وجل وهم من خشيته مشفقون.

| وقال تعالى : ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل : ٥٠] ووضع على بني آدم البلوى والاختبار ، فقال : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقال تعالى : ﴿ولنبلوكم بشي من الخوف والجوع﴾ البقرة : ١٥٥] وقال : ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا] [الملك : ٢]..." [1]

" استوى ٥ طه وقال خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ٣ يونس فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان ولا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان وتلوا آية من القرآن وهو الله في السموات وفي الأرض ٣ الأنعام فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء فقالوا أي مكان فقلنا أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظم الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء فقال أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ١٦ الملك أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ١٧ الملك وقال إليه يصعد الكلم الطيب ١٠ فاطر وقال إني متوفيك ورافعك إلي ٥٥ آل عمران وقال بل رفعه الله إليه ١٥٨ النساء

وقال وله من في السموات والأرض ومن عنده ١٩ الأنبياء وقال يخافون **ربهم من فوقهم** ٥٠ النحل وقال ذي المعارج ٣ المعارج وقال وهو القاهر فوق عباده ١٨ الأنعام وقال وهو العلي العظيم ٢٥٥ البقرة

فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما يقول الله جل ." [2]

" ٣ – باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق

وهو أيضا مما أنكروه

٤٧ – وقد قال الله تبارك وتعالى إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقال تنزيلا ممن خلق الأرض و السموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٢٦٣

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية، ص/٣٨

الأسماء الحسنى وقد قال الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنه مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم وقوله إني متوفيك ورافعك إلي وقوله وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير وقوله يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون وقوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقوله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنه وقوله أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي ." (١)

" هنا اليد مع ذكر الأيدي في المبايعة بالأيدي فقال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه الفتح : ١٠ ويستحيل أن يقال يداه مبسوطتان المائدة : ٦٤ نعمتاه فكأن ليس له إلا نعمتان مبسوطتان لا تحصى نعمه ولا تستدرك فلذلك قلنا إن هذا التأويل محال من الكلام فضلا أن يكون كفرا

٣٦٧ – ونكفرهم أيضا بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجها ولا سمعا ولا بصرا ولا علما ولا كلاما ولا صفة إلا بتأويل ضلال افتضحوا وتبينت عوراتهم يقولون سمعه وبصره وعلمه وكلامه بمعنى واحد وهو بنفسه في كل مكان وفي كل بيت مغلق وصندوق مقفل قد أحاطت به في دعواهم حيطانها وأغلاقها وأقفالها فإلى الله نبرأ من إله هذه صفته وهذا أيضا مذهب واضح في إكفارهم

٣٦٨ – ونكفرهم أيضا أنهم لا يدرون أين الله ولا يصفونه ب أين والله قد وصف نفسه ب أين ووصف به الرسول الرحمن على العرش استوى طه : ٥ وهو القاهر فوق عباده الأنعام : ١٨ و إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا آل عمران : ٥٥ و يخافون **ربهم من فوقهم** النحل : ٥٠ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض الملك : ١٦ ونحو هذا فهذا كله وصف ب أين ووصفه رسول الله أين فقال للأمة السوداء أين الله قالت في ." (٢)

"وقال عز وجل إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه افليس العلم محيطا يا ذوى الحجا والالباب أن الرب جل وعلا فوق من يتكلم بالكلمة الطبية فتصعد إلى الله كلمتة لا كما زعمت المعطلة الجهمية أنه تهبط إلى الله الكلمة الطبية تصعد إليه

ألم تسمعوا يا طلاب العلم قوله تبارك وتعالى لعيسى ابن مريم يا عيسى إني متوفيك ورافعك آلي أليس إنما

---

(١) الرد على الجهمية – الدارمي، ص/٤٠

(٢) الرد على الجهمية – الدارمي، ص/٢٠٢

يرفع الشيء من اسفل إلى علا لا من اعلا إلى اسفل وقال الله عز وجل بل رفعه الله إليه ومحال أن يهبط الإنسان من طهر الأرض إلى بطنها أو إلى موضع اخفض منه وأسفل.

فيقال رفعه الله إليه لأن الرفعة في لغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا لا يكون لا من اسفل إلى أعلى وفوق ألم تسمعوا قول خالقنا جل وعلا يصف نفسه وهو القاهر فوق عباده أو ليس العلم محيطا أن الله فوق جميع عبادة من الجن والآنس والملائكة الذين هم سكان السموات جميعا

أو لم تسمعوا قول الخالق البارئ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون." (١)

" يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وقرأ إني متوفيك ورافعك إلي وقرأ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون

وذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه إلى أن الله عز و جل يغضب ويرضى وأن له غضب ورضى وقرأ أحمد قوله عز و جل ولا تطغو فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فأضاف الغضب إلى نفسه وقال عز و جل فلما آسفونا انتقمنا منهم قال ابن عباس يعني أغضبونا وقوله أيضا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ومثل ذلك في القرآن كثير

والغضب والرضى صفتان له من صفات نفسه لم يزل الله تعالى غاضبا على ما سبق في علمه أنه يكون ممن يعصيه ولم يزل راضيا على ما سبق في علمه أنه يكون مما يرضيه

وأنكر أصحابه على من يقول إن الرضى والغضب مخلوقان

٥٤ – أ قالوا من قال ذلك لزمه أن غضب الله عز و جل على الكافرين يفنى وكذلك رضاه على الأنبياء والمؤمنين حتى لا يكون راضيا على ." (٢)

"باب قول الله عز وجل : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قول الله عز وجل : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾. وقوله : ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ .

٨٨٠- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر المزكي ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : جاء زيد بن حارثة يشكو زينب رضي الله عنهما ، فجعل

---

(١) التوحيد لابن خزيمة، ص/١٦٢

(٢) العقيدة رواية الخلال – أحمد بن حنبل، ص/١٠٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك
". (١)

"٩٠٠- وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن القاضي ، حدثنا إبراهيم بن الحسين ، حدثنا آدم ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ قال : يقول : العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب . قلت : صعود الكلم الطيب والصدقة الطيبة إلى السماء عبارة عن حسن القبول لهما ، وعروج الملائكة يكون إلى مقامهم في السماء . وإنما وقعت العبارة عن ذلك بالصعود والعروج إلى الله تعالى على معنى قول الله عز وجل : ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وقد ذكرنا أن معناه : من فوق السماء على العرش ، كما قال : ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي : فوق الأرض ، فقد قال : ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾.
وقال : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ثم قد مضى قول أهل النظر في معناه ، وحكينا عن المتقدمين من أصحابنا ترك الكلام في أمثال ذلك ، هذا مع اعتقادهم نفي الحد و ،لتشبيه والتمثيل عن الله سبحانه وتعالى
٩٠١- أخبرنا الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الأصبهاني ، أخبرنا أبو محمد بن حيان ، حدثنا إسحاق بن أحمد الفارسي ، حدثنا حفص بن عمر المهرقاني ، حدثنا أبو داود ، قال : كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة
". (٢)

" خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقال الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وقال ثم استوى على العرش وقال وهو القاهر فوق عباده وقال يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون وقال إليه يصعد الكلم الطيب إلى سائر ما ورد في هذا المعنى وقال أأمنتم من في السماء وأراد من فوق السماء كما قال ولأصلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوع النخل وقال فسيحوا في الأرض يعني على الأرض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات فمعنى الآية والله أعلم أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر بن محمد بن حمدان ثنا محمد بن غالب ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، ٣١٥/٢
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، ٣٣٤/٢

الله صلى الله عليه و سلم في حديث ذكره فإن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ". (١)

" قال تعالى ثم استوى على العرش في مواضع من كتابه

وقال تعالى أأمنتم من في السماء في موضعين

وقال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب

وقال سبحانه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه

وقال تعالى تعرج الملائكه والروح اليه

وقال لعيسى اني متوفيك وارفعك الي

وقال تعالى بل رفعه الله اليه

وقال تعالى وهو القاهر فوق عباده

وقال سبحانه تعالى يخافون **ربهم من فوقهم** ." (٢)

" حدثناه الحسن بن الصالح البزار عن علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك فمن ادعى أنه ليس لله حد فقد رد القرآن وادعى أنه لا شيء لأن الله حد مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال الرحمن على العرش استوى أأمنتم من في السماء يخافون **ربهم من فوقهم** و إني متوفيك ورافعك إلي إليه يصعد الكلم الطيب فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ." (٣)

" المنزلة منهم لنبأنا كل عامل منهم بما عمل وقال وناجى به أصحابه فما فضل علام الغيوب على المخلوق الذي لا يعلم الغيب في دعواك

وأما قولك إن الله لم يصف نفسه أنه في موضع دون موضع فإن كنت أيها المعارض ممن يقرأ كتاب الله ويفهم شيئا من العربية علمت أنك كاذب على الله في دعواك لأنه وصف أنه في موضع دون موضع ومكان دون مكان ذكر أنه فوق العرش والعرش فوق السموات وقد عرف ذلك كثير من النساء والصبيان فكيف من الرجال

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد – البيهقي، ص/١١٣

(٢) إثبات صفة العلو، ص/٤٣

(٣) نقض الدارمي، ١/٢٢٥

قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى أأمنتم من في السماء وهو القاهر فوق عباده يخافون **ربهم من فوقهم** إني متوفيك ورافعك إلي ذي المعارج ." [1]

" من في السماء وقال للملائكة يخافون **ربهم من فوقهم** وقال الرحمن على العرش استوى فقد أخبر الله العباد أين الله وأين مكانه وأينه رسول الله في غير حديث فقال من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء

حدثنا مسدد ثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي ." [2]

"ومما يرد به أيضا على من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية قول الله تعالى مخبرا عن الملائكة: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ (٥٠) سورة النحل وإذا كان الرب تبارك وتعالى فوق الملائكة الذين هم سكان السموات، ولم يكن معهم بذاته، فكيف يقال: إن معيته لخلقه –أي الذين في الأرض– معية ذاتية هذا قول ظاهر البطلان.

ومما يرد به عليه أيضا قول الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ (١٨) سورة الأنعام وقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ (٦١) سورة الأنعام وقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ (١) سورة الأعلى وقوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى () إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ (١٩-٢٠) سورة الليل وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبيرِ المتعال﴾ (٩) سورة الرعد وقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ (١٥) سورة غافر وقوله تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ (٢٥٥) سورة البقرة وقوله تعالى: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم﴾ (٤) سورة الشورى وقوله تعالى: ﴿أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ (٥١) سورة الشورى وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾ (٣٤) سورة النساء وقوله تعالى: ﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ (٢٣) سورة سبأ وقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ (٦٢) سورة الحج ومثلها الآية التي في سورة لقمان. وقوله تعالى: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله." [3]

---

(١) نقض الدارمي، ١/٤٤٤

(٢) نقض الدارمي، ١/٥٠٩

(٣) إثبات علو الله ومباينته لخلقه، ص٦

"ذكر الذهبي في كتاب " العلو " عنه أنه قال : أما قوله : " إنه فوق عرشه المجيد بذاته " فمعنى فوق وعلى عند العرب واحد . وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك ، وهو قوله تعالى : ؟ ثم استوى على العرش ؟ وقال : ؟ الرحمن على العرش استوى ؟ وقال : ؟ يخافون **ربهم من فوقهم** ؟ وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى – إلى أن قال : وقد تأتي لفظة " في " في لغة العرب بمعنى فوق كقوله : ؟ فامشوا في مناكبها ؟ و : ؟ في جذوع النخل ؟ و : ؟ أأمنتم من في السماء ؟ قال أهل التأويل : يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة ، مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء ، يعني فوقها وعليها ، فلذلك قال الشيخ أبو محمد : إنه فوق عرشه ، ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف ، وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته . انتهى المقصود من كلامه . وقد ذكره ابن القيم في كتاب " اجتماع الجيوش الإسلامية " .

قول الشيخ عبد القادر الجيلي(١) الحنبلي." [١]

" ويقال لهم : إذا لم يكن مستويا على العرش بمعنى يختص العرش (١ / ١١٠) دون غيره كما قال ذلك أهل العلم ونقله الأخبار وحملة الآثار وكان الله عز و جل في كل مكان فهو تحت الأرض التي السماء فوقها وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض وفي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت والأشياء فوقه وأنه فوق الفوق والأشياء تحته وفي هذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته وهذا هو المحال المتناقض تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

دليل آخر :

ومما يؤكد أن الله عز و جل مستو على عرشه دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم

روى عفان قال : ثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا (١ / ١١١) عمرو بن دينار عن نافع عن جبير عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (ينزل ربنا عز و جل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر)

روى عبيد الله بن بكر قال : ثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن كثير عن أبي جعفر أنه سمع أبا حفص يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (إذا بقى

---

(١) إثبات علو الله ومباينته لخلقه، ص/٧٢

ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول : من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه ؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه ؟ حتى ينفجر الفجر) . (١ / ١١٢)

وروى عبد الله بن بكر السهمي قال : ثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن كثير عن هلال بن أبي ميمونة قال : ثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال : فكنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى إذا كفا بالكديد – أو قال بقديد – حمد الله وأثنى عليه ثم قال : (إذا مضى ثلث الليل – أو قال ثلثا الليل – نزل الله عز و جل إلى السماء فيقول : من ذا الذي يدعوني أستجيب له ؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له ؟ من ذا الذي يسألني أعطيه ؟ حتى ينفجر الفجر) نزولا يليق بذاته من غير حركة وانتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

دليل آخر :

قال الله تعالى (١ / ١١٣) : (يخافون **ربهم من فوقهم**) من الآية (٥٠ / ١٦) وقال تعالى : (تعرج الملائكة والروح إليه) من الآية (٤ / ٧٠) وقال تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) من الآية (١١ / ٤١) وقال تعالى : (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) من الآية (٥٩ / ٢٥) وقال تعالى : (ثم استوى على العرش مالكم من ولي ولا شفيع) (٤ / ٣٢) فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه والسماء بإجماع الناس ليست الأرض فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته مستو على عرشه استواء منزها عن الحلول والاتحاد . (١ / ١١٤)

دليل آخر :

قال الله تعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٢٢ / ٨٩) وقال تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) من الآية (٢١٠ / ٢) وقال : (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى) (٨ – ١٣ / ٥٣) إلى قوله : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (١٨ / ٥٣) وقال تعالى لعيسى ابن مريم عليه السلام : (إني متوفيك ورافعك إلي) وقال تعالى : (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه) من الآية (١٥٨ / ٤) (١ / ١١٥) وأجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى صلى الله عليه و سلم إلى السماء ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون جميعا : يا ساكن السماء ومن حلفهم جميعا : لا والذي احتجب بسبع سماوات

دليل آخر :

قال الله عز و جل : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) من الآية (٥١ / ٤٢) وقد خصت الآية الشريفة البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول : ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحيا (١ / ١١٦) أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول : ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحيا أو من وراء حجاب أو أرسل رسولا وننزل أجناسا لم يعمهم بالآية فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم

دليل آخر :

قال الله تعالى : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) من الآية (٦٢ / ٦) وقال : (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) من الآية (٣٠ / ٦) وقال : (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم) (١٢ / ٣٢) وقال عز و جل : (وعرضوا على ربك صفا) من الآية (٤٨ / ١٨) كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه ولا خلقه فيه وأنه مستو (١ / ١١٧) على عرشه سبحانه بلا كيف ولا استقرار تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل وجميع أوصافهم تدل على النفي يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه على زعمهم فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل

دليل آخر :

قال الله تعالى (الله نور السماوات والأرض) من الآية (٣٥ / ٢٤) فسمى نفسه نورا والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين (١ / ١١٨) :

إما أن يكون نورا يسمع أو نورا يرى

فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه وتكذيبه بكتابه وقول نبيه صلى الله عليه و سلم

وروت العلماء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز و جل فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام والله عز و جل فوق ذلك)

دليل آخر :

وروت العلماء رحمهم الله عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز و جل حتى يسأله عن عمله)

وروت العلماء أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه و سلم بأمة (١ / ١١٩) سوداء فقال : يا رسول الله إني أريد أن أعتقها في كفارة فهل يجوز عتقها ؟

فقال لها النبي صلى الله عليه و سلم : أين الله ؟ قالت : في السماء قال فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله فقال النبي صلى الله عليه و سلم : أعتقها فإنها مؤمنة

وهذا يدل على أن الله تعالى على عرشه فوق السماء فوقية لا تزيده قربا من العرش . (١ / ١٢٠) ".[1]

" فقالوا لا نقول إنه على العرش لأنه أعظم من العرش ولأنه إذا كان على العرش فإنه يخلو منه أماكن كثيرة فنكون قد شبهناه بخلقه إذا كان أحدهم في منزلة فإنما يكون في الموضع الذي هو فيه ويخلو منه سائر داره

ولكنا نقول إنه تحت الأرض السابعة كما هو فوق السماء السابعة وأنه في كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان

قلنا أما قولكم إنه لا يكون على العرش لأنه أعظم من العرش فقد شاء الله أن يكون على العرش وهو أعظم منه

قال الله تعالى ثم استوى إلى السماء

وقال وهو الله في السماوات

ثم قال وفي الأرض يعلم فأخبر أنه في السماء وأنه بعلمه في الأرض

وقال الرحمن على العرش استوى

وقال ثم استوى على العرش الرحمن

وقال إليه يصعد الكلم الطيب فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا

وقال سبح اسم ربك الأعلى فأخبر أنه أعلى من خلقه

وقال يخافون **ربهم من فوقهم** فأخبر أنه فوق الملائكة ." [2]

" وقول الخليل عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسي عليه السلام وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم وفي الخوف أكثر من ذلك كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله تعالي ذلك

---

(١) الإبانة – الأشعري، ص/١٠٩

(٢) الإبانة – ابن بطة، ١٣٧/٣

لمن خشي ربه وقوله تعالى إنما يخشي الله من عباده العلماء وقوله تعالي في الملائكة يخافون **ربهم من فوقهم** وقوله تعالى في الصالحين إن عذاب ربهم غير مأمون وقوله تعالى وفي نسختها هدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقول رسول الله وآله والله إني لأخشاكم لله وأمثال ذلك مما يطول ذكره

والجمع بين الرجاء والخوف من وجهين أحدهما أن يرجو حين يذكر صفات ربه ويخاف حين يذكر صفات نفسه لقوله تعالى من خشي الرحمن فسماه بالرحمن في حال خوفه وثانيهما أن يخاف على نفسه ويرجو لغيره وتأمل قول الخليل عليه السلام في خوفه على نفسه والذين أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولم يقل والذي يغفر لي كما قال والذين هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين وكذا قوله عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا وقال عليه السلام في حق غيره ومن عصاني فانك غفور رحيم فانظر ما أشد خوفه على نفسه وأوسع رجاءه لغيره وهذا عكس ما عليه الاكثرون والله المستعان

فان قيل هذا الكتاب مبني على الاحتياط ومذهب الوعيدية أحوط فكيف لم تلتزمه في هذه المسألة

فالجواب أن الاحتياط باق مع الرجاء والخوف لوجهين أحدهما أن المفسدة إنما هي في الأمان لكن من لم يتأمل لم يفرق بين الامان والرجاء والفرق بينهما واضح ولذلك قيل من رجا خاف ومن خاف رجا ومن قديم ما قلت في هذا المعني هذه الأبيات ." [١]

"ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (وروى أبو داود في سننه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا .. ». وذكر الخبر) يعني: أبي داود بتمامه (إلى قوله: «وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك») يعني: فوق العرش، وفيه إثبات الفوقية، وفيه إثبات علو الله عز وجل العام على سائر المخلوقات، وعلوه الخاص على عرشه. وهذا الحديث حديث ضعيف، وهو يسمى بحديث الأوعال، فيه إثبات الفوقية لكنه حديث ضعيف، أخرجه أبو داود وأحمد من حديث العباس بن عبد المطلب، وإسناده ضعيف، وذكره إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب ((التوحيد)). على كل يغني عنه قوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] «سبحان ربي الأعلى». نصوص متواترة في الكتاب والسنة، بل ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أنه أكثر من ألف دليل من المنقول والمعقول يدل على علو الله عز وجل. وذلك بعضهم لم يعذر من خالف في هذه المسألة، لأن المسألة مقطوع بها، حينئذ كل من أنكر علو الله عز وجل فالأصل أنه منكر لما قطع به في الشرع، فيكون كافرا، ومن هنا وجه النقد إلى الأشاعرة في كونهم ينكرون علو الله عز وجل الذاتي، لذلك كفرهم بعض السلف، وإن كانوا قلة في من

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٣٥٦

كفرهم في مثل هذه المسألة، وهي إنكار علو الله عز وجل، لأنه أمر مقطوع به، الكتاب كله من أوله إلى آخره إلا ويذكر فيه هذه الصفة، وكذلك السنة، وإجماع السلف، حينئذ لم يأت بشبهة يعني: بعض المسائل أو الصفات التي تأول قد يكون فيها نوع شبهة، كما ذكرنا في اليدين مثلا، قد استعمل لفظ اليد في النعمة والقوة، إن نزلنا مع المخالف بأنه قد يقال له. له وجه لماذا؟ لأنه حمل اللفظ على معنى لغوي كذلك، ولكن ﴿ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥] بماذا يحتمل؟ ﴿وهو العلي﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿الأعلى﴾ حينئذ نقول: هذه الألفاظ لا يمكن أن تحمل على غير ظواهرها، حينئذ لا يكون إلا محرفا بباطل وليس عنده دليل، فإذا كان كذلك فالأصل فيه أنه كافر، هذا الأصل.

إذا «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا .. » قلنا: يغني عن هذا قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] والله عز وجل فوق خلقه، بجميع أنواع الفوقية من قهره وقدره وذاته.." [1]

"* * خوفهم:

قال تعالي: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (١)

وقال تعالي: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ (٢)

وقال تعالي: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ (٣)

** هل يحجون؟

نعم تحج الملائكة البيت المعمور في السماء السابعة وهو بحيال الكعبة المشرفة وسمي بالمعمور لأنه معمور بالملائكة، وهو كعبة أهل السماوات يحجون إليه ففي الحديث عن أنس – رضي الله عنه – قال: " البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة " رواه الحاكم وقال حديث صحيح علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي (٤)

أما البيت الحرام الذي ببكة فقد روي الأزرقي في كتابه أخبار مكة عن عثمان بن ساج رحمه الله تعالي قال: أخبرني سعيد أن آدم لما فرغ من حجته لقيته الملائكة بالمأزمين (٥) فقالوا: بر حجك يا

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/١٠

(١) سورة النحل . الآية ٥٠.

(٢) سورة الأنبياء . الآية ٢٨.

(٣) سورة سبأ . الآية ٢٣.

(٤) في مستدركه ـ كتاب التفسير – ٢/ ٤٦٨.

(٥) المضيق من الجبل ." [1]

"الرؤية في الجنة

رؤية المؤمنين لربهم أعظم النعيم، ولا يدانيها شيء؛ لأن الله عز وجل وصفها بذلك وهي معلوم أمرها بالضرورة، فلا يعقل أن يتصور أحد أن هناك أعظم نعيم من التمتع برؤية الله عز وجل، ولذلك وصفها الله عز وجل بمثل هذه الأوصاف، قال سبحانه عن المؤمنين الذين يدخلون الجنة: ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ [ق:٣٥] فلا تحد بحد، بل كل ما يمكن أن يتمناه المؤمن في الجنة من النعيم يدركه ويحدث له.

ثم بعد ذلك قال الله عز وجل: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس:٢٦]، وقال سبحانه ممتنا على المؤمنين: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ [القيامة:٢٢] أي: يعني بهية مستبشرة ﴿إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة:٢٣] بعد أن نضرت بأعمالها الصالحة ونجت وزكت متعها الله بالنظر إلى وجهه الكريم، نسأل الله أن يجعلنا ممن يتمتعون بذلك.

فرؤية المؤمنين لربهم في الجنة من الحقائق التي تواترت بها النصوص، وهي غيبية، ولذلك فإن الذين استعملوا عقولهم في الخوض في هذه الأمور وقعوا في هلكة؛ لأنهم خاضوا في أمور هم في عافية منها، وقاسوا رؤية الخالق عز وجل برؤية المخلوقين، وقالوا: لأنه يترتب على الرؤية كذا ويلزم منها إثبات الجهة لله عز وجل، مع أن الجهة لا نجعلها وصفا لله ولا نقول بها حتى نفصل، فإن قصدتم بالجهة العلو فالمؤمنون يرون ربهم من فوقهم كما هو نص حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فلماذا تنزعجون من الحق، وإلا لماذا تقولون: هذا يلزم منه جهة العلو والعلو كمال؟ وكل عاقل يدرك بعقله، وفكره وفطرته وبالحس والمشاهدة أن العلو كمال، إذا: لماذا يتهيبون من إثبات العلو لله عز وجل، ولذلك نفوا الرؤية زعما منهم أنه يلزم منها الجهة، وهربوا من إثبات العلو لله عز وجل.

إذا: الرؤية حق، لكن ولا نتكلم فيها بأكثر مما ورد به النص، كيف تكون؟ وهل كذا؟ هذه أمور لا يجوز

---

(١) الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين، محمد علي محمد إمام ص/٢٤

أن نخوض فيها؛ لأنها تطلع إلى الغيب المحجوب، ومما لا يعلمه إلا الله عز وجل خاصة فيما يتعلق بالله، فما يتعلق بالله عز وجل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله والرؤية هذه أمور متعلقة بالله يجب على المسلم أن يتهيب ويتورع عن أن يخوض فيها أو يفتح لنفسه باب الأسئلة والإشكالات، فإن جاءته وساوس أو خواطر عارضة سيدفعها الإيمان بإذن الله، وإلا فإنه يسأل أهل العلم عل الله عز وجل يفتح عليه جوابا ينقذه من الوساوس، أما أن يبتدئ بالتوهمات فهذا من الغلط.." [1]

"٣ – قال تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (يونس:٣).

٤ – قال تعالى: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ (الرعد:٢). ٥ – قال تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا (٥٨) الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا (٥٩)﴾ (الفرقان: ٥٨ – ٥٩).

٦ – قال تعالى: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (السجدة:٤).

٧ – قال تعالى: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (الحديد:٤).

ثانيا: التصريح بلفظ العلي والأعلى، قال تعالى: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ (البقرة:٢٥٥). وقال تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ (الحج:٦٢)، وقال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ (الأعلى:١).

ثالثا: التصريح بلفظ الفوقية في عدة مواضع، قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ (الأنعام:١٨ (، وقال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ (النحل:٥٠).

رابعا: التصريح بصعود الأشياء إليه – سبحانه وتعالى –، قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر:١٠). وقال تعالى: ﴿إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ (آل عمران:٥٥)، وقال تعالى: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم." [2]

---

(١) مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل ٥/٧

(٢) السلفيون وحوار هادئ مع الدكتور علي جمعة، شحاتة صقر ص/٦٧

"المبحث الأول

تنوع دلالات الكتاب والسنة في إثبات علو الله تعالى بذاته على خلقه

وقد تنوعت الدلالات في كتاب الله تعالى على علو الله جل وعلا إلى أكثر من عشرين نوعا أذكر بعضها:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونة بأداة (من) المعينة لفوقية الذات، نحو: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ النحل٥٠.

الثاني: ذكر الفوقية مجردة عن الأداة كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ الأنعام١٨.

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ المعارج٤.

الرابع: التصريح بالصعود إليه كقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فاطر١٠.

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ النساء١٥٨.." [(١)]

"ثم ساق الأدلة وأجاب عن شبهات المعتزلة وغيرهم ثم قال: (دليل آخر: قال الله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ النحل٥٠، وقال تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ المعارج٤، وقال تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ فصلت١١، وقال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ الفرقان٥٩، وقال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش ما لكم من ولي ولا شفيع﴾ السجدة٤، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه استواء منزها عن الحلول والاتحاد.

دليل آخر:

قال الله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ الفجر٢٢، وقال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ البقرة٢١٠، وقال: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى﴾ إلى قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ النجم (٨ – ١٨)، وقال تعالى لعيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ آل عمران٥٥، وقال تعالى: ﴿وما قتلوه يقينا." [(٢)]

"وإذا تجاوزنا الحديث عن بقية الصحابة الكرام ومآثرهم العظيمة وانتقلنا إلى علماء السلف من المسلمين فإننا نجدهم من أرحم الناس وأشدهم شفقة على المخالفين وأنصحهم لهم ويأتي في أول هؤلاء

---

(١) الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم ٤٢٦/١

(٢) الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم ٤٤٧/١

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وتاريخه مع القائلين بخلق القرآن وما لقيه من الآلام التي تنفطر لها القلوب خير شاهد على ذلك وعلى محبته للمسلمين ولقد ابتلي بالضراء فكان أصلب من الرواسي وابتلي بالسراء فكان شديد الحلم والتواضع لم تخضعه نقمة ولم تستخفه نعمة. وتاريخ السلف غني بالرجال الأفذاذ فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية كان من أحرص الناس على بيان الحق ومن أشدهم عفوا عمن ظلمه لم يبال بالسجن والإهانات التي وجهت له من قبل المخالفين الحاقدين عليه وطالما تمكن من الانتصاف منهم ولكنه كان يبادر إلى العفو عنهم ولا يطلب منهم إلا معرفة الحق والتبصر في الدين قال رحمه الله عن إنصاف أهل السنة وشفقتهم بمخالفيهم: (أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي فليس الإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك فليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأن الكذب والزنى حرام لحق الله وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلى من كفره الله ورسوله) (١).

وإذا تجاوزنا تاريخ تلك الحقبة ورجالاتها إلى رجال العصور الأخيرة من السلف فسنجد رجالا كانوا مثال الأخلاق الفاضلة وحب الخير للناس جميعا ومن أشدهم رحمة بكل المسلمين حتى المخالفين منهم وفي أول هؤلاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي بذل نفسه لخدمة العقيدة وتفهيم الناس بدينهم الصحيح.

وكذا من سار على طريقته مثل الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، الذي أخرج الله به أقواما من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الخرافات الجاهلية إلى الحقائق الإسلامية في منطقة جيزان ففتح الله به القلوب ونور به البصائر وكان رحمة من الله تمكن حبه في القلوب وتمكنت دعوته في النفوس ولن تزال أبدا إن شاء الله قوة راسخة. هذه نماذج سقتها على عجل مكتفيا بمن تقدم ذكرهم كأمثلة مشرفة لسلف هذه الأمة وما امتازوا به من حميد الصفات وهناك مئات الأمثلة التي لا تكاد تحصى إلا بالكلفة.

ومن المعلوم أن هذا التسامح ليس هو تسامح العاجزين فقد كانوا فرسان الوغى وليوث الحروب لا يخافون إلا **ربهم من فوقهم** وإنما هو تسامح الواقف عند الحق المقدم له الراضي به، أما بالنسبة لسمات أهل البدع من الفرق الهالكة فقد اتصفوا بأسوأ الصفات التي أبانت عن سوء معتقداتهم لعدم تحليهم بآداب السنة الغراء وهو أمر بدهي فإن المخالف لها لا بد أن يركب هوى نفسه والهوى من أخطر المطايا وأسرعها إلى الهلاك ومخالفة الشرع.

وبتتبع الصفات التي يتصف بها هؤلاء تجد أنها كثيرة ومنها:

بغي بعضهم على بعض والتطاول في السباب.

اختلافهم لأتفه الأسباب وكثرة تفرقهم.

اتباعهم لما يهوون حسبما تمليه عليهم رغباتهم وتكفير بعضهم البعض وتكفير كل طائفة لما عداها.

تتبعهم المتشابه وإثارة الخلافات حوله.

بغضهم لأهل السنة واختراع الألقاب الباطلة لهم تنفيرا عنهم.

بغض مذهب السلف وتسميته بالأسماء والألقاب الباطلة.

قبولهم للروايات الكاذبة وعدم تحريهم النصوص الصحيحة.

قبولهم للأخبار التي لا يصدقها العقل ولا تعضدها حجة.

عدم اهتمامهم –كما يجب بالسنة النبوية– وتسلطهم عليها بالتأويل أو الرد بحجة أنها غير ملزمة مثل القرآن.

وغير ذلك من الصفات التي عرفت عنهم قديما وحديثا.

---

(١) ((الرد على البكري)) (٢٥٨).." [1]

"ب – يثبت أبو الحسن الطبري صفة الاستواء والعلو لله تعالى، يقول: " اعلم عصمنا الله وإياك من الزيغ برحمته أن الله سبحانه في السماء فوق كل شيء، مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه، وبمعنى الاستواء الاعتلاء، كما يقول: استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح يعني علوته، واستوت الشمس على رأسي واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي، والقديم جل جلاله عال على عرشه لا قاعد ولا قايم ولا مماس له ولا مباين، والعرش ما تعقله العرب وهو السرير، يريد بذلك أيضا على أنه في السماء عال على عرشه قوله سبحانه: أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض [الملك: ١٦]، وقوله تعالى: يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي [آل عمران: ٥٥]، وقوله: يخافون **ربهم من فوقهم** [النحل: ٥٠]، وقوله: إليه يصعد الكلم الطيب [فاطر:١٠]، وقوله: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه [السجدة: ٥] "، ثم رد على البلخي وغيره من المعتزلة في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء واحتجاجهم بقولهم: استوى بشر على العراق – وغيره – فقال: " فيقال لهم: ما أنكرتم أن يكون عرش الله جسما مجسما، خلقه وأمر ملائكته بحمله، وتعبدهم بتعظيمه كما خلق في الأرض بيتا وامتحن بني آدم بالطواف

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٨٦/١

– حوله وبقصده من الآفاق، ويدل على ذلك قوله تعالى: وترى الملائكة حافين من حول العرش [الزمر: ٧٥]، وقال في موضع آخر: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية [الحاقة: ١٧]، ففي كل هذا دلالة أن العرش ليس بالملك وأنه سرير"، ثم قال: "ومما يدل على أن الاستواء ها هنا ليس بالاستيلاء أنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه، وليس للعرش مزية على ما (وصفت) "، فبان بذلك فساد قوله، ثم يقال له أيضا: "إن الاستواء ليس هو بالاستيلاء في قول العرب: استوى فلان على كذا أي استولى عليه، إذا تمكن منه بعد أن لم يكن متمكنا، فلما كان الباري سبحانه لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا لم يصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء، وحدثنا الشيخ أبو عبد الله الأزدي الملقب بنفطويه قال: حدثنا أبو سليمان، قال كنا عن ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قوله سبحانه: الرحمن على العرش استوى [طه: ٥]، قال: إنه مستو على عرشه كما أخبر، فقال له الرجل: إنما معنى استوى استولى فقال له ابن الأعرابي: ما يدريك ما هذا، العرب لا تقول استوى على العرش حتى يكون فيه مضاد له، فأيهما غلب قيل: قد استولى عليه، والله سبحانه لا مضاد له، وهو مستو على عرشه كما أخبر، والاستيلاء يكون بعد المغالبة" ثم يقول: " فإن قيل فما تقول في قوله سبحانه: أأمنتم من في السماء [الملك: ١٦]، قيل له معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش، كما قال: فسيحوا في الأرض [التوبة: ٢]، أي على الأرض ... ".." (١)

"وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين، لأني على مذهب الشافعي رضي الله عنه. وعرفت فرائض الدين وأحكامه على هذا المذهب، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة، يذهبون على مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم. ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات (حزازات) لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ في تقلبه وتغيره وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول، مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبرا عن ربه واصفا له بها، وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والجافي. ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها، لا نصا ولا ظاهرا

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٢١/١

مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء – مشايخي الفقهاء – المتكلمون مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء والنزول، بنزول الأمر وغير ذلك، ولم أجد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين وغيرهما. ولم تنقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل الفوقية القهرية ويد النعمة والقدرة وغير ذلك، وأجد الله عز وجل يقول الرحمن على العرش استوى [طه:٥] خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش [الأعراف:٥٤] يخافون **ربهم من فوقهم** [النحل:٥٠] إليه يصعد الكلم الطيب [فاطر:١٠] أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور [الملك:١٦] أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير [الملك:١٧].فسرد آيات كثيرة تدل على فوقية الله وعلوه على خلقه إلى أن قال: ثم أجد الرسول عليه الصلاة والسلام لما أراد الله تعالى أن يخصه بقربه عرج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث للجارية ((أين الله؟ قالت: في السماء)) فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه، فلا يتوهمون أن الأمر على خلاف ماهو عليه، بل أقرها وقال: ((أعتقها فإنها مؤمنة)) (١) ، وفي حديث جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله فوق عرشه فوق سمواته، وسمواته فوق أرضه مثل القبة وأشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده إلى القبة)) (٢) ، وساق عدة أحاديث.

إلى أن قال: لا ريب إننا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام لله، ونحن قطعا لا نعقل عن الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراض تقوم بجوارحنا فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره كذلك هي صفات كما تليق به كما لا تليق بنا فكذلك نقول نحن: حياته معلومة وليست مكيفة وعلمه معلوم وليس مكيفا وكذلك سمعه وبصره معلومان وليس جميع ذلك أعراضا بل هو كما يليق به.

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧) ، من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٦) ، وقال: بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح. وقال الذهبي في ((العلو)) (٤٤): غريب جدا. وضعفه الألباني في ((ضعيف أبي داود)).." [1]

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٠١/٢

"قلت: لا يصح أي تأويل لقوله تعالى: فوق عباده كأن يقال: المراد من "الفوقية" فوقية القهر، والغلبة، والعظمة، ونحوها مما يرتكبه الماتريدية في تحريف نصوص العلو كما تقدم، لأن قوله تعالى وهو القاهر دل على تلك الفوقية، فلو حمل قوله تعالى فوق عباده أيضا على تلك الفوقية القهرية – لكان الكلام مبنيا على التأكيد والتكرار، مع أن التأسيس أولى من التأكيد لاشتمال التأسيس على الإفادة فائدة جديدة حتى باعتراف الماتريدية. على أن حمل الكلام على الحقيقة متعين؛ لأن الحقيقة هي الأصل باعترافهم أيضا (١).

وقال عز وجل: يخافون **ربهم من فوقهم** [النحل:٥٠] وهذه الآية لا احتمال فيها لأي مجاز أو تأويل بوجه من الوجه، لوجود كلمة "من" المعينة للفوقية الذاتية الحقيقية (٢).٣ – ونصوص كونه تبارك وتعالى في السماء. والمراد من "السماء" العلو والارتفاع، وكلمة "في" بمعنى كلمة "على" (٣).

٤ – ونوصوص استو ا ئه سبحانه على عرشه تعالى.

٥ – ونصوص العروج إليه جلا وعلا.

٦ – ونصوص الصعود إليه تبارك.

٧ – ونصوص الرفع إليه سبحانه.

٨ – وأحاديث نزول الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا.

٩ – وأحاديث معراجه صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى. ففي لفظ من تلك الأحاديث: ((ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ..)) (٤).١٠ – وأحاديث الإشارة إلى السماء بعدها إشارة إلى الله عز وجل منها حديث جابر الطويل في حجة الوداع، وفيه: ((فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس – اللهم اشهد – ثلاث مرات)) (٥).ومنها حديث الجارية وفيه: ((أين الله)) فقالت ((في السماء)) (٦).

قلت: هذه النصوص ومعها أضعاف أضعاف تدل دلالة قاطعة لا تحتمل النقيض على أن الله تعالى فوق هذا العالم حقيقة، وأن هذه ال نصوص القاطعة الساطعة لا تحتمل المجاز والتأويل بوجه من الوجوه؛ ولهذا قال الإمام ابن القيم بعد ما ساق أحدا وعشرين نوعا من حجج "علو" الله تعالى:

وقد اقتصرت على يسير من كثيـ ... ـر فائت للعد والحسبان

ما كل هذا قابل التأويل بالـ ... تحريف فاستحيوا من الرحمن (٧)

لكن الماتريدية يحرفون هذه النصوص مع كثرتها واطرادها وتظافرها إلى معان مجازية قد زكرناها فيما سبق فلا داعي إلى إعادتها.

---

(١) انظر ((المغني للخبازي)) (ص ١٣٧)، و ((المنار مع شرحه كشف الأسرار ونور الأنوار)) (١/ ٢٢٨، ٢٦٧)، وارجع لإبطال حمل هذه الآية على الفوقية القهرية ونحوها إلى ((مختصر الصواعق)) (٢/ ٢٠٥)، وما بعدها، ط/ قديمة، و: (٢/ ٣٦٩)، وما بعدها، ط/ جديدة.

(٢) انظر ((مختصر الصواعق)) (٢/ ٢٠٥، ٢٠٧)، ط/ قديمة، و: (٢/ ٣٦٩، ٣٧١)، ط/ جديدة، و ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (ص ٣١٩)، وشرح كتاب ((التوحيد)) من صحيح البخاري لشيخنا عبدالله بن محمد الغنيمان (١/ ٤٥٨)، و ((الصفات الإلهية)) لشيخنا محمد أمان الجامي (ص ٢٢٧).

(٣) انظر ((الإبانة للأشعري)) (٢/ ١٠٧)، تحقيق فوقية، و (ص ٨٦)، تحقيق الأرناؤوط، ط/ دار البيان، و: (ص ١٢٠)، ط/ الجامعة الإسلامية، والموجز له كما في ((الصواعق المرسلة)) (٤/ ١٢٤٣ - ١٢٤٥)، و ((الأسماء والصفات)) للبيهقي (ص١٤٠ - ٤١١، ٤٢١).

(٤) رواه البخاري (٧٥١٧) قال ابن رجب في ((فتح الباري)) (٢/ ١١٤): قد تفرد به شريك بهذه الألفاظ في هذا الحديث، وهي مما أنكرت عليه فيه.

(٥) رواه مسلم (١٢١٨)

(٦) رواه مسلم (٥٣٧)

(٧) ((القصيدة النونية)) (ص ٨٥)، و ((شرحها توضيح المقاصد)) (١/ ٥٣٤)، و ((توضيح الكافية الشافية)) (ص ٧٣)، و ((شرح النونية)) للهراس (١/ ٢٦٠).." [١]

"وعقيدة المسلمين التي دلت عليها آيات القرآن القطعية، والأحاديث النبوية، والفطرة السوية، والعقول الصريحة: أن الله جل جلاله، عال على خلقه، مستو على عرشه، لا يخفى عليه شيء من أمور عباده. قال الله تعالى: أيام ثم استوى على العرش [الأعراف: ٥٤]، في سبعة مواضع في كتابه، وقال جل شأنه: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور [فاطر: ١٠]، وقال جل وعلا: وهو العلي العظيم [الشورى: ٤]، وقال جل وعز: سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى: ١]، وقال جل جلاله: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دآبة والملآئكة وهم لا

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢٨/٢

يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٤٩ - ٥٠]، وغيرها من الآيات الكريمات.
وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح الشيء الكثير، ومنها: قصة المعراج المتواترة، وتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم السماوات سماء سماء، حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه أو ناداه، وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى، ينزل من عند ربه إلى عند موسى، فيسأله كم فرض عليه، فيخبره فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف. ومنها ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)) (١)، وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء)) (٢)، وفي صحيح ابن خزيمة وسنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((العرش فوق الماء، والله فوق العرش، والله يعلم ما أنتم عليه)) (٣)، وفي صحيح مسلم وغيره في قصة الجارية، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: ((أين الله؟ " قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة)) (٤).
وعلى هذه العقيدة النقية درج المسلمون: الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يومنا هذا والحمد لله.
ولعظم هذه المسألة وكثرة دلائلها التي تزيد على ألف دليل أفردها أهل العلم بالتصنيف، كالحافظ أبي عبد الله الذهبي في كتابه: (العلو للعلي الغفار)، والحافظ ابن القيم في كتابه: (اجتماع الجيوش الإسلامية).

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٢) بلفظ قضى، وله بلفظ آخر (قبل أن يخلق الخلق) ورواه مسلم (٢٧٥١) بلفظ (تغلب) وبهذا اللفظ رواه أحمد (٢/ ٢٥٩) (٧٥٢٠)

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤)

(٣) ليس هم عندهما، بل ورد هذا موقوفا من كلام ابن مسعود، كما رواه أبو الشيخ في ((العظمة)) (٢/ ٦٨٩) واللالكائي في ((الاعتقاد)) (٣/ ٣٩٦) وصححه الألباني في ((مختصر العلو)) (٧٥)

(٤) رواه مسلم (٥٣٧)." [1]

"لمعنى آخر، وهو: أنه تعالى محيط بكل شيء، وفوق كل شيء، فتفيد الجملة أمرين: إثبات الإحاطة وإثبات الفوقية.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١٦/١٠

والفوقية قد جاء ذكرها في القرآن في مواضع مثل قوله تعالى: ((وهو القاهر فوق عباده)) [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ((يخافون ربهم من فوقهم)) [النحل: ٥٠]، وفي الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: (والله فوق العرش). (١)

والقول في الفوقية كالقول في العلو، فهي ثلاثة أنواع كالعلو:

علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر لكل شيء.

كذلك الفوقية يقال:

فوقية الذات، وفوقية القدر، وفوقية القهر.

ففوقية القدر هي: فوقية الصفات، والنزاع الذي بين أهل السنة والمبتدعة إنما هو في علو وفوقية الذات؛ فإن نفاة العلو والفوقية يفسرون علو الذات بعلو القدر، فيقولون: قوله تعالى: ((وهو القاهر فوق عباده)) [الأنعام: ١٨] كقولك: الذهب فوق الفضة، من حيث القدر والقيمة.

وآيات الفوقية هي من جملة الأدلة على علو الله تعالى بذاته، فالله فوق عباده ((وهو القاهر فوق عباده)) [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ((يخافون ربهم من فوقهم)) [النحل: ٥٠]، وأدلة علو الله في ذاته على المخلوقات كثيرة جدا، وذكر ابن القيم (٢) أنها أنواع، وكل نوع تحته أفراد، فمنها:

١ – التصريح بوصفه تعالى بالعلو، كقوله تعالى: ((وهو العلي العظيم)) [البقرة: ٢٥٥] في آيات كثيرة.

٢ – التصريح بالفوقية ((يخافون ربهم من فوقهم)) [النحل: ٥٠].

٣ – التصريح بأنه في السماء: ((أأمنتم من في السماء)) [الملك: ١٦] وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء) (٣).

---

(١) تقدم قبل صفحة: رواه أحمد ١/ ٢٠٦، وأبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠). وقال: حسن غريب ،. وابن ماجه (١٩٣) وابن خزيمة في التوحيد ص ١٠١، والحاكم ٢/ ٤١٢ و ٥٠٠. وصححه، وتعقبه الذهبي. من حديث العباس – رضي الله عنه –، وصححه الجوزجاني في الأباطيل ١/ ٧٩، وقواه ابن تيمية في الحموية ص ٢٢٢، ومناظرة الواسطية ٣/ ١٩٢، وابن القيم في تهذيب السنن٧/ ٩٢.

(٢) الكافية الشافية ص ١٠٣، وإعلام الموقعين ٢/ ٢٨١.

(٣) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –.." (١)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٩٣

"ثالثا: أنه بحرف وصوت، وأنه صفة فعلية لقوله: (﴿إذا فزع﴾). لأنه علقه بماذا؟ إذا الشرطية، ومعلوم (﴿إذا فزع﴾)، إذا قبل ذلك لم يكن، أليس كذلك؟ قبل ذلك لم يكن، فكل صفة أو فكل حدث علق على إذا الشرطية، فإذا الشرطية لها فعل، وله مشروط، له شرط فعل شرط وله جواب الشرط، كل منهما حادث، الفزع حادث أو لا؟ (﴿فزع﴾)، (﴿حتى إذا فزع﴾) التفزيع حادث، حينئذ (﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾)، إذا يكون هذا حادث، وهذا حادث. والمراد بالحدوث هنا حدوث ماذا؟ الآحاد، ولذلك نقول: الله تعالى موصوف بصفة الكلام، وهذه الصفة أزلية النوع حادثة الآحاد. أزلية النوع ما يعبر عنه بالقدم، يعني نوعه قديم، فهو متصف بصفة أزلية أبدية، وأما الآحاد فهذه تتجدد، أليس كذلك؟ فيوجد اليوم كلام «هل من تائب»؟ وأمس وقبله منذ أن خلقت السماوات والأرض، حينئذ نقول: الله تعالى يتكلم، فالكلام له آحاد، وصفته التي هي أشبه ما يعبر عنه بالنوع أو شئت قل الجنس الذي يكون قدرا مشتركا هذه صفة ثابتة للذات، كما أن العلم نوع وله آحاد وله تعلقات، كذلك الشأن في الكلام، إذا إثبات صفة الكلام وإثبات أنه بحرف وصوت لأنهم قالوا: (﴿قالوا الحق﴾). ونفهم من هذا ماذا؟ أنه لفظ ومعنى، واللفظ لا يكون إلا بحرف، بل لا يكون إلا بصوت، فنستدل بذلك بدلالة الالتزام، وأنه صفة فعلية لقوله: (﴿إذا فزع﴾). والصفة فعلية الكلام، يعني باعتبارين يكون صفة ذاتية وصفة فعلية، صفة ذاتية باعتبار النوع، وصفة فعلية باعتبار الآحاد، لأن كل صفة علقت بالمشيئة فهي فعلية.

رابعا: أنه غير مخلوق. لقولهم: (﴿ماذا قال ربكم﴾) ولم يقولوا: ماذا خلق ربكم. وأحسن من هذا أن يقال: قوله: (﴿قال ربكم﴾). أسند الفعل إلى الفاعل، والفعل متضمن لحدث، والحدث صفة، حينئذ الصفة تليق بالموصوف، فصفات الباري جل وعلا ليست مخلوقة، فكل فعل ماضيا أو مضارعا أسند إلى الباري جل وعلا فنشتق منه صفة تليق به، وإذا أسندت إليه حينئذ نقول: الذات ليست مخلوقة، وكذلك الصفات التي اتصفت بها الذات ليست مخلوقة، إذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، كما أن الذات أثبت لها إطلاق أنها موجودة وهي واجبة الوجود، وحينئذ نقول: ليست مخلوقة قطعا، كذلك الصفات التي تعلقت بالذات.

خامسا: خوف الملائكة من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠].." (١)

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٤٩

"سادسا: إثبات القلوب للملائكة، صحيح؟ (﴿فزع عن قلوبهم﴾) قلوب الملائكة، إذا الملائكة لها قلوب، لقوله: (﴿عن قلوبهم﴾). بعضهم زاد على ذلك قال: كذلك نزيد العقل، لماذا؟ لأن العقل محله القلب. لكن هذا فيه نظر، لماذا؟ لأن نثبت أنها تفهم ولا شك ﴿يسبحون الليل والنهار﴾ [الأنبياء: ٢٠]، والفهم لا يستلزم أن نثبت العقل، لأن [العقل القلب محل] العقل محله القلب هذا في البشر، وكون الملائكة لها قلب وبنو آدم لهم قلوب لا يلزم منه الاتحاد في مثل هذه المواضع، فتسميت العقل للملائكة هذا يحتاج إلى نص، لكن نجزم بأنها تفهم، بدليل ماذا؟ إسناد الأفعال السابقة، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ الخشية هذه لا تصدر إلا عن من يفهم، كذلك ماذا؟ التسبيح، كذلك الذكر، كذلك الطواف بالبيت المعمور إلى غير ذلك من [أفعال أو] الأفعال التي أسندت للملائكة حينئذ نقول: هي تفهم ولا شك، لكن العقل على جهة الخصوص، هذا يحتاج إلى نص، وإن كان الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى أورد ذلك في شرحه على كتابه التوحيد.

[ثامنا] (١): إثبات العلو لله عز وجل فوق مخلوقاته. هذا كما ذكرنا علو القدر والذات إن كان بعض المخالفين نازع في مسألة علو الذات، لكن لا عبرة بقوله.

تاسعا: إثبات عظمة الله تعالى.

عاشرا: إثبات أن قول الله حق، ﴿والله يقول الحق﴾ [الأحزاب: ٤]، ﴿فالحق والحق أقول﴾ [ص: ٨٤].

---

(١) حدث خطأ في الترقيم، وكذا ما بعده.." (١)

"المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته إجمالا

وأهل السنة والجماعة: يعرفون ربهم بصفاته الواردة في القرآن والسنة، ويصفون ربهم بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف، وقاعدتهم في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [الشورى:١١] وقوله: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون [الأعراف:١٨٠] وأهل السنة والجماعة: لا يحددون كيفية صفات الله – جل وعلا – لأنه تبارك وتعالى لم يخبر عن الكيفية، ولأنه لا أحد أعلم من الله سبحانه بنفسه، قال تعالى: قل أأنتم أعلم أم الله [البقرة:١٤٠] وقال تعالى: فلا تضربوا

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٤٩

لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون [النحل:٧٤] ولا أحد أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي قال الله تبارك وتعالى في حقه: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى [النجم:٤] وأهل السنة والجماعة: يؤمنون أن الله – سبحانه وتعالى – هو الأول ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، كما قال سبحانه: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم [الحديد:٣] وكما أن ذاته – سبحانه وتعالى – لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفء له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه؛ فيثبتون لله ما أثبته لنفسه إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل؛ فحين يثبتون لله ما أثبته لنفسه لا يمثلون، وإذا نزهوه لا يعطلون الصفات التي وصف نفسه بها، وأنه تعالى محيط بكل شيء، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، قال الله تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير [الملك:١٤] وقال: إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين [الذاريات:٥٨] ويؤمنون بأن الله تعالى استوى على العرش فوق سبع سموات بائن من خلقه، أحاط بكل شيء علما، كما أخبر عن نفسه في كتابه العزيز في سبع آيات كريمات بلا تكييف قال تعالى: الرحمن على العرش استوى [طه:٥] وقال: ثم استوى على العرش [الأعراف:٥٤] وقال: أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير [الملك:١٧] وقال: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه [فاطر:١٠] وقال: يخافون ربهم من فوقهم [النحل:٥٠] وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟)) (١)

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤). من حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ..." [(١)]

"– العلي، الأعلى، المتعال

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى: (وأما تأويل قوله: (وهو العلي) فإنه يعني: والله العلي، والعلي الفعيل من قولك: علا يعلو علوا إذا ارتفع فهو عال وعلي، والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته) (١).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: (العلي، الأعلى) هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر.

فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧٥/١

وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى) (٢).

والله تبارك وتعالى له جميع أنواع العلو، ومن أنكر شيئا منها، فقد ضل ضلالا بعيدا، وقد جاءت النصوص بإثبات أنواع العلو لله، وهي:

١ – علو الذات، فالله تبارك وتعالى مستو على عرشه، وعرشه فوق مخلوقاته، كما قال تعالى: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش [يونس: ٣].

وقال: الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش، الرحمن على العرش استوى [طه ٥].

والله مستو على عرشه فوق عباده، كما قال تبارك وتعالى: وهو القاهر فوق عباده [الأنعام: ١٨].

وقال: يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥٠].

وفي إثبات علو الذات الإلهية يقول ابن القيم في نونيته:

فهو العلي بذاته سبحانه ...

إذ يستحيل خلاف ذا ببيان

وهو الذي حقا على العرش استوى ...

قد قام بالتدبير للأكوان ... ٢ – علو القهر والغلب، كما قال تعالى: هو الله الواحد القهار [الزمر: ٤]. فلا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد وصف الحق – تبارك وتعالى – نفسه بصفات كثيرة تدل على علو القهر والغلب كالعزيز، والقوي، والقدير، والقاهر والغالب ونحو ذلك. قال سبحانه: وهو القاهر فوق عباده [الأنعام: ١٨].

٣ – علو المكانة والقدر، وهو الذي أطلق عليه القرآن: (المثل الأعلى) كما في قوله تعالى: ولله المثل الأعلى [النحل: ٦٠]، وقوله: وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم [الروم: ٢٧].

فالمثل الأعلى: الصفات العليا التي لا يستحقها غيره، فالله هو الإله الواحد الأحد، وهو متعال عن الشريك والمثيل والند والنظير: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد [الإخلاص: ١ – ٤].

وفي إثبات كل أنواع العلو للعلي العظيم يقول ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو العلي فكل أنواع العلو ... له فثباته بلا نكران (٣)

ويقول أيضا: في نونيته مبينا اسمي الجلالة (الأعلى، والعلي) ودلالتهما على علو الله تعالى على خلقه:

هذا وثانيها صريح علوه ... وله بحكم صريحه لفظان

لفظ العلي ولفظة الأعلى معرفة ... أتتك هنا لقصد بيان

إن العلو له بمطلقه على التعميم ... والإطلاق بالبرهان

وله الـعلو من الوجوه جميعها ... ذاتا وقهرا من علو الشان (٤)

@ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها لعبد العزيز بن ناصر الجليل – ص: ٢٥٦

---

(١) ((تفسير الطبري)) (٣/ ١٣).

(٢) ((تفسير السعدي)) (٥/ ٤٨٧)، طبعة دار المدني.

(٣) ((نونية ابن القيم)) (٢/ ٢١٤).

(٤) ((النونية رقم الأبيات)) (ص: ١١٢٣ - ١١٢٦).." [١]

"- العلو والفوقية

صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، ومن أسمائه (العلي) و (الأعلى) و (المتعال).

والعلو ثلاثة أقسام:

١ - علو شأن انظر صفة: (العظمة) و (الجلال).

٢ - علو قهر انظر صفة (القهر).

٣ - علو فوقية (علو ذات).

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله فوق جميع مخلوقاته، مستو على عرشه، في سمائه، عاليا على خلقه، بائنا منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه خافية.

الدليل من الكتاب:

الأدلة من الكتاب كثيرة جدا ومن ذلك:

قوله تعالى: وهو العلي العظيم [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى: ١].

وقوله: عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال [الرعد: ٩].

وقوله: وهو القاهر فوق عباده [الأنعام: ١٨].

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٤٨٩

وقوله: يخافون ربهم من فوقهم [النحل: ٥٠]

وقوله: أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض [الملك:١٦].

الدليل من السنة:

والأدلة من السنة أيضا كثيرة جدا منها:

حديث: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!)) (١).

حديث النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة (٢).

حديث: ((أين الله)) قالت: في السماء قال: ((من أنا؟)) قالت: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أعتقها فإنها مؤمنة)) (٣). صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي بن عبد القادر السقاف - ص٢٢٣

الدليل من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء:

عن مجاهد قال: (قيل لابن عباس إن ناسا يقولون في القدر قال: يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه) (٤).

عن ابن عباس قال: (الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره).

عن قيس قال: (لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم؟ فقال عمر رضي الله عنه: ألا أريكم ههنا إنما الأمر من ههنا فأشار بيده إلى السماء) (٥).

عائشة رضي الله عنها قالت: (وايم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت - يعني عثمان رضي الله عنه - ولكن علم الله فوق عرشه أني لم أحب قتله) (٦). مختصر العلو لمحمد بن ناصر الدين الألباني- ص٩٥ فما بعدها

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤). من حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٥٣٧).

(٤) رواه ابن بطة في ((الإبانة)) (كتاب القدر) (١/ ٣٣٨)، والذهبي في ((العلو)) (٥٧)، وقال الألباني

في ((مختصر العلو)) (ص٢٩): صحيح.

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٥/ ٩)، والخلال في ((السنة)) (٢/ ٣١٧)، والذهبي في ((العلو)) (ص٧٧) وقال: إسناده كالشمس. وقال الألباني في ((مختصر العلو)) (ص٤٦): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) رواه عبد الرزاق في ((المصنف)) (١١/ ٤٤٧)، والبخاري في ((خلق أفعال العباد)) (١٤٨)، والدارمي في ((الرد على الجهمية)) (٨٣). قال الألباني في ((مختصر العلو)) (ص٥٢): صحيح.." [1]

"المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالملائكة

وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: فالمدبرات أمرا [النازعات:٥]، فالمقسمات أمرا [الذاريات:٤]. وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم. ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبرائيل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم. فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم. والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى: اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص. قال تعالى: كل آمن بالله وملآئكته وكتبه ورسله [البقرة:٢٨٥]، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم [آل عمران:١٧]،

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٦٨/٢

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور [سورة الأحزاب:٤٣]، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا [سورة غافر:٧]، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم [سورة الزمر:٧٥]، بل عباد مكرمون [الأنبياء:٢٦] إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون [الأعراف:٢٠٦]، فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون [فصلت:٣٨] كراما كاتبين [الانفطار:١١]، كرام بررة [عبس:١٦] يشهده المقربون [المطففين:٢١]، لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب [الصافات:٨]، وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم. فلهذا كان ال إيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي - ٢/ ٤٠٥." (١)

"المبحث الخامس: عبادة الملائكة

الملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لديهم القدرة على العصيان: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [التحريم: ٦].

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

ولعل هذا هو السبب الذي دعا فريقا من العلماء إلى القول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين، وإنهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد (١).

ويمكن أن نقول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم. أما القول بعدم تكليفهم مطلقا، فهو قول مردود، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة: يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥٠]. وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: وهم من خشيته مشفقون [الأنبياء: ٢٨].

مكانة الملائكة:

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة - بنات الله - دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٢٦٢

[الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بالخدمة، منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون ...

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين، ولا يعترضون على ما أمر من أوامره، بل هم عاملون بأمره، مسارعون مجيبون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء: ٢٧]، وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا [مريم: ٦٤])) (٢).

نماذج من عبادتهم:

الملائكة عباد الله، مكلفون بطاعته، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة. وسنورد - هنا - بعض العبادات التي حدثنا الله، أو رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم يقومون بها.

١ - التسبيح: الملائكة يذكرون الله تعالى، وأعظم ذكره التسبيح، يسبحه تعالى حملة عرشه: الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم [غافر: ٧]، كما يسبحه عموم ملائكته: والملائكة يسبحون بحمد ربهم [الشورى: ٥].

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع، لا في الليل، ولا في النهار: يسبحون الليل والنهار لا يفترون [الأنبياء: ٢٠]. ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة، وحق لهم أن يفخروا بذلك: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦].

---

(١) ((لوامع الأنوار البهية)) (٢/ ٤٠٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢١٨).." [1]

"ومن الصفات العظيمة الثابتة في الكتاب والسنة: «صفة العلو والفوقية»، والأدلة على إثباتها كثيرة ومتنوعة، هذا أوان سردها فألق سمعك، وأحضر قلبك، وتأملها تأمل طالب للحق لا نافر عنه، وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإياك وسوء الظن بكلام الله وكلام رسوله فذلك الهلكة، وما ضل من ضل، وهلك من هلك، إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة. والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٢٨٩

إلا بالله (١).

أحدها:

التصريح بالفوقية مقرونا بأداة «من» المعينة للفوقية بالذات.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠].

قال ابن خزيمة رحمه الله: فأعلمنا الجليل جل وعلا في هذه الآية أن ربنا فوق ملائكته، وفوق ما في السماوات وما في الأرض من دابة، وأعلمنا أن ملائكته يخافون ربهم الذي فوقهم (٢).

الثاني:

ذكرها مجردة عن الأداة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة أن يقتل من جرت عليه الموس، وأن تقسم أموالهم وذراريهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد حكم فيهم اليوم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سماوات» (٣).

---

(١) معارج القبول (١/ ٣٠٦).

(٢) التوحيد (ص١١١) لابن خزيمة.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٦٢ - ٦٣) (٨٢٢٣) وغيره، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٤٥).." [1]

"٣٤ - قتيبة بن سعيد: شيخ خراسان (٢٤٠هـ)

قال قتيبة بن سعيد رحمه الله: هذا قول الأئمة في الإسلام السنة والجماعة: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه، كما قال جل جلاله: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥].

فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع على المسألة، وقد لقي مالكا والليث وحماد بن زيد والكبار، وعمر دهرا وازدحم الحفاظ على بابه (١).

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٥

٣٥ – أحمد بن حنبل شيخ الإسلام (٢٤١هـ)

قال الإمام أحمد رحمه الله في «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٤٨ – ٤٩):

«أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال تعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [يونس: ٣]، وقد أخبرنا أنه في السماء فقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك: ١٧]، وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم﴾**، وقال: ﴿ذي المعارج﴾ [المعارج: ٣]، وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء.

---

(١) العلو (ص١١٠٣).." [1]

"والقديم جل جلاله، عال على عرشه، يدلك أنه في السماء عال على عرشه، قوله: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦]، وقوله: ﴿ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم﴾** [النحل: ٥٠] وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿ثم يعرج إليه﴾ [السجدة: ٥]، وزعم البلخي: أن استواء الله على العرش، هو الاستيلاء عليه، مأخوذ من قول العرب: استوى بشر على العراق، أي: استولى عليها.

قال: مما يدل على أن الاستواء – هاهنا – ليس بالاستيلاء، أنه لو كان كذلك، لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه، دون سائر خلقه، إذ هو مستول على العرش، وعلى سائر خلقه، ليس للعرش مزية على ما وصفته، فبان بذلك فساد قوله.

ثم يقال له أيضا: إن الاستواء، ليس هو الاستيلاء، الذي هو من قول العرب: استوى فلان على كذا، أي: استولى، إذ تمكن منه بعد أن لم يكن متمكنا، فلما كان الباري عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا، لم يصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء.

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٨٠

ثم قال: فإن قيل: ما تقولون في قوله: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦]؟
قيل له: معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش، كما قال: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة: ٢٠]، بمعنى على الأرض، وقال: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] يعني على جذوع النخل، فكذلك قوله: ﴿في السماء﴾ [الملك: ١٦] بمعنى: فوق السماء على العرش.." (١)

"٦٦ - ابن بطة (٣٨٧هـ)

قال الإمام الزاهد أبو عبد الله بن بطة العكبري شيخ الحنابلة في «الإبانة»:

«باب الإيمان بأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه. أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه، فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك، ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية: وهم قوم زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين.

وقالوا: إن الله ذاته لا يخلو منه مكان.

فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء، وهو بذاته حال في جميع الأشياء.

وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين.

فقيل للحلولية: لم أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش؟

وقال الله تعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥]. وقال: ﴿ثم استوى على العرش الرحمان فاسأل به خبيرا﴾ [الفرقان: ٥٩].

فهذا خبر الله أخبر به عن نفسه، وأنه على العرش.

وقال: ﴿وهو الله في السماوات﴾ [الأنعام: ٣]، ثم قال: ﴿وفي الأرض يعلم﴾ [الأنعام: ٣]، فأخبر أنه في السماء، وأنه بعلمه في الأرض.

وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]، فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا؟.

وقال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى *﴾ [الأعلى: ١] فأخبر أنه أعلى من خلقه.

وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، فأخبر أنه فوق الملائكة.

وقد أخبرنا الله تعالى أنه في السماء على العرش.." (٢)

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١٠٢

(٢) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١٠٤

"قال الذهبي رحمه الله: «فهذا النفس نفس هذا الإمام، وأين مثله في تبحره وذكائه وبصره بالملل فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف، ولا يعرفون إلا السلب، ونفي الصفات وردها، صم بكم عتم عجم، يدعون إلى العقل، ولا يكونون على النقل، فإنا لله وإنا إليه راجعون» (١).

٧٢ – ابن موهب (٤٠٦هـ)

قال العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة الإمام محمد بن أبي زيد:

«أما قوله: (إنه فوق عرشه المجيد بذاته) فمعنى (فوق) و (على) عند جميع العرب واحد. وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠].

وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى، إلى أن قال:

«وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى فوق، كقوله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ [الملك: ١٥] و ﴿في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] و ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦]. قال أهل التأويل: يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء، يعني فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: (إنه فوق عرشه) ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته. إذ لا تحويه الأماكن، لأنه أعظم منها، قد كان ولا مكان».

---

(١) مختصر العلو (ص٢٥٩).." (١)

"وأجد الله عز وجل يقول: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥]، ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الحديد: ٤]، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير *﴾ [الملك: ١٦ – ١٧]. ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ [النحل: ١٠٢]. ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧].

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١١١

وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال ﴿وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر: ٣٧].
وقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة *﴾ [المعارج: ٤] الآية.
ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على علو الرحمن – إلى أن قال:
إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلصنا من شبه التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته، واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له.." [1]

"وبرهان ذلك أنا لو فرضنا مسافرا سافر على كرة الأرض من جهة المشرق إلى جهة المغرب، وامتد مسافر المشي على كرة الأرض إلى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه، وهو في سفره هذا لم تبرح الأرض تحته، والسماء فوقه، فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض، لا تحتها، لأن السماء فوق الأرض بالذات، فكيف كانت السماء فوق الأرض، من أي جهة فرضتها ...
وإذا كان هذا جسم – وهو السماء – علوها على الأرض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى *﴾ [الأعلى: ١]، وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨].
لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له، فهو العلي بالذات، والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته، وعظمته، وعلوه. والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه. هو سبحانه علي بالذات، وهو كما كان قبل خلق الأكوان، وما سواه مستقل عنه بالذات. وهو سبحانه العلي على عرشه، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج الأمر إليه، فيحيي هذا، ويميت هذا، ويمرض هذا، ويشفي هذا، ويعز هذا، ويذل هذا، وهو الحي القيوم القائم بنفسه، وكل شيء قائم به (١).

---

(١) رسالة في «إثبات الاستواء والفوقية» (ص٣٢ – ٨٤).." [2]

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١١٨

(٢) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١٢٤

"٨١ - أبو عمرو الداني (٤٤٠هـ)

قال عالم الأندلس عثمان بن سعيد الداني رحمه الله في «الرسالة الوافية» (ص١٢٩ - ١٣٢):

«ومن قولهم: إنه سبحانه فوق سماواته مستو على عرشه، ومستول على جميع خلقه، وبائن منهم بذاته، غير بائن بعلمه، بل علمه محيط بهم، يعلم سرهم وجهرهم، ويعلم ما يكسبون على ما ورد به خبره الصادق، وكتابه الناطق فقال تعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥]، واستواؤه جل جلاله علوه بغير كيفية، ولا تحديد، ولا مجاورة ولا مماسة ...

قال جل جلاله: ﴿ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ [الحديد: ٤]. يعني أن علمه محيط بهم حيثما كانوا، بدليل قوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال عز وجل: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]. وقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك: ١٧]، وقال: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤]، وقال: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال مخبرا عن فرعون: ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لِي صرحا﴾ [غافر: ٣٦] الآية.." (١)

"٨٤ - أبو نصر السجزي (٤٤٤هـ)

قال في كتاب «الإبانة» الذي ألفه في السنة: «أئمتنا كسفيان الثوري، ومالك، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب، ويرضى، ويتكلم بما شاء» (١).

وقال رحمه الله: «لا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ... قال الله سبحانه: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون *﴾ [النحل: ٥٠] وقال: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿من الله ذي المعارِج * تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٣، ٤] وقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور *﴾ [الملك: ١٦] الآية والآية التي بعدها» (٢).

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١٢٥

وعند أهل الحق أن الله سبحانه مباين لخلقه بذاته فوق العرش بلا كيفية بحيث لا مكان. ثم ذكر حديث الجارية إلى أن قال:

ولقد قال الأوس بن حارثة بن ثعلبة عند موته قصيدة يوصي فيها إلى ابنه مالك وذلك قبل الإسلام فيها:

فإن تكن الأيام أبلين أعظمي ... وشيبن رأسي والمشيب مع العمر

فإن لنا ربا علي فوق عرشه ... عليما بما نأتي من الخير والشر

---

(١) مختصر العلو (ص٢٦٦ – ٢٦٧).

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٢٣).." [(١)]

"وكذلك نعجز عن وصف هيأتنا في الجنة ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتها ... فالله أعلى وأعظم، وله المثل الأعلى والكمال المطلق ولا مثل له أصلا، ﴿آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٥٢]» (١).

٨٦ – البيهقي (٤٥٨هـ)

قال الحافظ البيهقي رحمه الله في «كتاب الاعتقاد» له:

باب القول في الاستواء: قال الله تبارك وتعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥]، ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢]، وقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]، وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون *﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦]، وأراد من فوق السماء كما قال: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١]، يعني: على جذوع النخل. وقال: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة: ٢]، يعني: على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية – والله أعلم –: أأمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات.

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١٢٨

(١) العلو (٢/ ١٣٢٩ - ١٣٣٠)، تحقيق: الشيخ عبد الله البراك.." [1]

"قال أهل السنة: خلق الله السماوات والأرض، وكان عرشه على الماء مخلوقا قبل خلق السماوات والأرض، ثم استوى على العرش، بعد خلق السماوات والأرض، على ما ورد به النص، وليس معناه: المماسة، بل هو مستو على عرشه بلا كيف، كما أخبر عن نفسه.

وزعم هؤلاء: أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى فوق، فإن ذلك يوجب التحديد. وقد أجمع المسلمون أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن في قوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى *﴾ [الأعلى: ١].

وزعموا أن ذلك بمعنى: علو الغلبة، لا علو الذات. وعند المسلمين: أن لله عز وجل علو الغلبة، والعلو من سائر وجوه العلو، لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة. وفي منعهم الإشارة إلى الله سبحانه من جهة فوق، خلاف منهم لسائر الملل؛ لأن جماهير المسلمين وسائر الملل، قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه، من جهة الفوق في الدعاء والسؤال. فاتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات، سوى جهة الفوق.

وقال الله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤]» (١).

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١١٣ - ١١٥).." [2]

"ولكن هذا إنما يأتي مجردا عن «من» ولا يستعمل مقرونا بـ «من» فلا يعرف في اللغة البتة أن يقال: الذهب من فوق الفضة، ولا عالم من فوق الجاهل، وقد جاءت فوقية الرب مقرونة بـ «من» كقوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون *﴾ [النحل: ٥٠] فهذا صريح في فوقية الذات؛ ولا يصح حمله على فوقية الرتبة؛ لأن الظرف (فوق) جاء في هذه الآية مقيدا بحرف الجر (من)، والظروف المقيدة في اللغة العربية مثل (من فوق) و (من تحت) لا تعني إلا معاني الظروف الحقيقية لا المجازية، وتختلف

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١٣٢

(٢) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/١٤٤

عن جميع الظروف التي تأتي غير مقيدة مثل (فوق) و (تحت) التي قد تعني الحقيقة أوالمجاز أو كليهما معا، ويحدد ذلك القرآن. انظر مثلا قوله تعالى: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ [النحل: ٢٦] ﴿تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن﴾ [الشورى: ٥]، ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ [فصلت: ١٠]، ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ [الزمر: ١٦]. ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾ [الزمر: ٢٠]. ﴿يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾ [النور: ٤٠]. ﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ [الزخرف: ٥١]. ﴿فناداها من تحتها﴾ [مريم: ٢٤].." [١]

"﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ [الأنعام: ٦٥].

﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠].

العاشر:

إذا كان العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا ولا يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماعا فنفي حقيقتها عين الباطل ... فلو لم يقبل العلو والفوقية لكان كل عال على غيره أكمل منه. فإن في المخلوقات ما يوصف بالعلو دون السفول كالسموات، وما كان موصوفا بالعلو دون السفول كان أفضل مما لا يوصف بالعلو (١) والخالق أكمل من المخلوق. فكيف تكون المخلوقات أكمل من الخالق سبحانه وتعالى؟! (٢).

فأنتم لم ترضوا أن تجعلوا علو الله أكمل من علو غيره، ولا جعلتموه مثل علوه؛ بل جعلتم علو الغير أكمل من علوه، وهو يحتاج إلى ذلك الغير الذي هو مستغن عنه، وكل هذا إفك وبهتان عظيم على رب العالمين (٣).

الحادي عشر:

أنه لو كانت فوقيته سبحانه وتعالى مجازا لا حقيقة لها، لم يتصرف في أنواعها وأقسامها ولوازمها، ولم يتوسع فيها غاية التوسع؛ فإن فوقية الرتبة والفضيلة لا يتصرف في تنويعها إلا بما شاكل معناها نحو قولنا: هذا خير من هذا وأفضل وأجل وأعلى قيمة ونحو ذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٠٢).

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٤٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٨).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٨٧).." [١]

"ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطب، لم يكن ميسرا له، بل كان معسرا عليه، فهكذا إذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني، أو يدل على خلافه فهذا من أشد التعسير، وهو مناف للتيسير؛ فإنه لا شيء أعسر على الأمة من أن يراد منهم أن يفهموا من آيات الصفات ما لا تدل عليه، بل تدل على خلافه ويقول: اعلموا يا عبادي أني أردت منكم أن تعلموا أني لست فوق العالم، ولا تحته، ولا فوق عرشي، ولا ترفع الأيدي إلي ولا يعرج إلي شيء، ولا ينزل من عندي شيء من قولي: ﴿الرحمان على العرش استوى *﴾ [طه: ٥]. ومن قولي: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]. ومن قولي: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤]. ومن قولي: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]. ومن قولي: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥]. ومن قولي: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ومن قولي: ﴿سبح اسم ربك الأعلى *﴾ [الأعلى: ١]. ومن قولي: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦]. ومن قولي: ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢]. ومن قولي: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ [النحل: ١٠٢].." [٢]

"العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده).

٦ - (الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون، وشهده فيه أو عنده أو قبله، أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس العارف، بسحب الآثار).

٧ - (علم منك أنك لا تصبر عنه، فأشهدك ما برز منه).

٨ - (لولا ظهوره في المكونات! ما وقع عليها أبصار، ولو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته).

٩ - (الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان! فالأولى لأرباب الاعتبار، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار).

ب- أقواله في النهي عن دعاء الله، مما لا يقول به من لديه إنارة من علم أو إيمان:

١ - (سؤالك منه اتهام له).

ويستدل ابن عطاء الله على ذلك بحديث باطل على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام: حسبي من سؤالي

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٥٠

(٢) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٣٤٥

علمه بحالي، وهو مخالف للآيات والأحاديث الكثيرة التي تحض على دعاء الله كقوله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ أي: عن دعائي ﴿سيدخلون جهنم داخرين (٦٠)﴾ وقوله سبحانه: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ (١).

٢ - (من عبده لشيء يرجوه منه، أو ليدفع عنه ورود العقوبة منه، فما قام بحق أوصافه).

هذا الكلام هو كقول رابعة العدوية المنحرف: (ما عبدتك خوفا من نارك، ولا رغبة في جنتك، ولكني عبدتك لأنك أهل للعبادة) وهذا مخالف لعبادة الملائكة الذين يخافون **ربهم من فوقهم**، وعبادة الأنبياء الذين يعبدون الله سبحانه رغبا ورهبا!.

٣ - (لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج).

٤ - (ربما دلهم الأدب إلى ترك الطلب).

ليت هذا الجاهل علم أن الأمر بالعكس، فإن ترك الطلب هو العصيان، وقلة الأدب!

٥ - (من عبده لشيء يرجوه منه، أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه، فما

---

(١) غافر الآية (٦٠).." [1]

"﴿ولا يحيطون به علما (١١٠)﴾ (١)، ﴿هل تعلم له سميا (٦٥)﴾ (٢)، ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي. (٣)

ونقل عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش من كتابه أقسام اللذات كلاما يدل على رجوعه، وقال ابن القيم إنه آخر ما ألف. قال: واعلم أن بعد التوغل في هذه المضايق والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق، رأيت الأصوب الأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم، وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السماوات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل، فأقرأ في التنزيل قوله تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد (١)﴾ (٦) وأقرأ في الإثبات قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى (٥)﴾ (٧) وقوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ (٨) وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (٩)

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٨٠/١٠

(١) طه الآية (١١٠).

(٢) مريم الآية (٦٥).

(٣) درء التعارض (١/ ١٥٩ - ١٦٠).

(٤) محمد الآية (٣٨).

(٥) الشورى الآية (١١).

(٦) الإخلاص الآية (١).

(٧) طه الآية (٥).

(٨) النحل الآية (٥٠).

(٩) فاطر الآية (١٠).." [١]

"كل ذلك من المعيتين العامة والخاصة (لم ينف للعلو) يعني لا ينفي إثبات صفة العلو للباري جل وعلا، والمراد بالعلو هنا العلو الذاتي، وأما العلو هذا لا خلاف فيه على التسليم على ما قاله المصنف رحمه الله تعالى، كل ذلك (لم ينف للعلو) بعض النسخ لم ينف العلو بدون اللام والظاهر أنها باللام، (لم ينف للعلو) المذكور في النسخ السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾، ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: ٥]، (والفوقية) عطف على العلو وهو رديفه في المعنى، أي: ولم ينف قوله عز وجل ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] فما دل عليه فوق هو الذي دل عليه لفظ العلو (لم ينف للعلو والفوقية) وهما بمعنى واحد، وقوله النبي - صلى الله عليه وسلم -: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه». الحديث فيه كلام، بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه عز وجل وبين علوه، فإنه العلي في دنوه [نعم].

فإنه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه

فإنه هو العلي المتصف بجميع معاني العلو ذاتا وقهرا وشأنا في دنوه، دنو القرب كما مر معنا فهو جميع ما بين الوصفين، فيدنو يعني يقرب الباري جل وعلا من خلقه كيف شاء، لو جعلت تنافيا بينهما نقول: التنافي فرع التكييف، متى يحصل التعارض بين الجمع بين العلو الذاتي والمعية الخاصة أو القرب من عبده

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٧/٢٨٥

نقول متى؟ إذا كيف إذا استحضر في ذهنه كيفية ما حينئذ جاء التعارض، وأما إذا لم يكيف حينئذ نسلم بكل، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء، ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافيا فوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ﴿ليس كمثله شيء﴾.." [(١)]

"وهو كما وصف نفسه فى كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، يقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول يذهب بدولة ويأتى بأخرى ..

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (١).

والرسل من ملائكته عليهم الصلاة والسلام بين صاعد بالأمر، ونازل من عنده بالأمر ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (٢)، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ (٣).

ينفذون أوامره فى أقطار الممالك، وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته ..

ما شاء الله كان فى الوقت الذى شاء على الوجه الذى يشاء من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير ..

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ١٤٠.

(٢) سورة التحريم – من الآية ٦.

(٣) سورة النحل – الآية ٥٠.." [(٢)]

"الأدلة العقلية والنقلية على علو الله تعالى

واستواء الله جل وعلا صفة فعلية كما بينها الله لنا وأثبتها في كتابه سبحانه، وأثبتها له رسوله، بل وأجمع الصحابة الكرام على استواء ربنا جل وعلا على عرشه، والعقل يقبل ذلك والفطر السليمة كما سنبين.

أما بالنسبة للكتاب: فإن كل دلالات العلو المطلق يستدل بها على العلو المقيد والاستواء على العرش.

قال الله تعالى: (وهو العلي الكبير﴾ [سبأ:٢٣]، وقال جل في علاه: (الكبير المتعال﴾ [الرعد:٩]، والقاعدة في أسماء الله تعالى تقول: إن أسماء الله تعالى كلها حسنى، ومعنى الحسن هنا: أنها متضمنة لصفة كمال مندرجة تحتها، فالعلي: يتضمن صفة العلو، والرحيم: يتضمن صفة الرحمة، والكريم: يتضمن صفة الكرم وهكذا.

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢٢/٨

(٢) اليقين في معرفة رب العالمين، محمد علي محمد إمام ص/١٠

فإن قيل: فهل (النور) اسم من أسماء الله؟ ف

A لا؛ لأنه صفة من صفات الكمال وليس اسما.

أما الدلالات الأخرى: فبالتصريح أنه استوى وعلا على عرشه، كما قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]، أي: علا وارتفع سبحانه وتعالى، وقول الله تعالى: (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الحديد:٤] إذا: فالاستواء جاء بعد خلق السماوات والأرض، وقال تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود:٧].

فهذه دلالات من الكتاب على استواء الله جل وعلا بالتصريح على عرشه، يعني: أنه علا وارتفع على العرش.

ومن الدلالات على علو الله جل وعلا على عرشه أيضا: التصريح بالفوقية، فالفوقية تدل على أنه فوق العرش، كما قال ابن مسعود: (والعرش فوق السماء السابعة، والله فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أفعالكم).

قال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨]، وهذا الدليل والشاهد، وقال الله تعالى عن الملائكة: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، فالملائكة في السماء والله من فوقهم، أي: من فوق عرشه سبحانه وتعالى.

ومن الدلالات الفوقية: التصريح بالعندية، أي: أن الله جل وعلا ينزل بأمره من عنده، فالتصريح بالعندية يدل أيضا على علو الله جل وعلا، كما قال الله تعالى: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأنبياء:١٩]، أي: الملائكة، فالعندية هنا تدل على: العلو والفوقية.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب كتابا عنده، أن رحمتي سبقت غضبي)، فالعندية هنا أيضا تدل على: علو الله جل في علاه.

ومن الدلالات أيضا على علو الله واستواءه على عرشه: رفع الأعمال إليه، وعروج الملائكة إليه، وأن الكلم الطيب يصعد إليه، وأن الأوامر تنزل من عنده، وكذلك الرفع الذين يكون من النزول إلى العلو، فكل هذه المعاني تدل على العلو لله سبحانه وتعالى.

أما بالنسبة للرفع: فقد قال الله عن عيسى -بعدما كذب اليهود الذين ادعوا وزعموا أنهم قتلوه ظلما وزورا وهو رسول الله- قال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨]، والرفع يكون إلى أعلى، فهذه دلالة أيضا على فوقية الله جل في علاه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن الله جل وعلا: (يرفع القسط ويخفضه)، وصرح بالعروج إليه فقال: ﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج:١ - ٤].

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن لله ملائكة يسيحون في الأرض، ينظرون إلى حلق الذكر، وإلى حلق العلم، فيلتفون حول هذه الحلق ويكتبون الأسماء، فيعرجون بها إلى الله فيسألهم وهو أعلم بهم، ماذا كانوا يفعلون؟ قالوا: يكبرونك ويهللونك ويحمدونك، فيقول: ماذا يسألون؟ فيقولون: الجنة، فيقول: أعطيتهم الجنة وعصمتهم من النار، ثم يقول ملك: ربي! إن فلانا قد جاء لحاجة، فيقول الله جل وعلا -وهي أكبر بشارة لطلبة العلم- فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)، فالملائكة تعرج إلى الله جل وعلا، فدل ذلك على الفوقية، وأن الله فوق عرشه بائن من خلقه سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الملائكة تتعاقب فينا وتصعد بأعمالنا في الصبح والعصر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فيصعد الذين باتوا فيكم)، أي: يصعدون إلى الله جل وعلا بعدما كتبوا أعمال عباده جل في علاه، فهذه أدلة أيضا تدل على الفوقية.

وكذلك النزول: فإنه يدل على الفوقية، قال الله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ [النساء:١٦٦]، والنزول لا يكون إلا من علو، قال: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه﴾ [النساء:١٦٦]، وقال الله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ [النحل:٢]، والتنزيل لا يكون إلا من علو إلى سفل أيضا.

فالغرض المقصود: أن النزول أو العروج أو الصعود أو الارتفاع، كل هذا يدل أيضا على علو الله على خلقه.

ومن الأدلة التي تدل على فوقية الله على خلقه أيضا: أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت فيها علو الله، فلما صفع معاوية بن الحكم السلمي الجارية وتراجع عما فعل، وندم على ذلك، قال: (يا رسول الله! أعتقها)، وقد لطمها على خدها لأن الذئب خطف منها غنمة أثناء رعيها لها، وهو صاحب جبلة بشرية يغضب ويسخط، فندم على ما فعل فقال: يا رسول الله! أعتقها؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ائتني بها، فجاءت الجارية، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أين الله؟)، وهذا رد على الذين يمنعون Q بأين، وأن من سأل: بأين كفر، كما سنبين في ذلك، قال: (أين الله؟ قالت: في السماء)، ومعنى في السماء: أي: على السماء، وهذا مصداق لقول الله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦]، أي: الذي على السماء.

والدليل على أن في هنا بمعنى على: قول الله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ [الملك:١٥]، أي: امشوا على الأرض، وقال أيضا: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه:٧١]، فهل شق جذوع النخل ليصلبهم فيها؟ فالمعنى إذا: على جذوع النخل.

وتأتي من أيضا بمعنى العلو، كما قال الله تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ [ق:٩] والسحاب هي التي تمطر وليست السماء، قال: ((ونزلنا من السماء))، أي: من العلو، فالسمو: يعني: العلو (فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ قالت: في السماء)، فربط النبي صلى الله عليه وسلم إيمانها هنا باعتقادها الصحيح في علو الله جل في علاه.

قال: (أين الله؟ قالت: في السماء، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اعتقها فإنها مؤمنة)، فربط إيمانها باعتقاد صحيح: وهو اعتقاد علو الله جل في علاه.

ومن الأدلة أيضا: لما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في خطبة الوداع بالوصايا، ثم قال: (هل بلغت؟ قالوا: نعم بلغت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم فاشهد، وكان يشير بإصبعه إلى السماء)، فهذه أدلة تثبت علو الله جل وعلا من الكتاب والسنة.." (١)

"فوقية الله عز وجل واستواؤه على العرش

قال الشارح رحمه الله تعالى: [قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوءة كلها بما هو نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه، مثل قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالى: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٣ - ٤]، وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة:٥]، وقوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ [البقرة:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٦/١٦

يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ [يونس:٣]، فذكر التوحيدين في هذه الآية].
المقصود بالتوحيدين توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة -توحيد التأله-، وهذا هو أعظم ما جاءت به الرسل، وأوجب ما يجب على الإنسان أن يفعله، والله جل وعلا لا يقبل من العبد حتى يوحد، وسمي توحيد الأسماء والصفات لأن الله يختص به وحده لا يشاركه فيه أحد غيره -تعالى وتقدس- فهذه الصفات خاصة به جل وعلا، وكل صفة يتصف بها لا يشاركه فيها خلقه، وإن شاركوه في اللفظ أو في مجرد التسمية أو المعنى العام من بعيد، ولكن إذا أضيف الشيء لله فهو خاص به، ولا يجوز أن يكون خلقه مشاركين له، فعلوه خاص به جل وعلا، ولا يمكن أن يكون شيء من الخلق فوقه.." (١)

"دليل آخر على علو الله تعالى على خلقه

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون كم بين السماء والأرض، قلنا: الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم) أخرجه أبو داود وغيره].
هذا الحديث من أدلة علو الله جل وعلا على خلقه، وهذا أمر قد تضافرت عليه أدلة الكتاب والسنة، وكذلك دلالة العقل مع دلالة الفطر التي فطر الله جل وعلا عليها خلقه، ولا يخالف هذا إلا ضال مخالف للحق اليقيني، وقد خالف كثير من الخلق ذلك فتأولوا النصوص الصريحة الواضحة التي جاءت في كتاب الله، وفي أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، واتفقت عليها الأمة التي اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن مخالفة النصوص الصريحة جرأة على الله جل وعلا، وجرأة على دينه، وكذلك تعطيل لصفاته التي تعرف بها إلى عباده، وهذا الحديث سرد من مجاميع كثيرة تدل على علو الله، ولكن المصنف اختاره لما فيه من الصراحة في ذكر المسافات بين الأرض والسماء، وبين كل سماء مع التي تليها، وكذلك ذكر صراحة المسافة التي تكون في كل سماء، أعني: سمكها وارتفاعها، ثم إنه ذكر أن الله فوق ذلك كله صراحة، أمر لا يحتمل تأويلا، ولا يحتمل تحريفا، فاختاره لأجل ذلك، وإلا فكتاب الله مملوء من ذكر علو الله على خلقه، كما قال الله جل وعلا: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤] في آيات متعددة، في سبع آيات من كتاب الله كلها فيها ذكر استوائه

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٢/١٣٨

على العرش، مرتبا على خلق السماوات والأرض بـ (ثم) التي تقتضي الترتيب مع التراخي، وفي كتاب الله كثير من الآيات تدل على أن الله فوق خلقه، كما في قوله جل وعلا: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر:١] في آيات متعددة، والنزول لا يكون إلا من العلو إلى الأسفل، وكقوله جل وعلا: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠]، وكقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨].

ولو أن الإنسان أراد أن يحصي النصوص التي جاءت في فوقية الله وعلوه ما تهيأ له ذلك إلا بكلفة وبوقت، فكيف يجوز للمسلم أن يخالف هذه النصوص؟ وما السبب الذي يدعو إلى هذا؟ الواقع أنه ليس هناك إلا سبب واحد فقط، وهذا إذا كان المخالف مسلما، أما إذا كان غير مسلم فالأمر غير هذا، فسبب قول المخالف المسلم هو ما يتوهم من التشريك، وهي أمور وهمية لا حقيقة لها، فهم يقولون: لو قلنا: إن الله فوق؛ لاقتضى ذلك أن يكون في جهة، والجهة تكون محصورة، وكل ما حوته الجهات فهو جسم.

فهذا هو السبب، وهذه هي الشبهة التي دعتهم إلى إنكار ما هو ثابت في كتاب الله، وفي أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الشبهة باطلة داحضة؛ وذلك أن الله جل وعلا ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في أوصافه التي يتصف بها، وقد بين لنا ربنا ذلك.

ثم إنه يجب على العبد أن يقبل من الله جل وعلا ما قاله وما علمه خلقه وعباده المؤمنين، وكذلك يقبل ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الأدلة الواضحة على وجوب ذلك قول الله جل وعلا: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة:٦٧]، فلو كان ما يقولونه حقا، للزم منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ ما أنزل إليه، ومن اعتقد هذا فليس بمسلم فضلا عن أن يكون على الحق الصواب الذي اختلف فيه؛ لأنه لم يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ الذي أخبرنا ربنا جل وعلا أنه بلغه، وقام بما يلزم، فلو كان ما يقولونه هذا حقا للزم هذا الكفر -نسأل الله العافية-، وذلك أن الأمة التي امتثلت أمر الله، واتبعت الرسول صلى الله عليه وسلم شهدت لرسول الله صلى الله عليه سلم بالبلاغ المبين، وبالنصح التام، وبأنه لم يترك شيئا يقرب الأمة للخير إلا ودلهم عليه، وبينه لهم، ولم يترك شيئا يبعدهم عن الخير إلا حذرهم منه.

فقد كان في آخر حياته صلوات الله وسلامه عليه يسألهم: (أنتم مسئولون عني فماذا أنتم قائلون؟ فيقولون: نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، فيقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد)، وهذا أمر متواتر.

والمقصود أن هذا من الأدلة الواضحة على وجوب قبول ذلك واتباعه، والأدلة على هذا كثيرة.

ثم إن كل من احتاج إلى ربه لمسألة يسأله لابد أن يرفع يديه إلى السماء، يقول: يا رب! يا رب! ويجد لهذا دافعا يدفعه في قرارة نفسه، فهو خلق على ذلك، ووضع في قلبه وفي عقله، فما يستطيع أن يكف نفسه عن هذا، وهذه الفطرة التي فطر الله جل وعلا عليها خلقه.

نحن نقول في صلاتنا: (سبحان ربي الأعلى)، وعلى مقتضى قول هؤلاء المبطلين الضالين يجوز أن نقول: سبحان ربي الأسفل! تعالى الله؛ لأنهم يقولون: إن الله في كل مكان.." (١)

"أهل الكلام ونهاية المطاف

قال الشارح: [وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء بكلام تسمعه الملائكة، وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفا وخلفا، خلافا للأشاعرة والجهمية ونفاة المعتزلة، فإياك أن تلتفت إلى ما زخرفه أهل التعطيل! وحسبنا الله ونعم الوكيل!] أما كونه يدل على علو الله جل وعلا فهذا ظاهر؛ لأنه ذكر النزول، وذكر أن أول من يسمع حملة العرش الذي هم قرب العرش؛ لأن العرش حوله ملائكة يطوفون به، ويسبحون بحمد الله: ﴿ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر:٧] ثم بعد ذلك ينفذ إلى أهل السماء السابعة، ثم للتي تليها وهكذا، فهو يدل على علو الله، وعلو الله جل وعلا أمر فطري؛ ولهذا جعل العلماء مسألة العلو من صفات الذات، يعني: أن علو الله ذاتي، بمعنى: أنه لا ينفك عنه بحال من الأحوال، ويك،ن دائما هو الأعلى في أي وقت كان، ولا يمكن أن يكون شيء فوقه، تعالى الله وتقدس، والشبه التي أوجدها نفاة العلو هي شبه تطرأ على النفوس والفطر، وإلا فالخلق كلهم مفطورون على أن الله عال على خلقه، ولهذا علمهم المرشد إلى الهدى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدهم: سبحان ربي الأعلى في سجوده، إذا جعل رأسه أخفض شيء من بدنه، ووضعه على الأرض، يقول: سبحان ربي الأعلى؛ لأنه هو العالي على كل شيء تعالى وتقدس، وكذلك كل عبد من عباد الله سواء كان مسلما أو كان كافرا، إذا احتاج واضطر إلى دعوة الله جل وعلا فإنه يدعو الله من فوق، ما تجده يلتفت يمينا أو شمالا، ولا أسفل، بل يمد يديه فوق، يقول: يا رب! يا رب! ولا أحد علمه هذا، وإنما هذا شيء موجود في فطرته، ولهذا لما كان إمام الحرمين عبد الملك الجويني في هذا المسجد الشريف -مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم- يقرر ويتكلم في العلم ويقول: ك ان الله ولا مكان، وهو الآن على ما كان عليه قبل خلق المكان، ويتكلم بمثل هذه الكلمات التي توهم، فقام رجل أمامه وقال: دعنا من هذا الكلام الذي لا نفهمه، وكثير منا لا يدري ما حقيقته، ولكن

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٦/١٣٨

أخبرني: عن شيء أجده أنا في نفسي، ويجده كل واحد حتى أنت تجده في نفسك، ما هذه الضرورة التي في قلوبنا إذا دعا أحدنا ربه رفع يديه إلى السماء وقال: يا رب! يا رب؟! كيف ندفعها؟ فوضع يده على رأسه، ونزل من على الكرسي الذي كان عليه، وصار يبكي ويقول: حيرني الرجل! فلا يدري ماذا يقول وماذا يجيب لأن عقيدته على خلاف الحق، والوحي الذي جاء من عند الله يتفق تماما مع الفطرة التي فطر عليها الناس، وما أكثر ما يذكر الله جل وعلا الأدلة الواضحة الجلية التي تدل على علوه! كما يقول جل وعلا: ﴿تنزيل الكتاب من الله﴾ [الجاثية:٢] ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦]، في أشياء لا حصر لها، كلها أدلة صريحة واضحة على علو الله جل وعلا، ومع ذلك يحاول أهل البدع الذين اعتاضوا عن الوحي المعصوم بالآراء التي تخطئ كثيرا، وتضل كثيرا، وصارت عقوبتهم أن تحيروا، ثم هذا الذي يقول ذلك عند الموت يتحير، وهذا الجويني عفا الله عنا وعنه كان -في الواقع- يطلب الحق ولكنه ما وجده، ولا قيض الله جل وعلا له من يبينه له؛ لأن الإنسان إذا تلقى شيئا من مشايخه وفي بيئته يصعب أن يهتدي إليه لمجرد أن يسمع نصا، لأنه يستبعد كثيرا أن يكون المشايخ الذين تلقى عنهم العلم من الصغر تركوا هذه النصوص ولم يفهموها، أو خالفوها، فيحاول أن تكون النصوص متفقة مع ما يقولونه، فكان عند وفاته يقول: يا أصحابي! لا تشتغلوا بالكلام، فوالله لو كنت أظن أنه يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به، ويقول: هأنذا قد تركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت البحر الخضم، والآن إن لم يتداركني ربي فالويل لي، ويقول: هأنذا أموت على عقيدة عجائز نيسابور؛ لأنه من أهل نيسابور.

وكذلك غيره من الأذكياء مثل الفخر الرازي عفا الله عنا وعنه، فإنه حار في آخر حياته، وهو أيضا من ذلك البلد، وقد كان كثير الكلام جدا؛ وكثير التأويل لكلام الله الصريح، ويصرفه عن ظواهره، وفي النهاية ذكر أنه ألف كتابا سماه: كتاب اللذات، ثم جاء إلى العلم وقال: لذة العلم، وتكلم بكلام يدل على أنه ما استفاد شيئا من العلم، وقال فيه: وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال إلى آخر ما قال.

فدل على أنه حائر ما استفاد شيئا.

وذكر المؤرخون أنه كان له تلميذ من أذكى تلامذته، وصار هو خليفته والمرجع في المسائل التي يختلف فيها في الكلام ونحوه بعد وفاة شيخه، وكان له صديق من الحنابلة، فدخل مرة عليه وهو في مجلسه وحده، وكان مستغرقا في التفكير، فدخل عليه وسلم، فلم يشعر به لاستغراقه في تفكيره ونظره، فأعاد السلام الرجل مرة أخرى، فلم يشعر، فأعاد مرة ثالثة، فلم يشعر، فقال في نفسه: ما دهاه؟! وهم أن ينصرف، عند

ذلك رفع رأسه إليه وقال: يا فلان! ماذا تعتقد؟ فضحك عليه ساخرا فقال: ماذا أعتقد؟! أعتقد ما يعتقده المسلمون والحمد لله، فأطرق رأسه وجعل يبكي، ويقول: والله ما أدري ماذا أعتقد؛ لأنه اشتغل بالكلام، وترك كتاب الله، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الهدى والنور.

وذكروا في ترجمة الرازي أيضا أنه مرة في نيسابور كان معه أكثر من ثلاثمائة تلميذ خلفه، خرج بهم إلى السوق، وعجوز في بابها واقفة تنظر، فسألت واحدا منهم فقالت: من هذا الملك؟ فقال: ليس هذا ملكا، هذا فخر الدين الرازي يعرف على وجود الله ألف دليل، يقول هذا الكلام ليعظمه في نفسها، فضحكت ساخرة منه وقالت: يعرف ألف دليل؟! وهل وجود الله يحتاج إلى ألف دليل؟! والله لو لم يكن عنده ألف شك ما احتاج إلى أن يعرف ألف دليل! وهذا الجويني الذي يقول: هأنذا أموت على عقيدة عجائز نيسابور، يعني: أنهن يمتن على الفطرة التي فطرن عليها، أحسن من الذين توغلوا في علم الكلام الذي يزيد في الشكوك والحيرة.

فلا ينكر علو الله إلا من كان بهذه المثابة، تحير وأصبح عنده من الشكوك والريب ما يدفع به النصوص، وإلا فالأدلة على وصف الله جل وعلا بأنه يتكلم، وبأنه يسمع ويبصر، وبأنه يرى، وبأنه يرى يوم القيامة يراه المؤمنون، بل رؤيته هي أفضل النعيم، وبأنه فوق، وبأنه: (ينزل إلى سماء الدنيا -كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم- كل ليلة ويبسط يده يقول: هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من سائل فيعطى؟ حتى يطلع الفجر) وهذا كل ليلة.." [1]

"خوف السر الواقع من عباد القبور

قال الشارح رحمه الله تعالى: [الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال تعالى: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠]، وقال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن:٤٦]، وقال تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة:٤٠]، وقال تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ [المائدة:٤٤]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام: أحدها: خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله، من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام أنهم قالوا له: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٩/٥٢

تنظرون﴾ [هود:٥٤ – ٥٥]].

معروف عند عباد الأولياء والقبور ما يسمى بخوف السر، أي: أن صاحب القبر فيه سر، فمن قدم له طاعة ونذورا نفعه سره وجاءه النفع منه، ومن لم يفعل ذلك فإن سره يضره، وقد يميته أو يمرضه أو يفقره، أو يميت أولاده وما أشبه ذلك، هكذا يتصورونه.

والمعنى: أنه خوف غيبي؛ فهو يخافه وهو غائب عنه، وهذا المخوف إما غائب مجهول، وإما في بلد آخر، وإما أنه مما لا يسمع الكلام كشجرة العزى أو حجر كاللات ومناة، أو غير ذلك من المعبودات التي تعبد، ولولا أنهم يرجون نفعها ويخافون ضرها ما عبدوها وما قدموا لها.

وذكر عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أنه قال لما كان في الشرك: أرسلني أهلي بلبن وزبد للصنم، وكنت محتاجا له، ولكن منعني خوف الآلهة أن آكل منها شيئا، فجئت ووضعتها عنده، فجاء الثعلب فأكلها وشربها، ثم بال عليه.

سبحان الله! كيف ينطلي على عقل الإنسان أن يخاف حجرا أو شجرة، ويقدم لها ما يقدم؟ وهكذا فعل بعض شباب الأنصار في أحد ساداتهم لما تأخر إسلامه، وهو عمرو بن الجموح حين كان له صنم، فكانوا يجتمعون في الليل، فيأتون الصنم وينكسونه على رأسه، ثم إذا جاء الصباح أخذه ومسح عنه الغبار، وقال: لو أعلم من صنع بك هذا لفعلت به كذا وكذا، وفي الليلة الأخرى جاءوا وألقوه في مزبلة منكسا، فجاء وغسله، وقال: لو أعلم من صنع بك هذا لفعلت به كذا وكذا، وفي الليلة التي تليها جاءوا ونكسوه وربطوا فيه كلبا ميتا، ثم جاء ونظر إلى حالته وفكر في نفسه، قال: والله إنه لهين! ما قيمة هذا الإله الذي يربط به كلب، ويلقى في المزبلة في النجاسات والقاذورات؟! هل هذا يجوز أن يعبد؟! فانتبه وهداه الله جل وعلا.

عقول سخيفة لعب عليها الشيطان، فصارت تخاف إما من ميت مقبور تحت الثرى، لا يستطيع أن يمتنع من الديدان التي تمزق بدنه، ولا يستطيع أن يضع من صحيفة سيئاته سيئة واحدة، ولا أن يضيف إلى صحيفة حسناته حسنة واحدة.

فالحي أقدر منه على الاستغفار والعمل وغير ذلك، وأما ذاك فهو مرتهن بعمله، فكيف يرجى؟ وكيف يخاف؟ وكيف يتجه إليه؟ لولا أن الشيطان يلعب على الإنسان ويفسد عقله، ويأتيه بالأمور التي تكون عنده معظمة، مثل أن فلانا وفلانا يعمل هذا، وأن فلانا عمل هذا وصار له كذا وصار له كذا، وهكذا الذين يعبدون الأولياء عمدتهم كلها خرافات، إما منامات يأتي بها الشيطان، أو حكايات مكذوبة لا أصل لها، أو توهمات يوهمهم إياها الشيطان.

ولهذا يذكر الله جل وعلا أنه ليس لهم على ذلك من دليل ولا برهان بل الأدلة والبراهين على خلاف ذلك، والمقصود: أن خوف السر يعني به الخوف الغيبي، فهو يخاف منه وهو غائب عنه ليس حاضرا، إما أن يكون مدفونا، أو لا يسمع، أو بعيدا في بلد آخر، أو أنه في بيته معلقا عليه بابه ويخاف أنه يصيبه شيء إذا خالف معبوده، كما هو الواقع من المشركين قديما وحديثا، والشرك وإن اختلفت أساليبه وأسبابه فهو شيء واحد.." (١)

"موجز كلام السلف في أدلة العلو المحكمة والصريحة

الخلاصة: أنه هنا أراد أن يقرر العلو مقترنا بالاستواء والاستواء مقترنا بالعلو وهما متشابهان، وقد ذكر الأئمة أدلة العلو الصريحة ونوجزها الآن؛ لأنه هنا انتهى من مسألة الاستدلال على العلو والعرش، وسيدخل في موضوع جديد نجعله للدرس القادم، لكن أحب أن أوجز كلام السلف في أدلة العلو التي هي محكمة وقوية وذكرها أكثر من واحد من الأئمة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع، وابن القيم في رده على الجهمية في الصواعق وفي غيره، وكذلك لخص هذا الرد ابن أبي العز في (شرح العقيدة الطحاوية)، فتتلخص أدلة إثبات العلو والاستواء -خاصة العلو الذاتي لله عز وجل- بما يلي: أولا: التصريح بالفوقية لله عز وجل، فقد ورد التصريح بأن الله فوق عباده، كقوله عز وجل: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، فهذا تصريح بالفوقية لله عز وجل، وأصحاب التأويل يقولون: إن الفوقية تشعر بالجهة، فيقال لهم: ما الجهة التي تهربون منها؟ سيقولون: الفوق والعلو، فهربوا من إثبات الحق ووقعوا فيما وقعت فيه الفلاسفة الملاحدة الذين ينكرون أن يكون لله وجود ذاتي.

وكذلك من أقوى أدلة العلو: ثبوت النزول، سواء نزول الباري عز وجل أو نزول الأشياء منه، فقد أنزل الله القرآن وتنزل الملائكة من عنده، والنزول ثابت بنصوص قطعية، خاصة أحاديث النزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وخاصة النزول الذي ثبت له في الثلث الأخير من كل ليلة، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا في الثلث الأخير من كل ليلة) ونزوله عز وجل عشية يوم عرفة أو يوم عرفة يباهي بالحجاج ملائكته، فهذا النزول ثبت في مقتضى النص الصحيح الصريح الذي لا يمكن دفعه، ولكن على ما يليق بجلال الله عز وجل، ونحن نعلم قطعا أن النزول لا يلزم منه إخلاء العرش، ولا يلزم منه ما يلزم عند المخلوقات من نوع الحركة ونوع الانتقال، وإلا فالله عز وجل لابد أن يثبت له ما أثبته لنفسه.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٨/٨٨

فالنزول دليل على إثبات العلو والفوقية، وهو يتضمن معنى الاستواء.

ومن ذلك أيضا: صعود الأشياء إليه، قال عز وجل: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر:١٠]، وكذلك رفع الأشياء إليه ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠]، وكقوله عز وجل في حق عيسى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨] فالرفع لا يكون إلا إلى أعلى، ولا يكون إلا لموجود له وجود ذاتي، وإلا فما معنى الرفع لو كان الوجود لله عز وجل -تعالى عما يزعمون- مجرد وجود ذهني مطلق، كما تقول الجهمية وتابعهم الأشاعرة ومن سلك سبيلهم؛ فإنهم قالوا: إن وجود الله عز وجل مجرد وجود عقلي أو مجرد وجود اعتباري أو علو اعتباري فقط، كما قالوا: إن العلو علو القدر، ولاشك أن لله عز وجل علو القدر على وجه الكمال، وكذلك علو الذات، ولو كان مجرد علو القدر لما كان هناك معنى لكل هذه النصوص التي تصرح بالفوقية والنزول والمجيء والصعود والرفع، لا يكون لها معنى وإنما تكون مجرد ألفاظ لا معنى لها.

وكذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء إلى الله عز وجل، وتوجه القلوب الفطري إلى الله عز وجل توجه يجده حتى الكافر، بل حتى الحيوان نجده يشخص ببصره إلى العلو وإلى الفوقية، وهذا أمر فطري.

أيضا: سؤال النبي صلى الله عليه وسلم الجارية وغير الجارية بكلمة: أين الله؟ هذا دليل قاطع على أن الله عز وجل له وجود لا يليق إلا أن يكون بالفوق والعلو، وأن وجود الله عز وجل مباين ومفاصل لوجود مخلوقاته، وأنه مستو على عرشه، إضافة إلى أدلة الاستواء وغير ذلك، كل هذه الأمور أدلة صريحة قطعية تثبت لله العلو الذاتي بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله مع علو القدر والقهر وعلو الاعتبار وعلو المعنى، وهذا لا شك فيه.

فالسلف حينما يثبتون شيئا يثبتون لوازمه بالضرورة، فهذه أدلة قاطعة على العلو الذاتي لله عز وجل لا مفك منها، لكن أهل التأويل لا يستطيعون أن يأخذوا بها؛ لأنهم إذا أخذوا بها انهدمت قواعدهم كلها ورجعوا إلى قول أهل السنة، ولو أخذوا بأدلة العلو لزم أن يقولوا بالاستواء، وإذا قالوا بالاستواء لزمهم أن يقولوا بالمجيء والنزول ثم بقية صفات الله عز وجل، وكذلك العكس.

إذا: أهل البدع والتأويل لو أثبتوا أي صفة لزمهم إثبات الباقي، فإن أثبتوا الاستواء لزمهم إثبات العلو والفوقية، وإن أثبتوا العلو والفوقية لزمهم الاستواء، وإذا أثبتوا الجميع لزمهم إثبات المجيء والنزول على ما يليق بجلال الله عز وجل وبقية الصفات، لكن لتسلم قواعدهم الباطلة عمموا الحكم، وهذا مصداق قول النبي صلى الله

عليه وسلم عن أهل الأهواء: (تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه) نفوا شيئا من الصفات فاضطرهم هذا النفي إلى نفي غيرها، ثم إلى نفي البا." (١)

"صفة العلو

قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه ٥]، دلت هذه الآية على صفة من أهم الصفات وهي صفة العلو لله جل وعلا، والعلو علوان: علو مطلق، وعلو مقيد.

العلو المطلق: هو علو الشأن وعلو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر والمكانة، وهو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله.

والعلو المقيد: هو علو الاستواء على العرش، فهذا علو مقيد بالعرش، وهو صفة فعلية وليست صفة ذاتية، لأنها تتعلق بمشيئة الله جل وعلا، إن شاء استوى، وإن شاء لم يستو.

أما العلو المطلق فإن الله جل وعلا اتصف بعلو الذات، وعلو الشأن وعلو القهر، علو الشأن أي: علو المكانة، والقدر والتعظيم، هذا لم يختلف فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿رفيع الدرجات﴾ [غافر:١٥] سبحانه وتعالى، له الكمال المطلق، والجلال المطلق، والعظمة المطلقة، وقد أنكر على أهل الكفر والإلحاد أنهم ما عظموه حق عظمته، ولا قدروه حق قدره، قال الله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ [نوح:١٣]، أي: تعظيما وإجلالا، وقال جل وعلا: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الأنعام:٩١].

أما العلو الثاني من أنواع العلو المطلق فهو علو القهر وعلو الربوبية، وهذا أيضا لم يختلف فيه أحد، فالله جل وعلا قهر عباده، وكل العباد تحت أمره، لا راد لأمره ولا لقضائه، قال الله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل:٤٠]، وقال سبحانه: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ [مريم:٩٣] تحت قهر الله جل وعلا، وقال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] فهذا علو القهر أيضا لم يختلف فيه أحد.

أما علو الذات فحدث فيه الخلاف، ومعناه: أن الله عال بذاته على خلقه، وقد دل على ذلك أكثر من دليل من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، كما دل على ذلك العقل والفطرة.

أما الدليل من الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وهو العلي الكبير﴾ [سبأ:٢٣]، وقال: ﴿الكبير المتعال﴾ [الرعد:٩]، والقاعدة أن كل اسم من أسماء الله الحسنى يتضمن صفة من صفات الكمال، فاسم الله العلي اسم من أسماء الله الحسنى يتضمن صفة العلو، فهذه أول دلالة من دلالات أسماء الله في القرآن تثبت

---

(١) شرح عقيدة السلف للصابوني – ناصر العقل، ناصر العقل ٦/٤

علو الله جل وعلا.

الدلالة الثانية التي تدل على العلو: الدلالة المقيدة العلو على العرش، قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه ٥].

وقال جل وعلا: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال سبحانه: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤] والاستواء يأتي في اللغة بمعاني فيتعدى بنفسه ويتعدى بإلى ويتعدى بعلى، ولكل معنى سنبينه عند شرح الآية.

أيضا: من الدلالات على علو الله عز وجل: دلالة الفوقية، وتكون من لفظ العلو، قال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] فهذه دالة على علو الله جل وعلا، وقال الله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] فالملائكة فوقهم العرش، وفوق العرش الله جل وعلا، فدلالة الفوقية تدل على علو الله جل وعلا.

ومن الدلالات أيضا: التصريح بالعندية، قال الله تعالى: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ [الأنبياء:١٩] العندية هنا: فوق؛ لأن الملائكة في السموات، فعندية الله جل وعلا فوق السموات.

أيضا: من الدلالات على علو الله على خلقه: الصعود، فالصعود يكون من أسفل إلى أعلى، قال الله تعالى: ﴿إليه يصعد﴾ [فاطر:١٠] من أسفل إلى أعلى، ﴿يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠] فالصعود والرفعة والعروج كل ذلك يدل على علو الله جل وعلا.

وقال الله تعالى عن عيسى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨]، وقال جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران:٥٤ - ٥٥] يعني: من السفول إلى العلو ورافعك من الأرض إلى السماء.

وقال جل وعلا: ﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج﴾ [المعارج:١ - ٣] ثم فصل المعارج، فقال: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤] أي: تصعد.

أيضا: من الدلالة على علو الله: عكس الصعود، وهو النزول، لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل، قال الله تعالى: ﴿فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ [هود:١٤] أنزل أي: من أعلا إلى أسفل وقال

الله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [الشعراء:١٩٢ - ١٩٤]، فالتنزيل يكون من أعلى إلى أسفل.

أيضا: من الدلالات على علو الله: (في) قال الله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك:١٦] ففي هنا تعني: الله جل وعلا في السماء، والسماء لا تظله ولا تقله، بل كل السموات والعرش تحته جل وعلا فلا بد من تأويل: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦] على ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: هذه الآية على معنيين: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦] أي: أأمنتم من في العلو، فالسماء هنا بمعنى: العلو، واستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وأنزل لكم من السماء ماء﴾ [النمل:٦٠] فالمطر ينزل من السحاب، وسماه الله سماء من السمو وهو العلو، فالسماء هنا بمعنى: العلو، ﴿وأنزل لكم من السماء ماء﴾ [النمل:٦٠] أي: من المزن وهو في العلو، إذا: فهنا قول الله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦] معناه: أأمنتم من في العلو.

المعنى الثاني: أن في بمعنى على ولها مسوغ في اللغة، فهناك قرائن تدل على أن في تأتي في اللغة بمعنى على، قال الله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض﴾ [آل عمران:١٣٧] أي: على الأرض، وليس معنى ذلك أن يشقوا الأرض ويسيروا في داخلها، وقال تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ [الملك:١٥] أي: على مناكبها، وقال الله تعالى حاكيا عن فرعون: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ طه ٧١] أي: على جذوع النخل، هذه الأدلة من الكتاب.

أما الأدلة من السنة فقد قال ابن القيم: إنها وصلت إلى خمسين حديثا كلها تدل على علو الله جل وعلا.." (١)

"الرد على شبهات المبتدعة التي أوردوها في نفي علو الله المقيد

نرد على شبهات الأشاعرة في نفيهم الاستواء بما يلي: الرد الأول: أن الله جل وعلا قد أثبت في كتابه، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبالإجماع، وبالفطرة، وبالعقل أنه فوق العرش كما أسلفنا في الأدلة الكثيرة السابقة، قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]، وقال الله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، وقال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨]، فأثبت الفوقية وأثبت الاستواء على العرش، فالاستواء على العرش معناه في اللغة: العلو، فإن كان بمعنى الاستيلاء فسيقوله الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن الرسول هو المبين عن الله، وإن لم نعرفه من الرسول صلى الله عليه وسلم فنعرفه

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٩/١٦

ممن ينقل عن الرسول وهم الصحابة أو التابعون أو تابعو التابعين في القرون الخيرية الثلاثة، وهل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] أنه بمعنى: استولى؟ لم ينقل بحديث ضعيف ولا موضوع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك، ولم يقله الصحابة والتابعون الذين نزل القرآن بلغتهم، وفهمهم لكلام الله وحصافة ذهنهم معلومة، وهم إذا خاطبهم الله فهموا كلامه، قالت أم سلمة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم: الاستواء في اللغة معلوم، بمعنى: علا واستقر، ولذلك وهم بعض العلماء فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن أم سلمة لم تأت به من عند نفسها، وهي ليلا ونهارا مع النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: الاستواء معلوم، يعني: علا واستقر، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فهي أصل هذا القول وليس الإمام مالك، فقد فهمت قول الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] أنه بمعنى: علا واستقر، وأنتم لستم أفهم من رسول الله، ولا من أم سلمة، ولا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من أم التابعين، ولا من تابعي التابعين، ولا من القرون الخيرية بالإجماع، كما قال الشافعي: أنا وأهل الحديث على الله فوق عرشه، وعلمه في كل مكان، وكما قال مالك وشيخه ربيعة: الاستواء معلوم -أي: علا واستقر- والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فهذا هو الأصل في اللغة، وهذا هو الظاهر من الآية، وليس هناك قرائن تصرف هذا الظاهر، بل توجد قرائن من القرآن تعضد وتثبت هذا الظاهر، وهي آيات يثبت الله فيها أن الاستواء بمعنى العلو والاستقرار، قال الله تعالى: ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾ [الزخرف:١٣]، فالاستواء بمعنى: العلو والاستقرار، وقال الله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي﴾ [هود:٤٤]، واستوت أي: استقرت على الجبل، وهو الجودي، فهذه قرائن من القرآن تثبت لنا أن الاستواء معناه العلو والاستقرار، أثبت لنا ذلك أولا: المعنى الظاهر وعضد الظاهر قرائن أخرى من القرآن تثبت هذا المعنى، وكذلك الصحابة الذين هم أفهم الناس عن الله وعن رسول الله، فعندهم أن الاستواء بمعنى: العلو والاستقرار، فباللغة وبالشرع وبالصحابة الكرام بفهمهم وحصافة ذهنهم علمنا أن الاستواء بمعنى: العلو والاستقرار، لا بمعنى الاستيلاء، هذا أولا.

ثانيا: نتنزل ونقول: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء، فيلزم من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الأمة حائرة، وعصى ربه ولم يبين كما أمره، قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل:٤٤]، فلم يبين للناس أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، وترك أمته حائرة لا تفقه عن الله، ولا تعقل عن الله، ولا تتعبد بآثار أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهذا اللازم الأول الباطل: اتهام النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم بعدم التبيين عن الله جل وعلا؛ لأنه لو كان معنى الاستواء: الاستيلاء لقاله النبي صلى الله عليه وسلم، ولبينه، وما دام لم يبينه النبي صلى الله عليه وسلم فكفاكم ذلك، فلا تتكلموا فيه؛ لأنكم لستم بأفقه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله جل وعلا.

أذكر: أن أعرابيا مر فسمع رجلا يقرأ قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر:١ - ٢]، زرتم المقابر ليس معناه: الإقامة، بل يعني: أنك مت وقبرت، وهذه زيارة، فقال: والله إن الزائر ليس بمقيم! أعرابي فهم هذا بفطرته، وقال: والله! إن الزائر ليس بمقيم، ويعني كلامه: أنه ما دام أنه زائر فلا يمكن أن يقيم، وطالما هو زائر في القبر فلا بد أن يرجع، ولا يمكن أن يقيم، إذا: سيخرج ويبعث، واستدل على البعث بهذا.

وأيضا: أعرابي سمع رجلا يقرأ قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [المائدة:٣٨]، إلى أن قال: ﴿والله غفور رحيم﴾ [المائدة:٧٤]، قال: أعد عليَّ هذه القراءة، فقرأها إلى أن قال: ﴿والله غفور رحيم﴾ [المائدة:٧٤]، فقال الأعرابي: لو غفر ورحم ما قطع، قال: قل: ﴿والله عزيز حكيم﴾ [المائدة:٣٨]؛ فلأنه عز وحكم فقطع، بعزة وبقوة، فهم بالسليقة، ولو كان الفهم أن الاستواء: القوة والاستيلاء، لأظهروا لنا ذلك، ولم يخفوه علينا وقد أمروا بالتبيين.

اللازم الثاني: إذا تنزلنا وقلنا: الاستواء بمعنى: الاستيلاء، فهو باطل، وهو بمعنى: أن الله أخذ منه العرش، وبعد ما سلب منه العرش تقوى ثم غلب الذي غلبه وأخذ منه العرش، فهل هذا رب؟! وهل يستحق أن يكون ربا الذي يضعف في لحظات، ثم يستولي على ملكه، ثم بعد ذلك يهزم الغالب، ويأتي ويأخذ ملكه؟! فمن لازم قولكم الباطل اتهام الله جل وعلا بصفات النقص.

اللازم الثالث الباطل: أنهم قالوا: أنتم تقولون: نحن نقول: إن استولى أي: غلب، يلزم منه أنه أخذ الملك ممن غلبه، ونحن لا نقصد ذلك، بل نقصد أن استولى بمعنى: مطلق التمليك، ومطلق الملك لله، نقول لهم: أيضا هذا لازم باطل؛ لأن الأرض ملك لله، والجبال ملك لله، والبحر ملك لله، والسماء ملك لله، ولم يخص الله جل وعلا هذه الصفة بالعرش، فلم يقل: الرحمن على الجبل استوى؛ لأنه ملكه، وإذا قلتم بمطلق التمليك، فالكون كله ملك لله، فبدل أن يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]، فليقل: الرحمن على الجبل استوى، أو الرحمن على الأرض استوى، أو الرحمن على البحر استوى فخص الاستواء بالعرش؛ لأن هذا خاص به، وصفة من صفاته الفعلية، وليست بمعنى الملك.

إذا: الرد عليهم بأن أصل الشرع، وظاهر اللفظ واللغة، وقول الصحابة والإجماع على أن الاستواء بمعنى:

العلو والاستقرار لا بمعنى الاستيلاء، وإذا قلنا تنزلا معكم: الاستواء بمعنى: الاستيلاء يلزمنا لوازم باطلة، ولازم الباطل باطل، وفيه اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالتقصير في التبيين، واتهام الله جل وعلا بصفات النقص.

الثالث: إذا قلتم بمطلق التمليك وأن الاستيلاء هذا استيلاء على ملكه الذي غاب عنه، فنقول: هو مالك للكون كله، ولم يخص صفة فعله هذه بالعرش إلا أن تكون مزية للعرش، وأنها حكمة من عند الله جل وعلا، وصفة من صفات الفعل إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، هذه أدلتنا على أهل التحريف، ونرد على بدعهم بهذه الأدلة التي استدلوا بها.." (١)

"الأدلة من السنة النبوية

وأما السنة فقد بلغت الأحاديث الدالة على رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، حد التواتر، وسوف نذكر طائفة يسيرة منها تبين المقصود.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال -وهذا فيه تشويق لرؤية الله جل وعلا، فقد كان صلى الله عليه وسلم دائما يدعو: (اللهم! إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم)، فهذا النعيم ليس بعده نعيم-: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر هل تضارون برؤيته؟ قالوا: لا، قال صلى الله عليه وسلم: سترون ربكم كذلك) فالكاف هنا: تشبيه رؤية برؤية، لا تشبيه مرئي بمرئي؛ لأن الله جل وعلا ليس كمثله شيء، وفي رواية أخرى عن أبي موسى وصهيب وأبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عندما سئل: (هل نرى ربنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أترون القمر ليلة أربع عشرة؟ قالوا: نعم، قال: أترون الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: نعم، قال: سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر، لا تضامون في رؤيته)، وفي رواية: (لا تضامون) بدون التشديد، ومعنى (تضامون) أي: ينضم بعضكم إلى بعض، أي: لا يتزاحمون عند النظر، كما لا يتزاحمون عندما يرون القمر، فمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: أنكم سترون الله دون مزاحمة ودون أي تضام فيما بينكم.

ومعنى: (لا تضامون) بالتخفيف: من الضيم والظلم، أي: لا يحدث لكم أي ضرر، فيكون تفسير الحديث: أنكم ستنظرون إلى الله جل وعلا وترونه كما ترون القمر لا يلحقكم ضرر في ذلك.

وفي حديث أبي موسى في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء يكشفه الله

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٥/١٩

جل وعلا، فينظرون إلى الله جل وعلا)، وفي حديث صهيب: (أن الله جل وعلا يخاطب أهل الجنة بعد أن يدخلوا الجنة: هل تريدون شيئا أزيدكم؟ فقالوا: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ فيكشف الله جل وعلا الحجاب فينظرون إلى **ربهم من فوقهم**، فما تنعموا بشيء كالنظر إلى وجه الله الكريم)، نسأل الله جل وعلا أن يرزقنا النظر إلى وجهه الكريم.." [1]

"الرد على ما استدل به الحلولية من الآيات القرآنية

Q ما صحة القول بأن الذي جعل الذين يقولون بالحلول هو قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ [الأنعام:٣]، وقوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد:٤]، وقوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة:١١٥]، وما هو الرد الصحيح عليهم؟

A نعم هذا من شبههم، كما ذكر الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والملاحدة، قال: إنهم وجدوا هذه الآيات: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ [الأنعام:٣] لكن ضلوا، ومعنى الآية: وهو الله سبحانه يعلم، فقيدها بالعلم، فالله سبحانه وتعالى يعلم سركم وجهركم، وعلمه في السماء كما أن علمه في الأرض، فعلمه في السماء والأرض، وأما هو سبحانه فهو فوق العرش؛ لأن نصوص الاستواء والعلو محكمة، فلا يتعلق الإنسان بالمتشابه، قال الله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨]، وقال: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١]، وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، وقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤] في سبعة مواضع من كتاب الله، وقال: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للجارية في صحيح مسلم: (أين الله؟ قالت: في السماء.

قال: أعتقها فإنها مؤمنة).

فكيف تترك النصوص المحكمة وتذهب إلى التعلق بالمتشابه؟! فالواجب أن يضم المتشابه الذي فيه إشكال إلى النصوص المحكمة ويفسر بها ليزول الإشكال.

أما الذي يتعلق بالمتشابه ويترك النصوص المحكمة -كنصوص العلو و**الفوقية**- فهو سالك طريقة أهل الزيغ، وقد ذكر العلماء أكثر من ثلاثة آلاف دليل كلها تدل على علو الله، وأنه فوق العرش، فكيف نترك هذه الأدلة ونتعلق ببعض النصوص التي فيها اشتباه وفيها احتمال وفيها إشكال؟! فهذه طريقة أهل الزيغ.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٧/٢٥

أما أهل الحق فإنهم يفسرون المتشابه بالمحكم فيتضح معناه، قال الله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ [آل عمران:٧] فأهل الزيغ يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه فهم الذين سمى الله فاحذروهم، أو كما قالت رضي الله عنها، وأظن أن هذا مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.." (١)

"تفسير المعية عند أهل السنة والجماعة

Q لماذا أهل السنة لا يمرون قوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد:٤] على القاعدة، وهي إثبات المعنى لفظا وتفويض الكيفية، ويقولون: إنه فوق العرش وهو معنا بعلمه؟

A أهل السنة والجماعة مدينون للنصوص، ويجمعون بينها، فحينما يقول الله: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد:٤] فإنهم يستدلون بنفس النص على المراد بذلك العلم؛ لأن ذكر العلم جاء في مثل هذا النص، قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ [المجادلة:٧]، فافتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فعلم أن معنى ذلك معية العلم.

ثم إن أدلة إثبات الفوقية أدلة ونصوص محكمة واضحة لا لبس فيها، وهي تزيد على ثلاثة آلاف دليل، مثل قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦]، فليس فيه إشكال، وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨]، وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل الجارية -كما في صحيح مسلم -: (أين الله؟ قالت: في السماء، قال: اعتقها فإنها مؤمنة)، فهم يجمعون بين النصوص ويضمون بعضها إلى بعض، فدل ذلك على أن المعية هنا ليس معناها الاختلاط بالمخلوقات، وإنما هي معية علم واطلاع وإحاطة ونصر وتأييد وحفظ للمؤمنين.

(١) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٦/٣

فالله تعالى فوق السموات وفوق العرش بذاته، وهو مع الخلق بعلمه واطلاعه وإحاطته وبصره ونفوذ قدرته ومشيئته وتصرفه في خلقه.." (١)

"النصوص المتواترة الدالة على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

النوع الثاني عشر: ما ثبت في الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة من رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، كقوله سبحانه: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣]، وقوله صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيح: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته)، وفي لفظ: (كما ترون الشمس والقمر)، فهذه النصوص دلت على أن المؤمنين يرون **ربهم من فوقهم**.

والرؤية المعقولة عند جميع بني آدم تقتضي مواجهة الرائي للمرئي ومباينته له، فهذا يدل على أنه ليس مختلطا بخلقه، فهذا فيه بطلان لقولهم: إنه مختلط بالمخلوقات.." (٢)

"لكن نفاة علوه سلبوه إكـ ... ـمال العلو فصار ذا نقصان

حاشاه من إفك النفاة وسلبهم ... فله الكمال المطلق الرباني

* * *] (١)

وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان

كل إذا ما نابه أمر يرى ... متوجها بضرورة الإنسان

نحو العلو فليس يطلب خلفه ... وأمامه أو جانب الإنسان

يعني إذا أراد أن يدعو ربه قال: يا رب. يجد قلبه ونفسه تنتزع إلى السماء، وهذه ضرورة لا يمكن إنكارها، لا يمكن أن يسوغ بأن من ينكر هذه الضرورة أن عنده دليل أو شبهة دليل ليس عنده البتة، إنما عنده الزندقة ومتابعة اليهود والنصارى في ذلك، لأن الأصل في إنكار ذلك هو دخيل على المسلمين، وكذلك الفوقية فإنها ثابتة لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]. فالفوقية والعلو بمعنى واحد في لسان العرب، فكل دليل جاء فيه لفظ الفوقية فحينئذ نفسره بما دل عليه من ألفاظ العلو فيحمل على المعاني الثلاثة:

---

(١) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٤/٥

(٢) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٦/١٨

فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات.

وقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾. وهي من صفات الذات، وفوق، وعلى بمعنى واحد، وفوقيته سبحانه ثابتة كعلوه تواطأت على إثباتها أدلة العقل والنقل والفطر السليمة التي لم تتغير.

الأقسام الفوقية ثلاثة: فوقية القدر، فوقية القهر، فوقية الذات.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

والفوق وصف ثابت بالذات من ... كل الوجوه لفاطر الأكوان

[وقال]:

والفوق أنواع ثلاث كلها ... لله ثابتة بلا نكران

هذا الذي قالوا وفوق القهر وال ... فوقية العليا على الأكوان

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد ورد به – يعني الفوقية – القرآن مطلقا بدون حرف ومقترنا بحرف. يعني جاء مطلقا وجاء مقيدا، مثل ماذا؟ مثل الاستواء الذي مر معنا وسيأتي النظر كذلك، استوى مطلق واستوى مقيد:

فالأول – يعني المطلق – كقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾. هذا مطلق في موضعين.

والثاني – وهو المقيد – كقوله سبحانه: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾. هذا مقيد، وفي حديث الأوعال – وإن كان ضعيفا – «والعرش فوق ذلك والله فوق العرش». فوق العرش مقيد بالإضافة، ﴿من فوقهم﴾ مقيد بـ (من) حرف الجر، فوق العرش هذا مقيد بالإضافة لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فحقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره.

ثم ذكر ما يتعلق بالمعية، وهذه نقف عليها نكمله غدا إن شاء الله تعالى عصرا كاليوم إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

– – –

(١) ما بين العلامتين سقط من الشيخ، أو عبرهما للاحتجاج بما بعدهم.." [١]

"قال رحمه الله تعالى: (بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله) – صلى الله عليه وسلم – يعني فيما أخبر الله تعالى في كتابه عن نفسه بأنه استوى على العرش، وأخبر أو تواتر عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – بأن ربه جل وعلا مستو على العرش، فما أخبر الله به كما قال سبحانه: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] وقوله سبحانه: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في إثبات العلو التام بجميع أنواعه والفوقية، وقد تقدم ذكر أنواع العلو والفوقية، وأدلة إثبات العلو والفوقية متواترة وانضم إلى ذلك شهادة الفطر والعقول المستقيمة والنصوص الواردة الدالة على علو الله تعالى، وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعا، وإفراد هذه الأنواع لو بسطت لبلغت نحو ألف دليل كما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، يعني تواترت الأدلة في الكتاب والسنة على نحو عشرين نوعا، وهذه الأنواع كل نوع يدخل تحتها ما لا حصر من الآيات والأحاديث تدل على أن الباري جل وعلا في العلو، والمراد به العلو الذاتي، يعني بذاته جل وعلا مستو على عرشه، من نفى ذلك كذب هذه الأدلة كلها.

قوله: (وتواتر عن رسوله) يعني ما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن ربه بأنه مستو على عرشه هذا متواتر، والتواتر في اللغة التتابع بعلو. اصطلاحا خبر عدد يمتنع معه لكثرته تواطؤ على الكذب عن محسوس. يعني التواتر عند أرباب الاصطلاح عند المتاخرين وإلا المراد به عند السلف أن الحديث إذا كثر رواته وتعدد مخارجه وأسانيده يسمى ماذا؟ يسمى متواترا، سواء انتهى إلى محسوس أو لا، ولا يشترط فيه أن ينتهي إلى محسوس، حينئذ نقول: هذا الحديث متواتر عن النبي – صلى الله عليه وسلم –. والتواتر كما مر معنا موجود في كلام السلف، فالسنة: إما متواتر وإما آحاد.

وينقسم المتواتر إلى قسمين:

الأول: لفظي. وهو ما اشترك عدده في لفظ بعينه، وذلك حديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». على خلاف في هذا الحديث هل هو متواتر لفظا أم لا، رواه نيف وستون منهم العشرة.

والثاني: معنوي. بأن يتواتر معنى في ضمن أحاديث مختلفة الألفاظ متحدة المعنى، وهذا واضح بين.." [٢]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٢٣

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٣١

"قوله رحمه الله تعالى: (وهو سبحانه فوق عرشه). كما مر معنا مرارا ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] في سبع مواضع من القرآن وقال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨]. وسبق ذلك في إثبات أدلة العلو في الكتاب والسنة وهي متواترة، وتواطأ على ذلك دليل العقل والفطرة. قوله: (رقيب على خلقه). سبحانه فوق عرشه، ومع ذلك رقيب على خلقه. قال الله سبحانه: ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء: ١]. أي أنه سبحانه مراقب لأحوالكم وأعمالكم لا يخفى عليه خافية. إذا الرقابة صفة لله عز وجل، ولا تقتضي مخالطة فهو مستو على عرشه وهو رقيب يراقب خلقه، فيه تنافي؟ لا تنافي البتة عند ما آمن بالله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وفي ذلك إرشاد وحث على مراقبة الله واستحضار قربه كما في الحديث الذي مر معنا ... (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت) إذا رقيب على خلقه مهيمن عليهم. قال ابن عباس وغير واحد: المهمين أي الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم يعني متقاربان من حيث المعنى، كقوله: ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ [المجادلة: ٦] يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء وهو كذلك بمعنى قوله: (مطلع إليهم). فالألفاظ متقاربة المعاني (إلى غير ذلك من معاني ربوبيته)، فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه يعلم ويقدر ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته. إذا لا تنافي بين هذه المعاني كلها. قوله: (وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش، وأنه معنا، حق على حقيقته). وأراد به الرد على من اتهم أهل السنة والجماعة بأنهم يتهمون المخالف بالتحريف وهم كذلك يقعون في التحريف، فبين رحمه الله تعالى أن معنى مع لا يلزم منها المخالطة، أهل البدع قالوا: تقتضي المخالطة، ثم صرفتم اللفظ عن ظاهره فسرتموه بماذا؟ بالعلم وهذا تحريف وتأويل تنكرون علينا التحريف والتأويل وأنتم تقعون في التحريف والتأويل. قال: (حق على حقيقته). فيجب اعتقاده والإيمان به لتواطؤ الأدلة على إثباته، والحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره. وفي اصطلاح أهل المعاني: هو الحكم المطابق للواقع. يطلق على الأقوال والأديان والعقائد والمذاهب باعتبار اشتماله على ذلك ويقابله الباطل.." (١)

"الردود النقلية

قال رحمه الله تعالى: [فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة والفطر المستقيمة والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، التي تقرب من عشرين نوعا: أحدها: التصريح

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٠/٣١

بالفوقية مقرونا بأداة (من) المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه، نحو: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم).

الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر:١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨]، وقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران:٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو: ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وهو العلي الكبير﴾ [سبأ:٢٣]، ﴿إنه علي حكيم﴾ [الشورى:٥١].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر:١]، ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [غافر:٢]، ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ [فصلت:٢]، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ [النحل:١٠٢]، ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ [الدخان:١ - ٥].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إن الذين عند ربك﴾ [الأعراف:٢٠٦]، ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ [الأنبياء:١٩]، ففرق بين من له عموما وبين من عنده من مماليكه وعبيده خصوصا].

يعني بذلك أن الله عز وجل له الملك كله، لكن فيما يتعلق بالعندية -أي: تخصيص بعض المخلوقات بأنها عنده- فإن هذا خص به بعض المخلوقات، الأمر الذي يدل على أنها أكثر رفعة وأعلى من غيرها.

قال رحمه الله تعالى: [وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: (أنه عنده فوق العرش).

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون (في) بمعنى (على)، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة (على) مختصا بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبا في الأكثر لأداة (ثم) الدالة على الترتيب والمهلة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا).

والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع كما يأتي إن شاء الله تعالى.

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: (أنتم مسئولون عني فماذا أنتم قائلون؟)].

هنا يقصد كلام النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان الذي هو عرفة، في ذلك اليوم العظيم الذي جمع شرف الزمانين: يوم عرفة ويوم الجمعة.

قال رحمه الله تعالى: [(قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت)، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعا إلى من هو فوقها وفوق كل شيء قائلا: (اللهم اشهد) فكأنا نشاهد الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: اللهم اشهد، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين.

ال." (١)

"دلالة الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأعمالهم

قال رحمه الله تعالى: [وقد دل الكتاب والسنة على أصناف ملائكته، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفا، والناشرات نشرا، والفارقات فرقا، والملقيات ذكرا.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٦٠

ومنهم: النازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا، ومنهم: الصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا.

ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق وار طوائف والجماعات، التي مفردها: فرقة وطائفة وجماعة].

أراد بهذا الاحتراز من وصف الملائكة بالأنوثية، وهذا من سمات المشركين والفلاسفة والعقلانيين وغيرهم من أهل الضلالة والبدع؛ فإنهم قد يصفون الملائكة بأنهم إناث.

فنظرا لأن مثل هذه الألفاظ قد تشير إلى معنى التأنيث في الإشارة إلى الملائكة، أراد أن يبين أن التأنيث هنا راجع إلى الجنس لا إلى الملائكة بأفرادهم.

فالملائكة فرق، والفرقة من حيث المعنى اللغوي توصف بالتأنيث، وكذلك الطوائف، فالطائفة لفظها اللغوي مؤنث، والجماعات لفظها اللغوي مؤنث، فلا يعني ذلك تأنيث الملائكة؛ لأن الملائكة لا يوصفون بذلك، إنما هذه الألفاظ تنصرف إلى جنس جماعة الملائكة وفرقها وطوائفها ونحو ذلك.

قال رحمه الله تعالى: [ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله.

ولفظ (الملك) يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء:٢٧ - ٢٨]، ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠].

فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء:١٩ - ٢٠] ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم. فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده].

الملائكة منهم السفراء الخاصة، كجبريل عليه السلام الذي جاء بالوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى سائر الأنبياء.

ومنهم سفراء سفارة عامة، وهم الملائكة الذين يحيطون بعباد الله عز وجل بالرعاية والتدبير العام، وبالرعاية الخاصة بالمؤمنين، فالله عز وجل أوكل هذا الأمر إلى طوائف من الملائكة، وهذا من معنى السفارة العامة، أما السفارة الخاصة فهي الوحي الذي هو عن طريق جبريل.

قال رحمه الله تعالى: [فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر].

من السفراء الكرام الكاتبون، والملائكة الموكلون بالعباد الذين يتناوبون صباح مساء.

قال رحمه الله تعالى: [قد أطت السماوات بهم وحق لها أن تئط، ما فيه ا موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم].." (١)

"صفة العلو في كتاب الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وإذا كان كذلك، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأمة، مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠]، ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران:٥٥]].

يصعد أي: يرفع، والرفع يكون من أسفل إلى أعلى، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى، فدل على ثبوت العلو.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك:١٦]، ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك:١٧]].

ومن في السماء: أي في العلو.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤]].

الشيخ: والعروج يكون من أسفل إلى أعلى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة:٥]، ﴿يخافون

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٢/٦٣

ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ [يونس:٣]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الرعد:٢]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الفرقان:٥٩]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ [السجدة:٤]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الحديد:٤]، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]، ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر:٣٦ - ٣٧]، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿منزل من ربك﴾ [الأنعام:١١٤] إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة].

والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، فدل على أن الله في العلو.." (١)

"الأدلة من الكتاب الحكيم

والنصوص الواردة في إثبات علو الله عز وجل على خلقه كثيرة جدا، حتى إن الإمام ابن القيم رحمه الله صنفها على أنواع، فذكر أكثر من عشرين أو ثلاثين نوعا، كل نوع من هذه الأنواع يشتمل على مجموعة من الأدلة من القرآن.

وهناك بعض الصفات الثابتة لله عز وجل تدل على صفة العلو، مثل إثبات صفة الاستواء لله عز وجل، فإنها تدل على صفة العلو، والآيات الواردة فيها تدل على صفة العلو، وكذلك الأحاديث الواردة في صفة النزول تدل على إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى.

وسننقل بعض هذه الأدلة ونبين وجه الاستدلال منها، من خلال ما ذكره ابن تيمية رحمه الله، فهو يقول: مثل قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠]، ووجه الدلالة في قوله: ((إليه يصعد))، فإنه يدل على أنه عال، والكلم الطيب يصعد إليه، وقوله: ((يرفعه)) أيضا يدل على إثبات العلو، والصعود والارتفاع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

وقوله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران:٥٥].

وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك:١٦ - ١٧].

ووجه الدلالة في قوله: (من في السماء) في كلا الآيتين، و (في) هنا ليست للظرفية، وإنما المراد بها على، فيكون معنى الآية: أأمنتم من على السماء، وحروف الجر ينوب بعضها عن بعض، ونظير هذا قول الله عز وجل: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه:٧١]، فليس المقصود لأصلبنكم داخل النخلة، وإنما المقصود:

---

(١) شرح الحموية لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٩/١

عليها.

وقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨] والرفع من الأسفل إلى الأعلى وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤]، والعروج: هو الصعود من الأسفل إلى الأعلى.

وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة:٥]، فقوله: ((يدبر الأمر من السماء)) يعني: من على السماء إلى الأرض، ((ثم يعرج إليه)) يعني: يعود إليه صاعدا.

وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، وهذا تصريح بالفوقية.

وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]، وكما سبق أن الأدلة الواردة في إثبات استواء الله عز وجل على عرشه هي كلها أدلة على علو الله على خلقه، فإن العرش فوق السماوات، والله سبحانه وتعالى فوق العرش، وليس فوقه شيء سبحانه وتعالى.

وقد جاء ذلك في ستة مواضع كما هو معلوم، وكما سيأتي معنا إن شاء الله في الكلام على موضوع الاستواء مفصلة.

وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]، ووجه الدلالة مثل وجه الدلالة الأولى، ونحن نستطيع أن نأخذ العلو من قوله: (على)، فإن قوله: ((على العرش))، والعرش فوق العالم، فهو سبحانه وتعالى فوق جميع المخلوقات.

ويقول الله عز وجل: ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر:٣٦ - ٣٧].

هذه الآيات وردت في قصة موسى عليه السلام، وأن فرعون يقول متهكما ومستهزئا: ((يا هامان)) وهو وزيره، ((ابن لي صرحا))، والصرح يبنى من الأسفل إلى الأعلى، ﴿لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات﴾ [غافر:٣٦ - ٣٧]، إذا: هو يريد من هامان أن يبني له صرحا من الأرض إلى السماء؛ لأن فرعون يعتقد أن الله عز وجل في السماء.

وهذا يدل على الفطرة الموجودة عند الإنسان، ف فرعون مع كونه كافرا ملحدا منكرا لوجود الله عز وجل، مع هذا نطق بهذه العبارة، ومع أن سياقها هو في سياق الاستهزاء؛ إلا أنها تضمنت إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى، فلا شك أن من كان فرعون أعلم بالله منه فهو أضل من حمار أهله.

والدلالة في الآية من وجوه: أولا: اعترافه أن الإله لا بد أن يكون في السماء؛ لأن من الطبيعي أن يكون الإله في السماء، وهذا يتضمن بطلان دعواه للألوهية؛ لأنه في الأرض وليس في السماء.

الأمر الثاني: أنه صريح في أن موسى عليه السلام دعاه إلى عبادة الإله الذي في السماء؛ ولهذا قال: ﴿ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾ [غافر:٣٦ – ٣٧]، فإله موسى في السماء، فهو لم يطلب أي جهة من ال." [١]

"وقرأ ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ وقرأ ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾

وذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه إلى أن الله عز وجل يغضب ويرضى وأن له غضب ورضى وقرأ أحمد قوله عز وجل ﴿ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ فأضاف الغضب إلى نفسه وقال عز وجل ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ قال ابن عباس يعني أغضبونا وقوله أيضا ﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ ومثل ذلك في القرآن كثير

والغضب والرضى صفتان له من صفات نفسه لم يزل الله تعالى غاضبا على ما سبق في علمه أنه يكون ممن يعصيه ولم يزل راضيا على ما سبق في علمه أنه يكون مما يرضيه

وأنكر أصحابه على من يقول إن الرضى والغضب مخلوقان

٥٤ – أقالوا من قال ذلك لزمه أن غضب الله عز وجل على الكافرين يفنى وكذلك رضاه على الأنبياء والمؤمنين حتى لا يكون راضيا على." [٢]

"وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦]

.

﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك: ١٧] .

وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] .

وقال: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥] .

﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨] .

وقال: ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ [الأنبياء: ١٩] .

وقال: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ١ [النحل: ٥٠] .

وقال: ﴿ذي المعارج﴾ [المعارج: ٣] .

وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] .

---

(١) شرح الحموية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/٧

(٢) العقيدة رواية أبي بكر الخلال أحمد بن حنبل ص/١٠٩

= النجاسة، كان تنزيه الرب وتقديسه عن النجاسة أعظم وأكثر، للعلم بأن الرب أحق بالتنزيه عن كل ما ينزه عنه غيره.

ثم قال رحمه الله في "٢/٥٤١":

وذكر الأئمة في الرد على الجهمية ما علمه المسلمون بضرورة حسهم وعقلهم ودينهم من تنزيهه عن أن يكون في أجوافهم وأحشائهم أيضا مع ما ذكروه من تنزهه عن الأنجاس؛ لأن ذلك أقرب إلى حس الإنسان وبديهة عقله، فكلما كان المعلوم مما يحسه الإنسان ويعقله بديهة كان أعلم به، لاسيما مع تكرر إحساسه به وعقله له.

١ إلى هنا انتهى نقل ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية" "ص: ٢٠١، ٢٠٢".

ثم قال رحمه الله:

ذكر هذ الكتاب كله أبو بكر الخلال في كتاب السنة له الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه، وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه: جامع النصوص من كلام الشافعي، وهما كتابان جليلان لا يستغني عنهما عالم.." [(١)]

"إثبات علو الله عز وجل وفوقيته على جميع خلقه

= على العرش، وهو أعظم منه. قال الله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [فصلت: ١١] وقال: ﴿وهو الله في السموات﴾ [الأنعام: ٣] ثم قال: ﴿وفي الأرض يعلم﴾ ، فأخبر أنه في السماء وأنه بعلمه في الأرض. وقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ [الفرقان: ٥٩] ، وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا. وقال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فأخبر أنه أعلى من خلقه. وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] فأخبر أنه فوق الملائكة وقد أخبرنا الله تعالى أنه في السماء على العرش، فقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك: ١٦، ١٧] ، وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠] وقال لعيسى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿وله من في السموات والأرض

(١) الرد على الجهمية والزنادقة أحمد بن حنبل ص/١٤٦

ومن عنده لا يستكبرون﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥] ، وقال عز وجل: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿ذي المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره﴾ [المعارج: ٤] .

فهذا ومثله في القرآن كثير، ولكن الجهمي المعتزلي الحلولي الملعون يتصامم عن هذا، وينكره، فيتعلق بالمتشابه ابتغاء الفتنة لما في قلبه من الزيغ؛ لأن المسلمين كلهم قد عرفوا أماكن كثيرة، ولا يجوز أن يكون فيها من ربهم إلا علمه وعظمته وقدرته، وذاته تعالى ليس هو فيها، فهل زعم الجهمي أن مكان إبليس الذي هو فيه يجتمع الله تعالى وهو فيه؟

بل يزعم الجهمي أن ذات الله تعالى حالة في إبليس؟ وهل يزعم أن أهل النار في النار وأن الجليل العظيم العزيز الكريم معهم فيها؟! تعالى الله عما يقوله أهل الزيغ والإلحاد علوا كبيرا.

وهل يزعمون أنه يحل أجواف العباد وأجسادهم وأجواف الكلاب والخنازير والحشوش والأماكن القذرة، التي يربأ النظيف الطريف من المخلوقين أن يسكنها أو يجلس فيها، أو قال له، إن أحدا ممن يكرمه ويحبه ويعظمه ويحل فيها وبها. =." (١)

"حدثناه الحسن بن الصالح البزار١، عن علي بن الحسن٢ بن شقيق، عن ابن المبارك٣ فمن ادعى أنه ليس لله حد فقد رد القرآن، وادعى أنه لا شيء؛ لأن الله٤ حد مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٥ ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ٦، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ، ٧، ٨ ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ٩ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ١٠ فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد.

---

١ الحسن بن الصباح، تقدم ص"١٤٥".

٢ علي بن الحسن بن شقيق، تقدم، ص"١٤٥".

٣ عبد الله بن المبارك، تقدم ص"١٤٣".

٤ في ط، س، ش "لأن الله وصف حد مكانه".

٥ سورة طه أية "٥".

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة أحمد بن حنبل ص/١٥١

٦ سورة الملك، آية "١١٦".

٧ سورة النحل آية "٥٠".

٨ واو العطف ليست في ط، س، ش.

٩ سورة آل عمران، آية "٥٥".

١٠ في ط، س، ش "زيادة قوله تعالى: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ والآية في سورة فاطر، آية "١٠"..". (١)

"فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات١.

حدثنا أبو الربيع الزهراني٢، ثنا أبوعبد الرحمن المقرى٣، ثنا حرملة بن

---

١ أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب قول الله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وقول: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ص"٤٢٠" قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، ثنا يزيد بن هارون، أنا جرير بن حازم، عن أبي يزيد المديني -كذا- قال: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر في ناس من أصحابه فلقيته عجوز فاستوقفته فوقف عليها فوضع يده على منكبيها، حتى قضت حاجتها، فلما فرغت قال رجل: حبست رجالات قريش على هذه العجوز، قال: ويحك، تدري من هذه؟ هذه عجوز سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبعه سموات، والله، لو استوقفتني إلى الليل لوقفت عليها إلا آتي الصلاة، ثم أعود حتى تقضي حاجتها".

وذكره الذهبي في العلو ص"٤٤" وقال: هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر.

وذكره ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية، بتخريج الألباني ص"٣١٨" وقال: أخرجه الدارمي، وقال عنه الألباني: ضعيف. أخرجه أبو سعيد الدارمي في "الرد على الجهمية" ص"٢٦" طبع المكتب الإسلامي، من طريق أبي يزيد المدني عن عمر به.

٢ قال: في التقريب ١/ ٣١٤: سليمان بن داود العتكي، أبو الربيع الزهراني البصري، نزيل بغداد، ثقة، لم يتكلم فيه أحد بحجة، من العاشرة، مات سنة ٣٤/ خ م د س.

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد الدارمي، أبو سعيد ٢٢٥/١

٣ قال في التقريب ١/ ٤٦٢: عبد الله بن يزيد المخزومي، المدني، المقرئ الأعور، مولى الأسود بن سفيان، من شيوخ مالك، ثقة، من السادسة، مات سنة ٤٨/ ع.." [1]

"المنزلة منهم لنبأنا كل عامل منهم بما عمل وقال، وناجى به أصحابه، فما فضل علام الغيوب على المخلوق الذي لا يعلم الغيب في دعواك١؟.

وأما قولك: إن الله لم يصف نفسه أنه في موضع دون موضع. فإن كنت أيها المعارض ممن يقرأ٢ كتاب الله ويفهم٣ شيئا من العربية علمت أنك كاذب على الله في دعواك؛ لأنه وصف٤ أنه في موضع دون موضع ومكان دون مكان. ذكر أنه فوق العرش، والعرش فوق السموات٥٤ وقد عرف٦ ذلك كثير من النساء والصبيان، فكيف من الرجال؟!

قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٧، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ٨، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ٩، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ١٠، ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ١١، ﴿ذي المعارج،

---

١ وأيضا فالله منزه عن الامتزاج بالخلق والاختلاط بهم، بل هو سبحانه فوق خلقه مستو على عرشه بائن من خلقه كما دلت على ذلك النصوص وقرره علماء السلف.

٢ في ط، س، ش "ممن تقرأ" ولو يءجم أولها في الأصل، والأظهر أنها بالمثناه التحتانية.

٣ في س "وتفهم" وفي ط، ش "أو تفهم".

٤ في ط، ش "وصف نفسه".

٥ في ش "فوق سمواته".

٦ في ط، س، ش "قد عرف".

٧ سورة طه آية [٥] .

٨ سورة الملك، آية [١٦] .

٩ سورة الأنعام، آية [١٨] .

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد الدارمي، أبو سعيد ٣١٧/١

١٠ سورة النحل، آية [٥٠] .

١١ سورة آل عمران، آية [٥٥] .." (١)

"من في السماء﴾ ١، وقال للملائكة: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٢، وقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٣، فقد أخبرنا الله العباد أين الله٤ وأين مكانه، وأينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث فقال: "من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء" ٥.

حدثنا مسدد٦، ثنا أبو الأحوص٧، عن أبي إسحاق٨، عن أبي

---

١ سورة الملك آية ١٦.

٢ سورة النحل آية ٥٠.

٣ سورة طه آية ٥.

٤ في ط، س، ش "أين هو".

٥ الحديث بهذا اللفظ أورده الذهبي في العلو، تصحيح ومراجعة عبد الرحمن عثمان، ص"٢٠" من طريق أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن جرير مرفوعا وقال: رواته ثقات.

قلت: وأخرجه الترمذي في الجامع بشرحه التحفة، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، حديث ١٩٨٧، ٦/ ٤٩ عن جرير بن عبد الله مرفوعا بلفظ: "من لم يرحم الناس لا يرحمه الله" وقال: هذا الحديث حسن صحيح.

وبمثل لفظ الترمذي أخرجه الإمام أحمد في المسند بهامشه المنتخب عن جرير مرفوعا "انظر ٤/ ٣٥٨-٣٦٦".

٦ في س "حدثناه مسدد" قلت: انظر ترجمته ص"١٧٥"، وفي تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٧ أنه روى عن أبي الأحوص.

٧ أبو الأحوص هو سلام بن سليم، قال الدولابي في كتاب الكنى والأسماء الطبعة الأولى الهندية ١/ ١١١: "وأبو الأحوص الذي يروي عن أبي إسحاق، سلام بن سليم" وفي تهذيب التهذيب ٤/ ٢٨٢-٣٨٣ أنه روى عن أبي إسحاق السبيعي وعنه مسدد، انظر ترجمته ص"٤٩٦".

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد الدارمي، أبو سعيد ١/٤٤٤

٨ أبو إسحاق هو السبيعي، تقدم ص"١٤٦"، وفي تهذيب التهذيب ٨/ ٦٤ أنه روى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود.." [1]

"الآية رقمها السورة الصفحة

﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٥٠ النحل ٢٢٥، ٢٤٤، ٥٠٩

﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ ٩١ النحل ٥٦٥

﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ ٨٦ الكهف ٣٥٨

﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ ٤٢ مريم ٣٠٦

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٥ طه ١٦٢، ١٦٣، ٢١٧، ٢٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥١، ٥٠٩،

﴿إني أنا ربك﴾ ١٢ طه ٥٤٧، ٥٥٩

﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ ١٤ طه ٢٢١، ٣٠٨، ٥٣٨، ٥٥٩، ٥٨٨

﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ ١٥ طه ٨٤٩

﴿ولتصنع على عيني﴾ ٣٩ طه ٣٠٤، ٨٢٧

﴿واصطنعتك لنفسي﴾ ٤١ طه ٨٤٥

﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ ٤٦ طه

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ٧ الأنبياء ٦٦٥

﴿لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ٢٥ الأنبياء ٥٤٧

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ ٣٤ الأنبياء ٨٢٤." [2]

"٣٥ - آراء في أمور مختلفة لهشام بن الحكم

وهذه حكاية مذاهب لهشام في أشياء من لطيف الكلام ١:

كان هشام يقول إن الجن مأمورون ومنهيون لأنه قال: ﴿يا معشر الجن والأنس إن استطعتم﴾ [الرحمن:

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد الدارمي، أبو سعيد ١/٥٠٩

(٢) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد الدارمي، أبو سعيد ٢/٩٢٥

٣٣] وقال: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [القمر: ٣٤].

٢ – وكان يقول في وسواس الشيطان أن الله – سبحانه – يقول: ﴿من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس﴾ [الناس: ٤، ٥] قال: فعلمنا أنه يوسوس وليس يدخل أبدان الناس ولكن قد يجوز أن يكون الله – سبحانه – قد جعل الجو أداة للشيطان يصل بها إلى القلب من غير أن يدخل فيه.

قال: ويعلم ما يحدث في القلب وليس ذلك بغيب لأن الله – سبحانه – قد جعل عليه دليلا مثل ذلك أن يشير الرجل إلى الرجل أن أقبل أو أدبر فيعلم ما يريد فكذلك إذا فعل الإنسان فعلا يريد شيئا من البر عرف الشيطان ذلك بالدليل فينهى الإنسان عنه.

٣ – وقال هشام في الملائكة أنهم مأمورون منهيون لقول الله –عز وجل–: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ [الأنبياء: ٢٩] وقال: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠].

---

١ الملل والنحل: ١/ ١٤٩ – ١٥١.." [1]

": (يخافون **ربهم من فوقهم**) من الآية (٥٠ /١٦) ، وقال تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) من الآية (٤ /٧٠) ، وقال تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) من الآية (١١ /٤١) ، وقال تعالى: (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) من الآية (٥٩ /٢٥) ، وقال تعالى: (ثم استوى على العرش مالكم من ولي ولا شفيع) (٤ /٣٢) ، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه استواء منزها عن الحلول والاتحاد.." [2]

"ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم﴾ ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن

---

(١) مقالات الإسلاميين ت زرزور أبو الحسن الأشعري ١/٦٦

(٢) الإبانة عن أصول الديانة أبو الحسن الأشعري ١/١١٣

ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال وإني لأظنه كاذبا وقوله تعالى ﴿ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ثم أجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخصه بقربه عرج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية (أين الله) فقالت في السماء فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه بل أقرها وقال (اعتقها فإنها مؤمنة) وفي." (١)

"الأسفل هو أيضا فوق النصف الأعلى كما أن النصف الأعلى فوق النصف الأسفل ولفظ الأسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل الناظر وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الأرض إلا سدسها والعمران على ذلك السدس والماء فوق الأرض كيف كان وإن كنا نرى الأرض مدحية على الماء فإن الماء فوقها وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهي فوقها وإذا كان الأمر كذلك فالسماء التي تحت النصف الأسفل من كرة الأرض هي فوقه لا تحته لأن السماء على الأرض كيف كانت فعلوها على الأرض بالذات فقط لا تكون تحت الأرض بوجه من الوجوه وإذا كان هذا الجسم وهو السماء علوها على الأرض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر **الفوقية** ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه علي بالذات وهو كما كان قبل خلق الأكوان وما سواه مستقل عنه بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج الأمر إليه فيحيي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويعز هذا ويذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شيء قائم به فرحم الله." (٢)

"قال الله سبحانه: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ ١ وقال: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ ٢ وقال ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ٣ وقال: ﴿من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ٤ وقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي﴾ الآية٥ والآية التي بعدها٦.

---

(١) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد الجويني، أبو محمد ص/٣٣

(٢) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد الجويني، أبو محمد ص/٨٣

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا – حتى ذكر سبع سماوات– وفوق ذلك بحر ما بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال٧ كواهلهم تحت عرش الرحمن، وأقدامهم تحت الأرض السابعة السفلى، وفوق ذلك العرش، والله (سبحانه)

---

١ سورة النحل آية "٥٠"

٢ سورة السجدة آية "٥" وتمامها ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ .

٣ سورة فاطر: "جزء من آية "١٠".

٤ سورة المعارج: آية "٣" وجزء من آية "٤".

٥ سورة الملك: آية "١٦" وتمامها ﴿تمور﴾ .

٦ وهي قوله تعالى ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ "١٧" الملك.

٧ قال ابن الأثير: "الوعول تيوس الجبل واحده وعل" وقال معنى قوله تعالى ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ قيل: ثمانية أوعال: أي ملائكة على صورة الأوعال. انظر: "النهاية: ٥/ ٢٠٧".

٨ في الأصل بالحاشية.." [(١)]

"الفصل الخامس: في بيان أن فرق اللفظية والأشعرية موافقون للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول وزائدون عليهم في القبح وفساد القول في بعضها

وأما موافقتهم للمعتزلة: فإن المعتزلة قالت: لا تجوز رؤية الله تعالى بالأبصار، وأنه ليس بمرئي١.

وقال الأشعري: هو مرئي ولا يرى بالأبصار عن مقابلة٢. فأظهر

---

١ وانظر لتحرير مذهبهم في ذلك: (شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار٢٣٢) و (المقالات: للأشعري ١/ ٢٣٨) .

٢ نقل الشهرستاني عنه أنه كان يقول: "لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع، أو على سبيل انطباع فإن كل ذلك مستحيل ثم قال:– وله في ماهية الرؤية قولان: أحدهما: أنه علم مخصوص.... والثاني أنه إدراك وراء العلم.." انظر: (الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٠٠) و (نهاية الأقدام ٣٥٦) .

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت عبيد الله السجزي ص/١٨٢

والذي في كتب الأشعري التي اطلعت عليها: إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار؛ إذ يقول في كتاب الإبانة ص٢٥: وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عقد بابا في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة ص ٣٥.

وقال في رسائله لأهل الثغر: "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما صرح به تعالى في قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وقد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ورفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: "ترون ربكم عيانا "، وقوله: "ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته ". فبين أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه أ. هـ

(لوحة ١٤٨ مخطوط مصور بمكتبة الدراسات تحت رقم ٤٧ عقائد) . وفي المطبوع ص ١٣٤، ويحمل ما ذكره المؤلف وما نقله الشهرستاني عنه على ما كان عليه قبل أن يرجع إلى مذهب السلف، ومذهب السلف أن الرؤية لا تكون إلا عن مقابلة، وعند سائر عقلاء الأمم لابد أن يكون المرئي مقابلا للرائي، والنقل دل على أن المؤمنين يرون **ربهم من فوقهم** كما قال صلى الله عليه وسلم: " بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ...".

انظر: (مختصر الصواعق لابن القيم ١/ ٢٨٠ –– ٢٨١) والحديث أخرجه (ابن ماجه: المقدمة/ باب ما أنكرت الجهمية ١/ ٦٥ حـ ١٨٤) .." [1]

"فصح أن من لا برهان له على قوله فليس صادقا فيه

قال أبو محمد فصح بما قلنا أن كل من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور آجرا واحدا لطلبه الحق وقصده إليه مغفور له خطؤه إذ لم يعتمده لقول الله تعالى ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ وإن كان مصيبا فله أجران أجر لإصابته وأجر آخر لطلبه إياه وإن كان قد قامت الحجة عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم فهو فاسق لجراءته على الله تعالى بإصراره على الأمر الحرام فإن عند عن الحق معارضا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق في هذه الأحكام بين الخطأ في الاعتقاد في أي شيء كان من الشريعة وبين الخطأ في الفتيا في أي شيء كان على م١ بينا قبل

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت عبيد الله السجزي ص/٢٠٣

قال أبو محمد ونحن نختصر ها هنا إن شاء الله تعالى ونوضح كل ما أطلنا فيه قال تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وقال تعالى ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ وقال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح أنه لا يكفر أحد حتى يبلغه أمر النبي صلى الله عليه وسلم فإن بلغه فلم يؤمن به فهو كافر فإن آمن به ثم اعتقد ما شاء الله أن يعتقده في نحلة أو فتيا أو عمل ما شاء الله تعالى أن يعمله دون أن يبلغه في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بخلاف ما اعتقدوا قال أو عمل فلا شيء عليه أصلا حتى يبلغه فإن بلغه وصح عنده فإن خالفه مجتهدا فيما لم يبين له وجه الحق في ذلك فهو مخطئ معذور مأجور مرة واحدة كما قال عليه السلام إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر وكل معتقد أو قائل أو عامل فهو حاكم في ذلك الشيء وإن خالفه بعمله معاندا للحق معتقدا بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق وإن خالفه معاندا بقوله أو قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك في المعتقدات والفتيا للنصوص التي أوردنا وهو قول إسحاق بن راهويه وغيره وبه نقول وبالله تعالى التوفيق

الكلام في تعبد الملائكة

وتعبد الحور العين والخلق المستأنف وهل يعصي ملك أو لا

قال أبو محمد قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون قال تعالى ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ ونص تعالى على أنه أمرهم بالسجود لآدم وقال تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ إلى قوله ﴿ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ وقال تعالى ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾

قال أبو محمد فنص الله تعالى على أنهم مأمورون منهيون متوعدون مكرمون موعودون بإيصال الكرامة أبدا مصرفون في كتاب الأعمال وقبض الأرواح وأدار الرسالة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما في العالم الأعلى والأدنى وغير ذلك كما خالقهم عز وجل به عليم وقوله تعالى ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ فأخبر عز وجل أن جبريل عليه السلام مطاع في السماوات وأمين هنالك فصح أن هنالك أوامر وتدبير." (١)

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ١٤٤/٣

"وأمانات وطاعة ومراتب ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون بقوله عز وجل ﴿عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ وبقوله ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ وبقوله ﴿فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ فنص تعالى على أنهم كلهم لا يسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتا ولا يستحسرون من ذلك وهذا خبر عن التأييد لا يستحيل أبدا ووجب أنهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون قد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل ابدا إلا بد بلا نهاية فقال تعالى ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ فكفر تعالى من عادى أحدا منهم فإن قال قائل كيف لا يعصون والله تعالى يقول ﴿ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ قلنا نعم هم متوعدون على المعاصي لما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول له ربه عز وجل ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ وقد علم عز وجل أنه عليه السلام لا يشرك أبدا وأن الملائكة لا يقول أحد منهم أبدا إني إله من دون الله وكذلك قوله تعالى ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ وهو تعالى قد برأهن وعلم أنه لا يأتي أحد منهن بفاحشة أبدا بقوله تعالى ﴿والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون﴾ لكن الله تعالى يقول ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فأخبر عز وجل بحكم هذه الأمور لو كانت وقد علم أنها لا تكون كما قال تعالى ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ وكما قال ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ وكما قال تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ وكما قال تعالى ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ وكل هذا قد علم الله تعالى أنه لا يكون أبدا وبالله تعالى التوفيق فإن قال قائل إن الملائكة مأمورون لا منهيون قلنا هذا باطل لأن كل مأمور بشيء فهو منهي عن تركه وقوله تعالى ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها وقال عز وجل ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين﴾

قال أبو محمد وهذا مبطل ظن من ظن أن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفا أنهم لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون وبإخباره تعالى أنهم لا يسأمون ولا يفترون ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل فوجب يقينا أنه ليس في الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطأ ولا بنسيان وقال عز وجل ﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى

وث‍داث ورباع﴾ فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن والرسل معصومون فصح أن هاروت وماروت المذكورين في القرآن لا يخلو أمرهما من أحد وجهين لا ثالث لهما أما أن يكونا جنين من أحياء الجن كما روينا عن خالد بن أبي عمران وغيره وموضعهما حينئذ في الجو بدل من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون الوقوف على قوله ما أنزل على الملكين ببابل ويتم الكلام هنا وأما أن يكونا ملكين أنزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخها فصارت كفرا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمهما." (١)

"ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان صلى الله عليه وسلم يصف بها ربه لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمون مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الأمر وغير ذلك ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفة ربه من الفوقية واليدين وغيرهما مثل أن ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المرتبة ويد النعمة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ في سبعة مواضع وقال الله تعالى ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ وقال الله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وقال الله تعالى ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقال الله تعالى ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾." (٢)

"فصل وقد تقرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية كقوله يخافون **ربهم من فوقهم** ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ لأن فوقيته سبحانه وتعالى وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفل حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه وهو سبحانه على بالذات كما كان قبل خلق الأكوان وما سواه متسفل بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فيحيي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويعز هذا ويذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شيء قائم به فرحم الله عبدا وصلت إليه هذه الرسالة ولم يعالجها بالانكار وافتقر إلى ربه في كشف الحق آناء الليل وأطراف النهار وتأمل النصوص في الصفات وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له وما

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٣/١٤٥

(٢) النصيحة في صفات الرب جل وعلا ابن شيخ الحزامين ص/١١

الذي أريد بعلمها من المخلوقات ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الرب بها والتوجه اليه منها واثباته له بحقائقها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته بلا تأويل ولا تعطل ولا تكييف ولا تمثيل ولا جمود ولا وقوف وفي ذلك بلاغ لمن اعتبر وكفاية لمن استبصر

تمت الرسالة." (١)

"قلنا ليس المراد بالغاية هنا غاية المكان بل غاية انتهاء الأمور إليه كقوله تعالى ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وإليه يرجع الأمر كله وقول إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ ﴿توبوا إليه﴾ وهو كثير

فالمراد الانتهاء إلى ما أعده لعباده والملائكة من الثواب والكرامة والمنزلة

فإن قيل قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾

قلنا يأتي ذلك في مكانه من آيات القرآن

فإن قيل إنما يقال استولى لمن لم يكن مستوليا قبل أو لمن كان له منازع فيما استولى عليه أو عاجز ثم قدر

قلنا المراد بهذا الاستيلاء القدرة التامة الخالية من معارض وليس لفظة ثم." (٢)

"وهذا منهم افتراء عظيم تعالى الله عنه وجهل بعلم هيئة العالم فإن المماسة توجب الجسمية والقدمين يوجب التشبيه والإمام أحمد بريء من ذلك فإن المنقول عنه أنه كان لا يقول بالجهة للباري تعالى وكان يقول الاستواء صفة مسلمة وهو قول بعض السلف رضي الله عنهم

الآية الثانية قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وقوله تعالى ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾

اعلم أن لفظة فوق في كلام العرب تستعمل بمعنى الحيز العالي وتستعمل بمعنى القدرة وبمعنى الرتبة العلية فمن فوقية القدرة ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ فإن قرينة ذكر القهر يدل على ذلك ومن فوقية الرتبة ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ لم يقل أحد إن المراد فوقية المكان بل فوقية القهر." (٣)

---

(١) النصيحة في صفات الرب جل وعلا ابن شيخ الحزامين ص/٣٠

(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ابن جماعة، بدر الدين ص/١٠٦

(٣) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ابن جماعة، بدر الدين ص/١٠٨

"والقدرية والرتبة

وإذا بطل بما قدمناه ما سنذكر من إبطال الجهة في حق الرب تعالى تعين أن المراد فوقية القهر والقدرة والرتبة ولذلك قرنه بذكر القهر كما قدمنا

ويدل على ما قلناه أن فوقية المكان من حيث هي لا تقتضي فضيلة له فكم من غلام أو عبد كائن فوق مسكن سيده ولا يقال الغلام فوق السلطان أو السيد على وجه المدح إذا قصد المكان لم يكن فيه مدحه بل الفوقية الممدوحة فوقية القهر والغلبة والرتبة ولذلك قال تعالى ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ لأنه إنما يخاف الخائف من هو أعلى منه رتبة ومنزلة وأقدر عليه منه فمعناه يخافون ربهم القادر عليهم القاهر لهم وحقيقته يخافون عذاب ربهم لأن حقيقة الذات المقدسة لا تخاف وإنما المخوف في الحقيقة عذابه وبطشه وإنتقامه وإذا ثبت ذلك فلا جهة

وله وجه آخر وهو أن يكون ﴿من فوقهم﴾ متعلقا بعذاب ربهم المقدر ويؤيده قوله تعالى ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾ الآية

فقد بان بما ذكرناه أن المراد بالفوقية في الآيات القهر والقدرة والرتبة أو فوقية جهة العذاب لا فوقية المكان له." (١)

"١٠ – وقال تعالى ﴿وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه﴾

١١ – وقال تعالى في الملائكة ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾

١٢ – وقال تعالى ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾

١٣ – وقال تعالى ﴿ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾

١٤ – وقال تعالى ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾

إلى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل منزله وتعالى قائله." (٢)

"صلى الله عليه وسلم أصل ذلك وألقاه إلى أمته وبناه على ما أوحي إليه من قول أصدق القائلين ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ إلى غير ذلك من الآيات وإلى ما علمه جبرائيل

---

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ابن جماعة، بدر الدين ص/١٠٩

(٢) العلو للعلي الغفار الذهبي، شمس الدين ص/١٢

وما جاء به عن رب العالمين من السنة وما جاء به المرسلون إلى أممهم من إثبات نعوت الرب سبحانه وتعالى فالحمد لله على الإسلام والسنة
حرب الكرماني

٥١٢ - قال عبد الرحمن بن محمد الحنظلي الحافظ أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني فيما كتب إلي أن الجهمية أعداء الله وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق وأن الله لم يكلم موسى ولا يرى في الآخرة ولا يعرف لله مكان وليس على عرش ولا كرسي وهم كفار فاحذرهم // كان حرب من أوعية العلم
حمل عن أحمد وإسحاق وكان عالم كرمان في عصره يذكر مع الأثرم والمروذي ارتحل إليه الخلال وأكثر عنه توفي سنة بضع وسبعين ومائتين
قد ذكرنا احتفال الإمام أبي بكر المروذي في هذا العصر لقول مجاهد أن الله تعالى يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش
وغضب العلماء لإنكار هذه المنقبة العظيمة التي انفرد بها سيد البشر ويبعد أن يقول مجاهد ذلك إلا بتوقيف فإنه قال قرأت القرآن من أوله إلى آخره ثلاث مرات على ابن عباس رضي الله عنهما أقفه عند كل آية أسأله فمجاهد أجل المفسرين في زمانه وأجل المقرئين تلا عليه ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن
فممن قال أن خبر مجاهد يسلم له ولا يعارض عباس بن محمد الدوري الحافظ ويحيى بن أبي طالب المحدث ومحمد بن إسماعيل السلمي الترمذي الحافظ وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الدقيقي وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن وإمام وقته إبراهيم بن إسحاق الحربي والحافظ أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي وحمدان بن علي الوراق الحافظ وخلق سواهم من علماء السنة ممن أعرفهم وممن لا أعرفهم ولكن ثبت في الصحاح أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم //
عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ

٥١٣ - قال عثمان الدارمي في كتاب النقض على بشر المريسي وهو مجلد سمعناه من أبي حفص بن القواس فقال قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته
٥١٤ - وقال أيضا أن الله تعالى فوق عرشه يعلم ويسمع من فوق العرش لا تخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء // قال أبو الفضل الفرات ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ولا رأى هو مثل نفسه أخذ

الحديث عن يحيى بن معين وابن المديني والفقه عن البويطي والأدب عن ابن الأعرابي فتقدم في هذه العلوم قلت ولحق مسلم بن إبراهيم وسعيد بن أبي مريم والطبقة وما هو في العلم بدون أبي محمد الدارمي السمرقندي

مات بعد الثمانين ومائتين بسجستان

وفي كتابه بحوث عجيبة مع المريسي يبالغ فيها في الإثبات والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف في القديم والحديث

وممن لا يتأول ويؤمن بالصفات وبالعلو في ذلك الوقت الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي الدارمي وكتابه ينبيء بذلك

وأحمد بن الفرات الرازي الحافظ الشهير أبو مسعود وأبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني الحافظ صاحب التصانيف

والإمام الحجة مسلم بن الحجاج القشيري صاحب الصحيح والقاضي الإمام صالح بن أحمد بن حنبل وأخوه الحافظ أبو عبد الرحمن وابن عمهما حنبل بن إسحاق الحافظ

والحافظ أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي صاحب المسند والحافظ شيخ الأندلس بقي بن مخلد القرطبي مصنف المسند والتفسير وشيخ المالكية الإمام إسماعيل بن إسحاق الأزدي البصري القاضي والحافظ يعقوب بن سفيان الفارسي الفسوي والحافظ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة والحافظ أبو زرعة الدمشقي والإمام محمد بن نصر المروزي //." (١)

")

٥٧٥ – وقال القاضي أبو يعلى أيضا بعد أن ذكر حديث الجارية الكلام في هذا الخبر في فصلين أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء وقد أخبرنا تعالى أنه في السماء فقال ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وهو على العرش وسرد كلاما طويلا لكنه ساق أحاديث ساقطة لا يسوغ أن يثبت بمثلها لله صفة // وكان آية في معرفة مذهب الإمام أحمد صنف التصانيف الفائقة وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وكان عالي الإسناد سمع من علي بن عمر الحربي وطائفة وعاش نيفا وثمانين سنة

البيهقي

---

(١) العلو للعلي الغفار الذهبي، شمس الدين ص/١٩٤

٥٧٦ – قال الإمام شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي صاحب التصانيف في كتاب المعتقد له باب القول في الاستواء قال الله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال ﴿ثم استوى على العرش﴾ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وأراد من فوق السماء كما قال تعالى ﴿في جذوع النخل﴾ وقال ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي على الأرض

وكل ما علا فهو سماء أعلى والعرش أعلى السماوات فمعنى الآية أأمنتم من على العرش

كما صرح به في سائر الآيات

وفيما." (١)

"ابن موهب

٥٩٢ – قال العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد أما قوله إنه فوق عرشه المجيد بذاته فمعنى فوق وعلى عند جميع العرب واحد

وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك وهو قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ وقال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى

إلى أن قال وقد تأتي لفظة في في لغة العرب بمعنى فوق كقوله ﴿فامشوا في مناكبها﴾ و ﴿في جذوع النخل﴾ و ﴿أأمنتم من في السماء﴾ قال أهل التأويل يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء يعني فوقها وعليها فلذلك قال الشيخ أبو محمد أنه فوق عرشه ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته لا تحويه الأماكن وأنه أعظم منها وقد كان ولا مكان

ثم سرد كلاما طويلا إلى أن قال فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سماواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه فأقروا بوصفه بالاستواء على

---

(١) العلو للعلي الغفار الذهبي، شمس الدين ص/٢٥٢

عرشه وأنه على الحقيقة لا علي المجاز لأنه الصادق في قيله ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثله شيء." (١)

"وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ١.

﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ٢.

﴿بل رفعه الله إليه﴾ ٣.

﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٤.

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ ٥.

﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ ٦الآية٧.

﴿ذي المعارج. تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ٨.

وقال فرعون ﴿اهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب. أسباب

---

١ الآية ١٠ من سورة فاطر.

٢ الآية ٥٥ من سورة آل عمران.

٣ الآية ١٥٨ من سورة النساء.

٤ الآية ٥٠ من سورة النحل.

٥ الآية ٥ من سورة السجدة.

٦ الآية ١٦ من سورة الملك.

٧ "الآية" ساقطة من (ب) .

٨ الآيتان ٣-٤ من سورة المعارج.." (٢)

"

وقد أشار العلماء إلى ذلك التنوع في العبارة، ومن ذلك:

١-التصريح بالفوقية مقرونة بأداة (من) المعينة لفوقية الذات نحو: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠]

.

---

(١) العلو للعلي الغفار الذهبي، شمس الدين ص/٢٦٤

(٢) العرش للذهبي الذهبي، شمس الدين ٢/١٩

٢-ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] .

٣- التصريح بالعروج إليه، نحو ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤] .

٤- التصريح بالصعود إليه، كقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر:١٠] .

٥- التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨] ، وقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران:٥٥] .

٦-التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا، وقدرا، وشرفا، كقوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ ﴿وهو العلي الكبير﴾ ﴿إنه علي حكيم﴾ .

٧- التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر: ١] ، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت:٤٢] ، ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ [النحل: ١٠٢] .

٨-التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿فالذين عند ربك﴾ [فصلت:٣٨] ، وقوله ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ [الأنبياء:١٩] .." [(١)]

"فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، وفي١ السموات وفي٢ الأرض.

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها (ق٥٧/ب) منعظمة الرب شيء، أجسامكم وأجوافكم والحشوش٣ والأماكنالقذرة ليس فيها من عظمته شيء، وقد أخبرنا عز وجل أنه فيالسماء فقال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرضفإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ ٤، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب [والعمل الصالح يرفعه] ٥﴾ ٦، ﴿إني متوفيكورافعك إلي﴾ ٧، ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ٨، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٩ فقد

---

١ في (ج) "وفوق".

٢ "في" ساقطة من (ب) و (ج) .

٣ "والحشوش" ساقطة من (ب) و (ج) .

٤ الآيتان ١٦-١٧ من سورة الملك.

٥ ما بين المعكوفتين ساقط من (أ) .

---

(١) العرش للذهبي الذهبي، شمس الدين ٢/٢١

٦ الآية ١٠ من سورة فاطر.

٧ الآية ٥٥ من سورة آل عمران.

٨ الآية ١٥٨ من سورة النساء.

٩ الآية ٥٠ من سورة النحل.." [١]

"قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ١، ﴿ثم استوى على العرش﴾ ٢ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ٣، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٤، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ٥، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ٦، وأراد من فوق السماء، كما قال ﴿ولأصلبنكم (ق٨٦/أ) في جذوع النخل﴾ ٧ بمعنى على جذوع النخل، وقال: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ ٨ بمعنى على الأرض٩ وكل ما علا فهو سماء، والعرش على السموات، فمعنى الآية أأمنتم من على العرش، كما صرح [به] ١٠ في سائر الآيات.

---

١ الآية ٥ من سورة طه.

٢ الآية ٥٩ من سورة الفرقان.

٣ الآية ١٨ من سورة الأنعام

٤ الآية ٥٠ من سورة النحل.

٥ الآية ١٠ من سورة فاطر.

٦ الآية ١٦ من سورة الملك.

٧ الآية ٧١ من سورة طه.

٨ الآية ٢ من سورة التوبة.

٩ "بمعنى على الأرض" ساقطة من (ب) و (ج) .

١٠ ما بين المعكوفتين ساقط من (أ) و (ب) و (ج) وأثبته من الاعتقاد للبيهقي.." [٢]

"ونحن جميع؟ فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر، آية من آيات الله، كلكم يراه مخليا به، والله أكبر من ذلك، وإذ قد تبين أنه أعظم وأكبر من كل شيء. فهذا يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال.

---

(١) العرش للذهبي الذهبي، شمس الدين ٢/٣٢٠

(٢) العرش للذهبي الذه بي، شمس الدين ٢/٤٥٣

[بحث الفوقية]

وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١] . ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]

[النحل: ٥٠] . وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال المتقدم ذكره: والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك كله. وقد أنشد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه شعره المذكور بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأقره على ما قال: وضحك منه. وكذا «أنشده حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه قوله:

شهدت بإذن الله أن محمدا ... رسول الذي فوق السماوات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم ... رسول أتى من عند ذي العرش مرسل." (١)

"أحدها: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة ((من)) المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] .

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨]

[الأنعام: ١٨ و ٦١] .

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤] . وقوله صلى الله عليه وسلم: «فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم» .

الرابع: التصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] .

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨] . وقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥] .." (٢)

"[وأما مذهب الخصم: فقد نص عليه القاضي شرف الدين في ((تذكرته)) ، وذكر معنى ذلك القاضي العلامة عبد الله بن حسن] (١) ... (٢الدواري في ((تعليق الخلاصة)) ، والحاكم في ((شرح العيون)) وغيرهم.

وأما دعوى الإجماع: فذكرها الأمير علي بن الحسين في ((اللمع)) الذي /هو مدرسهم (٢).

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٣٧٥

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٣٨١

وفي هذا القدر كفاية في الذب عن السنن الصحيحة المنقولة عن ثقات المرجئة، وقد تركت بعض ما في ((الأصل)) من التطويل في ذلك، وقد أكثرت من الانتصار لظن صدقهم وقبول روايتهم، حتى ربما توهم بعض الضعفاء أني أميل رأيهم، ومعاذ الله تعالى من ذلك، فعقيدة أهل السنة أصح مباني واوضح معاني، وحسبك أنها جامعة لمحاسن العقائد؛ من حسن الظن بالله ورجاء مغفرته مع خوف عذابه، والحذر من غضبه، وإن مات العاصي على الإسلام فلابد من الخوف والرجاء لذي الجلال والإكرام، فقد قال الله تعالى في الملائكة مع أمانهم من الموت عن الكفر، ومن ارتكاب الكبائر: ((يخافون **ربهم من فوقهم**)) [النحل/٥٠] وقال فيهم: ((هم من خشية ربهم مشفقون)) [المؤمنون/٥٧] فإذا كان هذا حال الملائكة - عليهم السلام-، فكيف بحال العبد العاصي!! وفي ((الصحيح)) (٣) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لو

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصول، واستدركه من سياق الكلام في ((العواصم)): (٢/ ٢٧٥).

(٢) ما بينهما ساقط من (س).

(٣) تقدم تخريجه.." [(١)]

"وقول الخليل عليه السلام ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ وقول عيسي عليه السلام ﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ وفي الخوف أكثر من ذلك كقوله ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وقوله تعالي ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ وقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقوله تعالي في الملائكة ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ وقوله تعالى في الصالحين ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ وقوله تعالى ﴿وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله والله إني لأخشاكم لله وأمثال ذلك مما يطول ذكره

والجمع بين الرجاء والخوف من وجهين أحدهما أن يرجو حين يذكر صفات ربه ويخاف حين يذكر صفات نفسه لقوله تعالى ﴿من خشي الرحمن﴾ فسماه بالرحمن في حال خوفه وثانيهما أن يخاف على نفسه ويرجو لغيره وتأمل قول الخليل عليه السلام في خوفه على نفسه ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ ولم يقل والذي يغفر لي كما قال ﴿والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ وكذا قوله ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ وقال عليه السلام في حق غيره ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - ابن الوزير ٥٢٢/٢

فانظر ما أشد خوفه على نفسه وأوسع رجاءه لغيره وهذا عكس ما عليه الاكثرون والله المستعان
فان قيل هذا الكتاب مبني على الاحتياط ومذهب الوعيدية أحوط فكيف لم تلتزمه في هذه المسألة
فالجواب أن الاحتياط باق مع الرجاء والخوف لوجهين أحدهما أن المفسدة إنما هي في الأمان لكن من لم يتأمل لم يفرق بين الامان والرجاء والفرق بينهما واضح ولذلك قيل من رجا خاف ومن خاف رجا ومن قديم ما قلت في هذا المعني هذه الأبيات." (١)

"قال: وأما الأصل الثاني -وهو معرفة تفسير ما يحتاج إليه- فصعب جدا حصوله على الوجه المعتبر.
أقول: قد صنف السيد أيده الله تفسيرا للقرآن وتوسع في النقل حتى روى عن المخالفين عموما، وعن الرازي (١) خصوصا، واعتمد تفسيره " مفاتيح الغيب " مع نصه على أنه معاند غير متأول، وعلى أنه غير موفق ولا

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ. كان إماما في التفسير والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، وكان العلماء يقصدونه من مختلف البلاد، ويشدون إليه الرحال من أقطار بعيدة، وله مجموعة كبيرة من التصانيف في فنون مختلفة تنبىء عن صحة ذهن، واطلاع واسع، وحافظة واعية، وقدرة فائقة على تقرير الأدلة والبراهين.
وتفسيره المسمى بـ " مفاتيح الغيب " يقع في ثماني مجلدات، وهو مطبوع متداول، حظي بشهرة واسعة بين أهل العلم لما تضمنه من أبحاث واسعة مستفيضة في نواح شتى من العلم إلا أنه يعاب بإيراد الشبهة الشديدة، ويقصر عن حلها.
وشيء هام لا بد من ذكره هنا هو أن الفخر رحمه الله يميل في تفسيره في مسألة الصفات إلى طريقة المتكلمين المؤولة النفاة، المناقضة لما كان عليه سلف الأمة المشهود لهم بالخيرية والمعرفة إلا أنه رحمه الله قد رجع عن ذلك في آخر عمره وتمنى أنه لم يشتغل بعلم الكلام، فقد جاء في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٨٢ ما نصه: وروي عنه أنه قال: لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن، اقرأ في التنزيه ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ واقرأ في الإثبات ﴿الرحمن على العرش

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٣٥٦

استوى﴾ ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ و ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ واقرأ أن الكل من الله قوله ﴿قل كل من عند الله﴾ ثم قال: وأقول من صميم القلب من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو الأكمل والأفضل الأعظم الأجل، فهو لك، وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه.

ومع أن الرازي بلغ في تفسيره إلى سورة الأنبياء ولم يكمله، وإنما أكمله من بعده أحمد بن محمد القمولي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ، كما في طبقات السبكي ٩/ ٣٠، فلا يكاد القارىء يلحظ فيه تفاوتا في المنهج والمسلك بل يجري الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد بحيث يتعذر على القارىء التمييز بين الأصل والتكملة. انظر ترجمة الرازي في " طبقات الشافعية " للسبكي ٨/ ٨١ - ٩٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٨١ - ٨٤.." (١)

"الوجه الثامن: أن الملائكة والأنبياء قد أمنوا من الموت على الكفر الدي تخافه المرجئة، وهم مع ذلك أخوف الخلق لله فدل ذلك على أن الخوف ليس موقوفا على ظن الخائف أن الله يعذبه في الآخرة، ولا على تجويزه لذلك، وقد قال تعالى في الملائكة عليهم السلام: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء: ٢٨].

الوجه التاسع: أن نقول: الدواعي إلى الصدق في الحديث خاصة أكثر، والصوارف عن الكذب فيه أكبر، فقد رأينا الفساق المصرحين يمضي عمر أحدهم ولم يكذب فيه على النبي - صلى الله عليه وسلم -، وتقدير وجود الداعي الغالب لوازع الشرع الماحي لآثار الحياء من الله تعالى نادر الوقوع في الزمان، نادر الوقوع في الأشخاص، والنادر غير معتبر بدليل أنه مرجوح، والصدق راجح، وتقديم الراجح على المرجوح، والمساواة بينهما على خلاف المعقول، ولا موجب لترك دليل المعقول من المنقول.

الوجه العاشر: لو كان اعتقادهم أن الله يغفر حاملا على المعصية قطعا، لوجب أن يكون اعتقاد أن الله يعذب من لم يتب موجبا لترك المعاصي قطعا كافيا في العدالة، فيكون من اعتقد أن الله لا يغفر إلا بالتوبة، فهو عدل لا يحتاج إلى تعديل ولا خبرة، ومن اعتقد أن الله يغفر من دون توبة، فهو مجروح من غير جارح ولا خبرة، بل بمجرد اعتقادهما يثبت لذلك العدالة ولهذا الجرح، فكما أن ذلك لا يصح التعديل به في الوعيدي، فكذلك لا يصح الجرح به في المرجىء، فكما أنا نجد في الوعيدية عاصيا، فكذلك نجد في

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١/٤١٤

المرجئة مطيعا، بل الوعيدي العاصي هو الذي وجود الذنب منه أقبح وإصراره عليه للجرح أصلح ولذلك قيل:." [1]

"ينطق بالحق﴾ [المؤمنون: ٦٢]. وقوله: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم﴾ [السجدة: ١٢]، وفي آية: ﴿موقوفون عند ربهم﴾ [سبأ: ٣١]، وقوله: ﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ [آل عمران: ٧٣] وقوله: ﴿لا تختصموا لدي﴾ [ق: ٢٨].

ومن أنواعه: قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ [الأنعام: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ [هود: ١٨].

ومن أنواعه: آيات لقاء الله تعالى، وهي أشهر وأكثر من أن تذكر.

ومن أنواعه الكثيرة ما في القرآن من ذكر علوه على خلقه، تارة بالتمدح بأسمائه: العلي، والأعلى، والمتعالي، وذي المعارج، وتارة بالخبر عن ذلك في آيات عديدة، كقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]. وقوله: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ [السجدة: ٥]. وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٤] وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] وقوله: ﴿إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ [الإسراء: ٤٢].

ومن أنواعها: قوله تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥]. وقد تقدم كلام شيخ الإسلام فيها في الوهم الخامس عشر (١) وقوله: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧]. وقد صح تفسيرها بالحقيقة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن مسعود (٢)،

---

(١) تقدم في الجزء الرابع.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١١) و (٧٤١٤) و (٧٤١٥) و (٧٤٥١) و (٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦)، وأحمد ١/ ٤٢٩ و٤٥٧، وابن أبي عاصم (٥٤٩)، وابن خزيمة في " التوحيد " =." [2]

---

[1] العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢/٢٧٣

[2] العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٥/٩٣

"وقوله: ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [آل عمران: ١٥]، وقوله: ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقوله: ﴿إن المتقين في جنات ونهر (٥٤) في مقعد صدق عند مليك مقتدر (٥٥)﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥]، وقوله: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ [الزمر: ٣٤] و [الشورى: ٢٢]، وقوله: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ [القلم: ٣٤]، وقوله: ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقوله: ﴿إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة﴾ [التحريم: ١١]، وقوله: ﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ [الحديد: ١٩]، وقوله: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ [الزمر: ٣٤] و [الشورى: ٢٢]، وقوله: ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك﴾ [الذاريات: ٣٣ - ٣٤]، وقوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩]، وقوله: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ [الزخرف: ٤]، وقوله: ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ [ق: ٤]، وقوله: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ [المؤمنون: ٦٢]، وقوله: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم﴾ [السجدة: ١٢]، وقوله: ﴿لا تختصموا لدي﴾ [ق: ٢٨]، وقوله: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ [الأنعام: ٣٠]، وقوله: ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ [هود: ١٨]، وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ [السجدة: ٥]، وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ [الإسراء: ٤٢]، وقوله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ [هود: ٣٧]، وقوله: ﴿واصبر لحكم ربك." [١]

"الملك فيما بين البشر كالنبي في الأمة، وذلك يوجب فضلهم على البشر. (الرابع) : أن طاعات الملائكة مساوية لطاعات بني آدم في الخشية والخوف، قال تعالى: (يخافون **ربهم من فوقهم**) النحل: ٥٠ وقال (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) الأنبياء:٢٧ وقال: (وهم من خشيته مشفقون) الأنبياء: ٢٨ وقال: (حتى إذا فزع عن قلوبهم) سبأ ٢٣ فهذه الايات دالة على أن خشوع الملائكة وخضوعهم إن لم يكن أزيد من خشوع البشر وخضوعهم فلا أقل منه، إذا ثبت هذا فنقول: طاعات الملائكة تساوي

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٨/٢٨٩

طاعات البشر في الكيفية الموجبة للثواب، وهي الخضوع والخشوع وأزيد منها في المدة والدوام، فوجب القطع بأن ثوابهم أكثر وأزيد.

الحجة الخامسة: الملائكة أسبق في العبادة من البشر، والأسبق أفضل، أما أنهم أسبق فلا شك فيه، ومن المعلوم أنه لا حصلة من خصال الدين إلا وهم أئمة مقتدى بهم فيها بل هم المنشئون العامرون لطرق الدين، وأما أن الأسبق أفضل فلوجهين:

الأول: قوله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون) الواقعة:١٠، ١١ والثاني قوله عليه السلام.

) من سن حسنه فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة (.."[١]

"الجهة، ولأن إبراهيم عليه السلام كان رسولا إلى لوط فكان أفضل منه، وموسى كان رسولا إلى الأنبياء الذين كانوا في عسكره وكان أفضل منهم، فكذا هنا.

الحجة السابعة: الملائكة أتقى من البشر، والأتقى أفضل، إنما قلنا إنهم أتقى لأنهم مبرءون عن الزلات وعن الميل إليها، لأن خوفهم دائم قال تعالى: (يخافون **ربهم من فوقهم**) النحل: ٥٠ وقال: (وهم من خشيته مشفقون) الأنبياء: ٢٨ والخوف والإشفاق ينافيان العزم على المعصية، أما الأنبياء عليهم السلام فلم يخل أحد منهم عن شيء هو صغيرة أو ترك مندوب.

قال عليه السلام:) ما منا أحد إلا عصى أو هم بمعصية غير يحيى بن زكريا (وإنما قلنا إن الأتقى أفضل، لقوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: ١٣ فثبات الكرامة مقرونا بذكر التقوى يدل على أن تلك الكرامة معللة بالتقوى، فحيث كان التقوى أكثر وجب أن يكون كرامة الفضيلة أكثر، لا يقال: فهذا يقتضي أن يكون يحيي عليه السلام أفضل من الأنبياء ومن محمد، لأنا نقول: هذه الصورة خصت بدلالة الإجماع فبقى الدليل حجة في سائر الصور.

الحجة الثامنة: الأنبياء عليهم السلام ما استغفروا لأحد إلا وبدأوا بالإستغفار لأنفسهم، ثم بعد ذلك لغيرهم من المؤمنين قال آدم: (ربنا ظلمنا أنفسنا) الأعراف: ٢٣ وقال نوح: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا) نوح: ٢٨ وقال إبراهيم: (رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين) الشعراء: ٨٣ وقال موسى: (رب اغفر لي ولأخي) الأعراف: ١٥١ وأما الملائكة فإنهم لم يستغفروا لأنفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمؤمنين من البشر، قال تعالى حكاية عنهم:." [٢]

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك السيوطي ٢١٥/١

(٢) الحبائك في أخبار الملائك السيوطي ٢١٧/١

"الأنعام ١٨ ٦١ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ المعارج ٤ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فاطر ١٠ ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ النحل ٥٠ ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ تبارك ١٦ وفي هنا بمعنى على كما في قوله تعالى ﴿يتيهون في الأرض﴾ المائدة ٢٦ وقوله ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ طه ٧١ والمراد بالسماء هنا ما فوق العرش لأن ما علا يقال له سماء وبقوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه ٥ وبقوله ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ القصص ٣٨

قالوا فهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه فوق السماء ولهذا قال ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ القصص ٣٨ ولو كان موسى أخبره أنه في كل جهة أو في كل مكان بذاته لطلبه في نفسه أو في بيته ولم يجهد نفسه في بنيان الصرح

وبقوله عليه السلام إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته وسماواته فوق أرضه مثل القبة وأشار عليه السلام بيده مثل القبة." (١)

"خاليا هي مسألة سترها عن الملائكة والجن، قال: وكلام صاحب المحرر وظاهر كلامهم يجب عن الجن، لأنهم مكلفون أجانب، وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم، لأن الآدمي مكلف، وقد أمر الشارع في خبر بهز بن حكيم بحفظها عن كل أحد إلا من زوجته وأمته وهذا مع العلم بحضورهم. انتهى ملخصا. ولعل مراده إخراجهم عن التكليف بما كلفنا. لا مطلقا وإلا فهم مكلفون قطعا، قال ابن جماعة في شرح بدء الأمالي: المكلفون على ثلاثة أقسام: قسم كلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء - عليهم السلام -، وقسم لم يكلف من أول الفطرة وهم أولاد آدم، وقسم فيهم نزاع والظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجان. انتهى. قلت الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة إذ فيه: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم: ٦] ، ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ [سبأ: ١٢]- ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] ، وقال: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء: ٢٨]- ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ [الأنفال: ١٢] وهذا كله تكليف وناشئ عن التكليف، والأحاديث طافحة بمعنى ذلك، والله أعلم.

(الخامس) في ذكر بعض التفضيل بين المعلومات قال العز بن عبد السلام: الجواهر والأجسام كلها متساوية

---

(١) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات وال آيات المحكمات والمشتبهات مرعي الكرمي ص/٨٣

من جهة ذواتها، وإنما يفضل بعضها على بعض بصفاتها وأعراضها وانتسابها إلى الأوصاف الشريفة في التفاضل النفيسة، وأوصلها تلميذه القرافي في كتابه أنوار الفروق إلى عشرين قاعدة، أولها تفضيل المعلوم على غيره بذاته دون سبب يعرض له يوجب التفضيل له على غيره وله مثل، أحدها الواجب لذاته المستغني في وجوده عن غيره كذات الله تعالى وصفاته، الثاني العلم حسن لذاته وهو أفضل من الظن للقطع بعدم الجهل معه وتجويز الجهل مع الظن، وذلك لذات العلم لا لصفة قامت به، كما أن الجهل نقيصة لذاته لا لصفة قامت به أوجبت نقصه، بخلاف الجاهل والعالم، نقص الجاهل لصفة قامت به وهي الجهل، وفضل العالم بصفة قامت به وهي العلم، الثالث الحياة أفضل من." (١)

"القاهرفوق عباده، وأن ملائكته يخافون **ربهم من فوقهم**، فكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق عباده على عرشه وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة. وهو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه كقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ الآية [البقرة: ١٨٦] ، وقوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» .." (٢)

"وإجلالا لعظمته وقياما في عبوديته، وهذا الثالث من أعلى درجات الإخلاص كما عليه الصحابة والتابعون وتبعهم فيه المحققون من علماء كل مذهب، وان شابه خوف من الله ورجاء، وأما الأول والثاني فقد تقدم الكلام عليهما مبسوطا.

وهذه المراتب التي ذكرها صاحب المقدمة لا يخرج كل منها عن الإخلاص لأن الموحد لا يخلو عن أن يكون خائفا من ربه راجيا فهي في الحقيقة ترجع إلى معنى واحد إذ من لاحظ بعمله الله لا يعلم هو مقبول منه أم لا فهو خائف راج قال تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ وما يذكر عن بعض الشيوخ أنه جعل الخوف والرجاء من مقامات العامة فالمراد به أن المقربين يلاحظون بعبادتهم وجه الله فيقصدون رضاء الله والتلذذ بالنظر إليه كما قال الجنيد فهم يرجون حصول هذا المقصود المطلوب ويخافون حرمانه فلم يخرجوا عن الخوف والرجاء لكن مرجوهم ومخوفهم بحسب مطلوبهم، ومن قال منهم لم أعبدك شوقا إلى جنتك ولا

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٢/٤١٠

(٢) التحفة المدنية في العقيدة السلفية حمد بن ناصر آل معمر ص/٣٥

خوفا من نارك فهر يظن أن الجنة اسم لما يتمتع فيه من نعيم المخلوقات، والنار اسم لما يعذب فيه من ألم المخلوقات، وهذا قصور وتقصير منهم عن فهم مسمى الجنة بل كل ما أعد الله لأوليائه فهو في الجنة والنظر إليه في الجنة ولهذا كان أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار، ولما سئل بعض أصحابه عما يقول في صلاته قال إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ قال حولها ندندن، وأما التألم بالنار فهو أمر ضروري ومن قال لو أدخلتني النار لكنت راضيا. فهو عزم منه على الرضا والعزائم قد تنفسخ عن وجود الحقائق ومثل هذا يقع في كلام بعض القوم مثل ما قال سمنون:

فليس لي في سواك حظ ... فكيف ما شئت فامتحني

فابتلى بعس البول فجعل يطوف على صبي ا ن المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب، وبعض من تكلم في علل المقامات جعل الحب والرضا والخوف والرجاء من مقامات العامة بناء على مشاهدة القدر وان من نظر إلى القدر فشهد توحيد الأفعال حتى فنى من لم يكن وبقى من لم يزل، وهذا الكلام مستدرك حقيقة وشرعا، أما الحقيقة فإن الحي لا يتصور أن لا يكون حساسا محبا لما يلائمه مبغضا لما ينافره ومن." (١)

"[٢٦- باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ١]

[الخوف على ثلاثة أقسام] .

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، فلذلك قال المصنف بوجوب إخلاصه بالله تعالى. وقد ذكره الله تعالى في كتابه عن سادات المقربين من الملائكة والأولياء والصالحين قال الله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٢. وقال الله تعالى: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ ٣.

وقال تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ ٤. وقال تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ ٥. وأمر بإخلاصه له فقال تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾ ٦. وقال تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ ٧. وقال تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ ٨ [النحل: ٥٣] وهو على ثلاثة أقسام.

---

١ سورة آل عمران آية: ١٧٥.

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٤٧

٢ سورة النحل آية: ٥٠.

٣ سورة الأنبياء آية: ٢٨.

٤ سورة المؤمنون آية: ٥٧.

٥ سورة الأحزاب آية: ٣٩.

٦ سورة البقرة آية: ٤٠.

٧ سورة المائدة آية: ٤٤.

٨ سورة النحل آية: ٥٢.." (١)

"[٢٨- باب قول الله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ ١]

المراد بهذه الترجمة التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف، ولذلك ذكر بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ ٢. هذا هو مقام الأنبياء والصديقين كما قال تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ ٣. فابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب بحبه وطاعته، ثم ذكر الرجاء والخوف وهذه أركان الإيمان. وقال تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ ٤. وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون﴾ ٥. وقال عن شعيب: ﴿قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ ٦. فوكلا الأمر إلى مالكه، وقال تعالى عن الملائكة عليهم السلام: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ ٧. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية" ٨. وكلما قوي إيمان العبد ويقينه قوي خوفه ورجاؤه مطلقا. قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ٩. وقال: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ ١٠. وقالت عائشة:

---

١ سورة الأعراف آية: ٩٩.

٢ سورة الحجر آية: ٥٦.

٣ سورة الإسراء آية: ٥٧.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٤١٦

٤ سورة الأنبياء آية: ٩٠.

٥ سورة الأنعام آية: ٨٠.

٦ سورة الأعراف آية: ٨٩.

٧ سورة النحل آية: ٥٠.

٨ البخاري: الإيمان (٢٠ ،٤٣) والصوم (١٩٧٠) والأدب (٦١٠١) ، وأبو داود: الصلاة (١٣٦٨) ، وأحمد (١٢٢/٦) ، ومالك: الصيام (٦٤١) .

٩ سورة فاطر آية: ٢٨.

١٠ سورة المؤمنون، آيات: ٥٧-٦٠.." [1]

"السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ ١ وقوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم﴾** ٢ وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾ ٣ وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ ٤ وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ ٥. فذكر التوحيدين في هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ ٦ وقوله تعالى: ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى﴾ ٧ وقوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ ٨ وقوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ ٩ وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ ١٠ فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته، وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ ١١ وقوله تعالى: ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٤٣٥

١٢ وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ ١٣ وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي

---

١ سورة السجدة آية: ٥.

٢ سورة النحل آية: ٥٠.

٣ سورة البقرة آية: ٢٩.

٤ سورة الأعراف آية: ٥٤.

٥ سورة يونس آية: ٣.

٦ سورة الرعد آية: ٢.

٧ سورة طه آية: ٥-٤.

٨ سورة آية: ٥٩-٥٨.

٩ سورة آية: ٥-٤.

١٠ سورة الحديد آية: ٤.

١١ سورة الملك آية: ١٧-١٦.

١٢ سورة فصلت آية: ٤٢.

١٣ سورة الزمر آية: ١.." (١)

"وأما وصف الرب بالفوقية فقد صرحت الآيات الكريمات بذلك، وكذلك الأحاديث الثابتة المتواترة، وأجمعت عليه الأمم عربهم وعجمهم؛ لأن الله فطرهم على ذلك، إلا من شذ واجتالته الشياطين عن فطرته التي فطره الله عليها، وهذا كتاب الله -تعالى-، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وعامة كلام الصحابة والتابعين، ثم عامة كلام سائر الأمة مملوء بما هو؛ إما نص، وإما ظاهر، في أن الله هو العلي الأعلى، وأنه فوق كل شيء، وأنه عال على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله: ﴿ليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ١، ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ٢ ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ٣، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ٤، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٥، ﴿ثم استوى على العرش﴾ ٦ في ستة مواضع، إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر، ولا أحد من سلف الأمة: هذه

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٦٤٢

الأحاديث والآيات لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضي مقاييسكم؛ فإنه الحق، وما خالفه فلا تعتقدوه وانفوه.

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرا لهم في أصل دينهم؛ لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم شقاء وضلالا. ونحن لم نصف الله بالفوقية، وإنما هو –سبحانه– هو الذي وصف نفسه بذلك، فبطل قول المعترض، وكلامه صريح بأنه اتبع ما قاله الله ورسوله، وأن الله هو الذي وصف نفسه بذلك.

وأما قوله: "فقد فسرت كتاب الله". فهذا كذب وافتراء على المجيب، يعرفه كل منصف لبيب، وهذا المعترض لا يستحي من كثرة الكذب، نعوذ بالله من ارتكاب الهوى، والتعصب على الباطل، اللذين يصدان عن اتباع الحق وإرادته.

وقوله: "وأثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم". كذب ظاهر؛ لأن إثبات الفوقية لا يلزم منه ذلك عند من قال به، والله –سبحانه وتعالى– أعلم من خلقه بما يجوز عليه وما يمتنع عليه، ولكن هذا شأن أهل البدع والضلال، يردون ما جاء

---

١ سورة فاطر آية: ١٠.

٢ سورة آل عمران آية: ٥٥.

٣ سورة الملك آية: ١٦.

٤ سورة المعارج آية: ٤.

٥ سورة النحل آية: ٥٠.

٦ سورة الأعراف آية: ٥٤.." [(١)]

"سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا له سجدا فيكون أول من يرفع رأسه من السجود جبريل عليه السلام، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل، فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عزوجل ".

---

(١) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص/١٠٢

سمع ذلك أهل السماوات صعقوا " أي: غشوا خوفا١ من قيام الساعة، وقد وصف الله تعالى الملائكة في محكم كتابه بالخوف فقال سبحانه وتعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ ٢ " وخروا له سجدا٣ فيكون أول من يرفع رأسه من السجود جبريل عليه السلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل "

٤ قيل: كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة أو

---

(١) هكذا في ((الأصل)) ، وفي بقية النسخ: (غشوا فزعا) .

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٣) في ((المؤلفات)) : (وخروا لله سجدا) .

(٤) [٩٣ ح] ((السنة)) لابن أبي عاصم: (١/٢٢٦-٢٢٧، ح ٥١٥) ، ((الأسماء والصفات)) للبيهقي: (ص ٢٦٤) ، ((معجم الطبراني)) : ((مجمع الزوائد)) : (٧/٩٤-٩٥) الحديث قال الهيثمي: رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات. وضعف الألباني إسناده في ((ظلال الجنة على السنة)) لابن أبي عاصم.

انظر زيادة تخريج الحديث في الملحق.." [١]

"السبع ومن فيهن من العمار غير الله تعالى، والأرضين السبع ومن فيهن، وضعوا في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى، مالت بهن لا إله إلا الله.

=وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلي الله عليه وسلم: " أن نوحا – عليه السلام – قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله " ١.

قوله: "في كفة" هو بكسر الكاف وتشديد الفاء، أي كفة الميزان.

قوله: "مالت بهن" أي رجحت. وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله الذي هو أفضل

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١٩٨/١

الأعمال. وأساس الملة والدين، فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها، واستقام على ذلك، فهذه الحسنة لا يوازنها شيء؛ كما قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٢.

ودل الحديث على أن "لا إله الا الله" أفضل الذكر. كحديث عبد الله بن عمرو مرفوعا: وعلو القدر وعلو الذات. فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله كما قال تعالى: ٥: ٢٠ (الرحمن على العرش استوى) ٥٩: ٢٥ (ثم استوى على العرش الرحمن) الآية. في سبعة مواضع من كتابه (٥٣: ٧ و٣: ١ و١٣: ٢ و٣٢: ٤ و٤: ٤٧) كما قال تعالى: ١٠: ٣٥ (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى: ٥٠: ١٦ (يخافون **ربهم من فوقهم**) وقال تعالى: ٤: ٧٠ (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ٥٥: ٣ (إني متوفيك ورافعك إلي) وأمثال هذه الآيات. فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة، وألحد في أسمائه وصفاته ومعنى هذه الكلمة: نفي الإلهية عن كل شيء سوى ما استثنى بها وهو الله تعالى. لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانه١ إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة، وقد ذكر الله سبحانه في سورة براءة وغيرها كثيرا ممن يقولها ولم ينفعهم قولها، كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم، فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود. (فمنهم) من يقولها جاهلا بما وضعت له، وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، والصدق والإخلاص وغيرها. كعدم القبول ممن دعي إليها علما وعملا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه كحال أكثر من يقولها قديما وحديثا، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر. (ومنهم) من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى أو غير ذلك من الأسباب وهي كثيرة، منها: قوله تعالى: ٢٤: ٩ (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) . وأما أهل الإيمان الخالص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علما ويقينا، وصدقا وإخلاصا ومحبة وقبولا وانقيادا، وعادوا فيه ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه. وقد ذكرهم الله تعالى في مواضع من سورة براءة وغيرها وخصهم بالثناء عليهم والعفو عنهم، وأعد لهم جنته وأنجاهم من النار؛ كما قال تعالى: ١٠٠: ٩ (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) ، فهؤلاء ومن اتبعهم هم أهل "لا إله إلا الله"، وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد

لهم في الدار الآخرة. فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبه تعالى رغبة وعملا، وترك ما يكرهه خشية ورجاء، واعتبر الناس بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وما هم فيه من التفاوت البعيد؛ تبين له خطأ المغرورين؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني".

---

١ صحيح: أحمد (٢/١٦٩,١٧٠,٢٢٥) . وصححه الحاكم (١/٤٨,٤٩) ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي (٤/٢٢٠) : "ورجال أحمد ثقات" اهـ. وقال الألباني في الصحيحة (١/٢١٠) : "وسنده صحيح" اهـ.
٢ سورة الأحقاف آية: ١٣.." [(١)]

"باب: قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾

...

باب: قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ١.

قوله: "باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ."

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ ٢. وقال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٣. وقال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ ٤. وقال تعالى: ﴿فإياي فارهبون﴾ ٥. وقال تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ ٦. وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام:

أحدها: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو يصيبه بما يكره، كما قال تعالى عن قوم هود -عليه السلام- إنهم قالوا له: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدون جميعا ثم لا تنظرون﴾ ٧. وقال تعالى: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ ٨. وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها، ويخوفون بها أهل

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٥١

التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفا من بعض الناس، فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد. وهذا هو سبب نزول هذه الآية. كما قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا

---

١ سورة آل عمران آية: ١٧٥.

٢ سورة الأنبياء آية: ٢٨.

٣ سورة النحل آية: ٥٠.

٤ سورة الرحمن آية: ٤٦.

٥ سورة النحل آية: ٥١.

٦ سورة المائدة آية: ٤٤.

٧ سورة هود آية: ٥٤-٥٥.

٨ سورة الزمر آية: ٣٦.." (١)

"﴿ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ١ وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ ٢. وقوله تلى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٣. وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾ ٤. وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ ٥. وقوله: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ ٦ الآية. فذكر التوحيدين في هذه الآية. قوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ ٧. وقوله تعالى: ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى﴾ ٨. وقوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ ٩. وقوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٤٤

ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ ١٠. وقوله: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ ١١. فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته. وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ ١٢.

---

١ سورة المعارج آية: ٣-٤.

٢ سورة السجدة آية: ٥.

٣ سورة النحل آية: ٥٠.

٤ سورة البقرة آية: ٢٩.

٥ سورة الأعراف آية: ٥٤.

٦ سورة يونس آية: ٣.

٧ سورة الرعد آية: ٢.

٨ سورة طه آية: ٤-٥.

٩ سورة الفرقان آية: ٥٨-٥٩.

١٠ سورة السجدة آية: ٤-٥.

١١ سورة الحديد آية: ٤.

١٢ سورة الملك آية: ١٦-١٧.." (١)

"والفرض ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد. فمن قالها وعمل بها صدقا وإخلاصا، وقبولا ومحبة وانقيادا، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، وفي الحديث الصحيح: " أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " ١. وفي حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا: " يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال:

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٥١٢

أتنكر من هذا شيئا؟. فيقول: لا يا رب فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة " رواه الترمذي وحسنه٢.

قوله: " لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري "أي كل من في السماوات والأرض. وقوله "غيري" استثنى ممن في السماوات نفسه لأنه العلي الأعلى تعالى وتقدس كما قال تعالى ﴿وهو العلي العظيم﴾ ٣ علو القهر وعلو القدرة وعلو الذات، فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله، كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٤ ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ ٥ في سبعة مواضع من كتابه كما قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ٦. وقال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٧ وقال تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ٨، وقال تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ٩، وأمثال هذه الآيات. فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة وألحد في أسمائه وصفاته، ومعنى هذه الكلمة نفي الإلهية عن كل شيء

---

١ رواه مالك في " الموطأ " ١ / ٢١٤ – ٢١٥ في القرآن: باب ما جاء في الدعاء ، من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهو مرسل صحيح الإسناد ، والترمذي رقم (٣٥٧٩) في الدعوات: باب في دعاء يوم عرفة من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وفي سنده عند الترمذي: محمد ابن أبي حميد ابراهيم الأنصاري الزرقي أبو ابراهيم المدني ، لقبه حماد وهو ضعيف كما قال الحافظ في "التقريب". فالحديث ثابت بمجموع شواهده كما قال الألباني في "الأحاديث الصحيحة". رقم (١٥٠٣) .

٢ الترمذي رقم (٢٦٤١) في الإيمان: باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأحمد في "المسند" ٢/ ٢١٣ ، وابن ماجه رقم (٤٣٠٠) في الزهد: باب ما يرجى من رحمة الله عز وجل يوم القيامة ، وإسناده صحيح ، وصححه ابن حبان رقم (٢٥٢٤) "موارد"، والحاكم ١ / ٦ و ٥٢٩. انظر " الأحاديث الصحيحة " رقم (١٣٥) .

٣ سورة البقرة آية: ٢٥٥.

٤ سورة طه آية: ٥.

٥ سورة الفرقان آية: ٥٩.

٦ سورة فاطر آية: ١٠.

٧ سورة النحل آية: ٥٠.

٨ سورة المعارج آية: ٤.

٩ سورة آل عمران آية: ٥٥.." [(١)]

"أولهم في عصر التابعين. وأولهم الجعد بن درهم أنكر الصفات وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير واسط يوم الأضحى وظهر بعده جهم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية وهذا المذهب وهذا المذهب الخبيث: انتشرت مقالته في خلافة المأمون بن الرشيد فعطلوا الصفات ونفوا الحكمة وقالوا بالجبر.

فهذه الطوائف الثلاث هم أصل الشر في هذه الأمة وصارت فتنة الجهمية أكثر انتشارا ودخل فيها من يدعي أنه على السنة وليس كذلك فخالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وأئمتها وعم ضررهم فجحدوا الصفات وتوحيد الألوهية الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهم خصوم أهل التوحيد والسنة إلى اليوم فإياكم أن تغتروا بمن هذه حاله- ولو كان له صورة ودعوى في العلم- ممن امتلأ قلبه من فرث التعطيل وحال بينه وبين فهم الأدلة الصحيحة الصريحة شبهات التأويل.

قال الإمام أحمد رحمه الله: أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس. فصنف المتأخرون من هؤلاء على مذهبهم الفاسد مصنفات: كالأرجوزة التي يسمونها جوهرة التوحيد وفيها إلحاد وتعطيل لا يجوز النظر إليها ولم مصنفات أخرى نفوا فيها علو الرب تعالى والكتاب والسنة يردان بدعتهم ويبطلان مقالتهم فإن الله تعالى أثبت استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه كقوله: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ إلى غير ذلك من أدلة الصفات الصريحة في الكتاب والسنة ولا تتسع هذه الرسالة لذكرها.

وهذه الطائفة التي تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري وصفوا رب العالمين بصفات المعدوم والجماه فلقد أعظموا الفرية على الله وخالفوا أهل الحق من." [(٢)]

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٠

(٢) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٦٣

"من عبد الرحمن بن حسن إلى أخيه راشد بن مطر سلمه الله تعالى وزاده علما وإيمانا وتوفيقا وإذعانا.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

"وبعد" فقد وصل إلى خطك وسرنا ما أشعر به من حسن الحال من معرفة الإسلام ومحبته وقبوله فتلك النعمة التي لا أشرف منها ولا أنفع ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ فرحمته الإسلام والإيمان وقيل القرآن وهما متلازمان ورحمته أن جعلكم من أهله كما فسر الصحابي رضي الله عنه الآية بهذا.

وما ذكرت من قيام الجهمية والرافضة والمعتزلة عليكم فلا يخفاك أن هذه الفرق الثلاث قد ابتلى بهم أهل السنة والجماعة قديما وحديثا وتشعبت هذه الأهواء شعبا وكل من أقامه الله بدينه والدعوة إليه ناله منهم عناء ومشقة فهم أعداء أهل الحق في كل زمان ومكان حكمة بالغة ليمتحن حزبه بحربه كما جرى للرسل من أعدائهم في الدين قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾ ليتميز الصادق بصدقه وصبره على دينه وليتخلف من ليس كذلك ممن ليس له قدم راسخ في الإيمان ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ .

وبعد الإبتلاء واللامتحان يحصل النصر والتمكين للمؤمنين الصادقين الصابرين كما قال تعالى: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم﴾ الآية، فمن قامت عليه الحجة فلم يقبل وجادل بالباطل وجبت عداوته والبراءة منه ومفارقته بالقلب والبدن.

وأما قول الأشاعرة في نفي علو الله تعالى على عرشه فهو كقول الجهمية سواء بسواء. وذلك يرده ويبطله نصوص الكتاب والسنة كقول الله تعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى﴾ ﴿ثم استوى على العرش﴾ في سبعة مواضع كقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ والعروج إنما هو من أسفل إلى فوق وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾." (١)

"ولا يسهو، قريب لا يغفل، ولا يلهو (١) يتكلم، ويبسط، وينظر، ويضحك، ويفرح، ويحب، ويكره، ويبغض، ويسخط، ويرحم، ويعفو، ويغفر، ويعطي، ويمنع، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، كيف شاء، وهو معهم أينما كانوا. قال نعيم بن حماد (٢) لما سئل عن معنى هذه الآية: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤] معناها: أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه (٣) وليس معناه أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر

---

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٩١

آية من آيات الله، من أصغر مخلوقه، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر والمقيم أينما كان، فهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم ومطلع. وأخبر أنه ﴿ذي المعارج - تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٣ - ٤] وأنه ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام: ١٨] وأن الملائكة يخافونه من فوقهم (٤) وهذا المعنى حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وقال: ﴿فإني قريب﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» (٥) وقال تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ [المجادلة: ٧]

---

(١) أي أن الله لا يغفل وهي كبيان لنفي الغفلة أيضا. وفي النهاية. (٤ / ٢٨٢) : " اللهو: اللعب يقال: لهوت بالشيء ألهو لهوا وتلهيت به إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره وألهاه عن كذا أي شغله ".

(٢) هو أبو عبد الله المروزي صدوق يخطئ كثيرا فقيه عارف بالفرائض مات سنة (٢٢٨ هـ) على الصحيح. تقريب.

(٣) ذكره الذهبي في العلو (ص ١ / ٩٤ مختصره) وسنده صحيح كما في تخريجه.

(٤) قال تعالى: يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون [النحل ٥٠] .

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه ولفظه: " والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم ".." [1]

"والنزول (١) والإتيان (٢) والمجيء (٣) والكلام (٤) والقول (٥) والساق (٦) والحقو (٧) والجنب (٨) والفوق (٩) والاستواء (١٠) والقوة (١١) والقرب (١٢)

---

(١) مضى الكلام عليه مفصلا تعليق رقم (١) بحاشية ص ٦٤.

(٢) قال تعالى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام. . . [البقرة: ٢١٠] .

(٣) قال تعالى: وجاء ربك والملك صفا صفا [الفجر: ٢٢] .

(٤) سيأتي الكلام عليه مفصلا في الفصل القادم.

---

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر صديق حسن خان ص/٥٦

(٥) قال تعالى:. . . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل [الأحزاب: ٤] .

(٦) انظر صحيح البخاري (١٣ / ٤٢١ فتح) حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في الرؤية إذ فيه ". . . فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن " وانظر صحيح مسلم (١٨٣) .

(٧) الحقو في اللغة: الإزار أو معقده (القاموس المحيط ٤ / ٣٢٠) والنهاية (١ / ٤١٧) .

[فالحديث في صحيح البخاري ذكر بأن الرحم أخذت بحقو الرحمن. (فتح الباري: ٨ / ٥٧٩) ح ٤٨٣٠ وفي هذا غنية] .

(٨) قال تعالى: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله [الزمر: ٥٥، ٥٦] .

والأئمة في تفسير قوله تعالى: " في جنب الله " على خمسة أقوال: أحدها: في طاعة الله تعالى. والثاني: في حق الله. والثالث: في أمر الله. والرابع: في ذكر الله. والخامس: في قرب الله وجواره. فيكون المعنى عندهم على ما فرطت في طلب قرب الله تعالى وهو الجنة.

ولهذا لا تصلح هذه الآية وحدها لإثبات أن " الجنب " من الصفات لأن الآية ما سيقت لذلك ولم يفسرها أحد بذلك. وقد قال الإمام الدارمي في " الرد على المريسي " (ص ٥٤٠ عقائد السلف) :

" إنما تفسيرها عندهم تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله تعالى واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله، فهذا تفسير الجنب عندهم، فمن أنبأك أنهم قالوا جنب من الجنوب فإنه يجهل هذا المعنى كثير من العوام فضلا عن علمائهم وقد قال أبو بكر - رضي الله عنه -: " الكذب مجانب للإيمان " وانظر تفسير الطبري (٢٥ / ١٣) و " زاد المسير " (٧ / ١٩٢) و " مجموع الفتاوى ". (٦ / ٣٩٤) .

(٩) نؤمن بأن الله فوق خلقه. كما قال تعالى عن الملائكة يخافون **ربهم من فوقهم**. . . [النحل: ٥٠] وقد تقدمت الأدلة التفصيلية على علو الله على خلقه وهذا مما أجمع عليه سلف الأمة.

(١٠) تقدمت مباحثه مفصلة.

(١١) قال تعالى: إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين [الذاريات: ٥٨] .

(١٢) قال تعالى: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب. . . [البقرة: ١٨٦] .." [١]

---

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر صديق حسن خان ص/٧١

"سقر ومن قال ليس لله بيننا في الارض كلام فقد جحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله بعثه ليبلغ عنه كلامه والرسول انما يبلغ كلام مرسله فاذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول ونقول ان الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وانه تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح اليه وانه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وان المسيح رفع بذاته الى الله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج به الى الله حقيقة وان ارواح المؤمنين تصعد الى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه وانه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الاعلى وان المؤمنين والملائكة المقربين يخافون **ربهم من فوقهم** وان ايدي السائلين ترفع اليه وحوائجهم تعرض عليه فانه سبحانه هو العلي الاعلى بكل اعتبار فلما سمع المعطل منه ذلك امسك ثم اسرها في نفسه وخلي بشياطينه وبني جنسه واوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا واصناف المكر والاحتيال وراموا امرا يستحمدون به الى نظرائهم من اهل البدع والضلال وعقدوا مجلسا بيتوا في مساء يومه مالا يرضاه الله من القول والله بما يعملون محيط واتوا في مجلسهم يما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط وراموا استدعاء المثبت الى مجلسهم الذي عقدوه ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم مالفقوه من المكر وتمموه فحبس الله سبحانه عن ايديهم والسنتهم فلم يتجاسروا عليه ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء اليه وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر واخرج الناس لهم من المخبآت كمائنها قوله المخبات خبأه كمنعه ستره كخبأه واختبأه قاله في (القاموس (قوله كمائنها قال في (القاموس (."[1]

".. لكن نفاة الفوق ماوفوا به

جحدوا كمال الفوق للديان ... بل فسروه بأن قدر الله أعلى لا يفوق الذات للرحمن

قالوا وهذا مثل قول الناس في ... ذهب يرى من خالص العقيان

هو فوق جنس الفضة البيضاء لا ... بالذات بل في مقتضى الأثمان

والفوق أنواع ثلاث كلها ... لله ثابتة بلا نكران

هذا الذي قالوا وفوق القهر **والفوقية** العليا على الأكوان ...

هذا هو الدليل الثالث من أدلة علو الله تعالى على خلقه وهو صريح الفوق مصحوبا ب (من) كما في قوله

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ١/ ٣٠

سبحانه ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ النحل ٥٠ وأتى صريح الفوق أيضا غير مصحوب ب (من) كقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ الأنعام ١٨ ٦١ وذكر رحمه الله تعالى أن المجرور ب (من) لا يقبل التأويل أصلا وأما غير المجرور ب (من) فإن ادعى مدع تأويله لم يقبل منه لأن الأصل الحقيقة فلا تقبل دعوى المجاز بغير دليل ولا دليل هناك وهذا في غاية الظهور

قوله واصخ لفائدة جليل قدرها الخ مضمون هذه الفائدة قد ذكره الناظم في موضع آخر فقال المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له وكون اللفظ نصا يعرف بشيئين أحدهما عدم إحتماله لغير معناه وضعا والثاني ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده فإنه نص في معناه لا يقبل تأويلا ولا مجازا وإن قدر تطرق ذلك إلى بعض أفراده وصار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق إحتمال الكذب إليه وإن تطرق إلى كل واحد بمفرده وهذه قاعدة نافعة تدل." (١)

".. ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب كي تقوم شواهد الايمان ... واذا أتتك فلا تكن مستوحشا منها ولا تك عندها بجبان ... ليست تدل على انحصار إلهنا

عقلا ولا عرفا ولا بلسان ... إذ أجمع السلف الكرام بأن معناها كمعنى فوق بالبرهان

او ان لفظ سمائه يعنى به ... نفس العلو المطلق الحقان

والرب فيه وليس يحصره من ... المخلوق شيء ذو السلطان

كل الجهات بأسرها عدمية ... من حقه هو فوقها ببيان

قد بان عنها كلها فهو المحيط ... ولا يحاط بخالق الاكوان

ما ذاك ينقم بعد ذو التعطيل في ... وصف العلو لربنا الرحمن

ايرد ذو عقل سليم قط ذا ... بعد التصور يا اولي الاذهان

والله ما رد امرؤ هذا بغير ... الجهل او بحمية الشيطان ...

هذا هو الدليل التاسع على علو الرب سبحانه فوق خلقه وهذه نصوص **الفوقية** من الكتاب والسنة كقوله تعالى ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ وقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ الانعام ٦١ الآية

وروى الحافظ الذهبي في كتاب (العلو (عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ثم لآتينهم من بين

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٤٠٢/١

أيديهم﴾ قال لم يستطيع أن يقول ﴿من فوقهم﴾ علم أن الله تعالى من فوقهم وأما الاحاديث فعن زينب." (١)

"العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قال الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم إن الله بكل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قوله عز وجل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه ٥ وقوله عز وجل ﴿ثم استوى على العرش﴾ الاعراف ٢٤ وقال سبحانه ﴿أأمنتم من في السماء﴾ الملك ١٦ وقال ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فاطر ١٠ وقال ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ النحل ٥ وقال ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ السجدة ٥ وقال ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ المعارج ٤ وقال ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ الانعام ١٨ ٦١ وقال لعيسى عليه السلام ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ آل عمران ٥٥ وقال ﴿بل رفعه الله إليه﴾ النساء ١٥٨ وقد أخبر الله تعالى في موضعين من كتابه عن فرعون أنه قال ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إلـٰه موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ غافر ٣٦ ٣٧ يعني أظن موسى كاذبا أن له إلها في السماء هذه الاية تدل على أن موسى كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا قال ومن الحجة أيضا في انه على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين من العرب والعجم اذا كربهم امر أو نزلت بهم شدة رفعوا أيديهم ووجوههم الى السماء ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى وهذا اشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج الى أكثر من حكايته لأنه اضرار لم يواقفهم عليه احد ولا أنكره عليهم مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للامة التي اراد مولاها عتقها وكانت عليه رقبة مؤمنة فاختبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم." (٢)

"النصوص الدالة على ذلك من الكتاب العزيز

قوله فاذكر نصوص الاستواء الخ تقدم ذكر آيات الاستواء

قوله واذكر نصوص الفوق ايضا في ثلاث الخ وهي قوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ النحل ٥٠

وقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ الانعام ١٨

وقوله سبحانه ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ الانعام ٦١ الآية

قوله واذكر نصوص علوه في خمسة الخ وهي قوله تعالى في آية الكرسي ﴿وهو العلي العظيم﴾ البقرة ٢٥٥

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٤١٧/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٤٥٣/١

وفي الرعد ٩ ﴿الكبير المتعال﴾ وقوله في الشورى ٤ ﴿وهو العلي العظيم﴾ وقوله تعالى في سورة غافر ١٢ ﴿فالحكم لله العلي الكبير﴾ وقوله تعالى في سورة سبح ١ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾

قوله واذكر نصوصا في الكتاب الخ تقدم الكلام في ذلك بما أغنى عن إعادته

قال الناظم رحمه الله تعالى ... واذكر نصوصا ضمنت رفعا ومعراجا واصعادا الى الديان ... هي خمسة معلومة بالعد والحسبان فاطلبها من القرآن ...

وهي قوله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿بل رفعه الله إليه﴾ النساء ١٥٨ وقوله في سورة سأل ٤ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقوله في سورة السجدة ٥ ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾." (١)

"شجاعا بخلاف غيره وعاب عليه تسميته لتفسيره مفاتيح الغيب ولمختصره في المنطق الآيات البينات وتقريره لتلاميذه في وصفه بأنه الامام المجتبى أستاذ الدنيا أفضل العالم فخر بني آدم حجة الله على الخلق صدر صدور العرب والعجم هذا آخر كلامه وقد مات الفخر سنة ست وستمائة بمدينة هراة واوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده انتهى عبارة اللسان ومما قال فيه إن له كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم سحر صريح فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى

قلت ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقيل سنة ثلاث واشتغل أولا على والده ضياء الدين عمر وهو من تلامذة البغوي على الكمال السمناني والمجد الجيلي صاحب محمد بن يحيي وأتقن علوما كثيرة وبرز فيها وساد وقصده الطلبة من سائر البلاد وصنف في فنون كثيرة وكان له مجلس كبير في الوعظ يحضره الخاص والعام ويلحق فيه حال ووجد وجرت بينه وبين جماعة من الكرامية مخاصمات وفتن وأوذي بسببهم وكان ينال منهم في مجلسه وينالون منه وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم وقيل كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في الكلام وندم على دخوله في الكلام وروي عنه انه قال لقد أختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ورايت اصح الطرق طريقة القرآن أقرأ في التنزيه ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ محمد وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى و ﴿قل هو الله أحد﴾ واقرأ في الاثبات ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ النحل ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فاطر واقرأ في أن الكل من عند الله ﴿قل كل من عند الله﴾ النساء ثم قال." (٢)

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٥١١/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ١٩٠/٢

"في قولهم إن الله في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ١ وقوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش ثم استوى إلى السماء وهي دخان ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ ٢ وقوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ ٣ وقوله تعالى: ﴿إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ ٤ وقوله تبارك اسمه: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ٥. وقوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾ ٦. وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ ٧ وقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ ٨ وهذا من العلو، وكذلك قوله تعالى: ﴿العلي العظيم﴾ ٩ و ﴿الكبير المتعال﴾ ١٠ و ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ ١١ و ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ١٢ والجهمي يقول إنه أسفل، وقوله تعالى: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ١٣ وقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ١٤ وقوله تعالى: ﴿فالذين عند ربك يسبحون له﴾ ١٥ وقال تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ ١٦ وقال تعالى: ﴿ليس له دافع * من الله ذي المعارج * تعرج

---

١ سورة طه: ٥.

٢ سورة السجدة: ٤.

٣ سورة فصلت: ١١.

٤ سورة الإسراء: ٤٢.

٥ سورة فاطر: ١٨.

٦ سورة الأعراف: ١٤٣.

٧ سورة الملك: ١٦.

٨ سورة الأعلى: ١.

٩ سورة البقرة: ٢٥٥.

١٠ سورة الرعد: ٩.

١١ سورة غافر: ١٥.

١٢ سورة النحل: ٥٠.

١٣ سورة آل عمران: ٥٥.

١٤ سورة النساء: ١٥٨.

١٥ سورة فصلت: ٣٨.

١٦ سورة السجدة: ٥.." [(١)]

"أعجبني عزم عمر رضي الله عنه في ذلك، ما أصلبه في السنة وأقومه بها.

(قول الإمام أبي بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد ومن المشهورين بالفقه والسنة رحمه الله تعالى) قال في شرحه للرسالة: ومعنى فوق وعلى واحد بين جميع العرب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ ١ وقال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٢ وقال تعالى في وصف الملائكة: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ٣ وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ٤ ونحو ذلك كثير، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للأعجمية: "أين الله " فأشارت إلى السماء. ووصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه عرج به من الأرض إلى السماء ثم من سماء إلى سماء إلى سدرة المنتهى، ثم إلى ما فوقها، حتى لقد قال: "سمعت صريف الأقلام". ولما فرضت الصلاة جعل كلما هبط من مكانه تلقاه موسى عليه السلام في بعض السماوات وأمره بسؤال التخفيف عن أمته، فرجع صاعدا مرتفعا إلى الله سبحانه وتعالى يسأله حتى انتهت إلى خمس صلوات، وسنذكره إن شاء الله تعالى عن قريب.

(قول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقري الأندلسي رحمه الله تعالى)

قال في الجزء الأول من كتاب (الاهتداء لأهل الحق والاقتداء) من تصنيفه من شرح الملخص للشيخ أبي الحسن القابسي رحمه الله تعالى عن مالك بن شهاب عن

---

١ سورة الفرقان: ٥٩.

٢ سورة طه: ٥.

٣ سورة النحل: ٥٠.

٤ سورة فاطر: ١٠.." [(٢)]

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ١/٥٧٨

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ١/٥٨٨

"التفاصيل، فاقرأ في التنزيه قوله تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ ١ وقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ واقرأ في الإثبات: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٢ وقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ٣ وقوله تعالى: ﴿قل كل من عند الله﴾ ٤ وفي تنزيهه عما لا ينبغي قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ ٥ وعلى هذا القانون فقس وختم الكتاب.

ثم ذكر قول متكلم السنة إمام الصوفية أبي العباس أحمد بن محمد المظفري المختار الرازي صاحب كتاب قرع الصفات في تقريع نفاة الصفات، وهو على صغر حجمه كتاب جليل غزير العلم، قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس، وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث أن الله على العرش. ثم قال: أما حجة المثبتين فمن حيث الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والمعقول، ثم ذكر حجج القرآن والسنة، ثم حكى كلام الصحابة، إلى أن قال: ثم إن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا. واختلافهم في الرؤية تلك الليلة اختلاف منهم على أن الله على العرش، لأن المخالفين لا يفرقون بين الأرض والسماء بالنسبة إلى ذاته، وهم فرقوا حيث اختلفوا في أحدهما دون الآخر، قلت: مراده إنما اختلفوا في رؤيته لربه ليلة الإسراء به إلى عنده فجاوز السبع الطباق، ولولا أنه على العرش لكان لا فرق في الرؤية نفيا وإثباتا من تلك الليلة وغيرها.

ثم قال: وأما المعقول فمنه وجوه؛ أحدها: إطباق الناس كافة وإجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الأيدي عند

---

١ سورة محمد: ٣٨.

٢ سورة النحل: ٥٠.

٣ سورة فاطر: ١٠.

٤ سورة النساء: ٧٨.

٥ سورة النساء: ٧٩.." [1]

"وثبت في حديث مسلم [رقم: ٤٧٤٨] ، والنسائي [رقم: ٥٣٧٩] : (... وكلتا يديه يمين) والحديث في إثبات الشمال لا يصح كما بينه الحافظ ابن حجر في الفتح والحافظ البيهقي قبله في كتابه

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ١/٦٠٠

(الأسماء والصفات) . (١)

وكأن الرافضي لم يره وسمع قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه: ٥) ، وما في معناها (٢) وقوله تعالى في الملائكة ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ (٣) ، وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (الفجر: ٢٢) (٤)

وقوله عز وجل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ (البقرة: ١٨٦) (٥) إلخ.

وليعلم القارئ أن ما عزاه هذا الرافضي إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الأعلام ثم إلى الوهابية مما ليس في القرآن فهو في الأحاديث الصحيحة، كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري [١١٤٥] ومسلم [٧٥٨] وغيرهما: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا)) إلخ. (٦)

وأما الصوت (٧) فقد ذكر فيه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه: (إذا تكلم الله بوحي سمع أهل السموات شيئا فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت وعرفوا أنه الحق من ربهم ونادوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: (الحق) .

قال البخاري: ويذكر عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن أنيس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ١٦٠ بتحقيق: الحاشدي) ، فتح الباري ١٣ / ٣٩٦، وكذلك حكم الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (مج ٧ ح: ٣١٣٦) على زيادة بـ (شماله) بأنها منكرة.

(٢) تكرر معنى هذه الآية في ستة مواضع أخرى عدا هذه الآية، وهي: سورة الأعراف: ٥٤، سورة يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، سورة السجدة: ٤، سورة الحديد: ٤، قال ابن عبد البر في التمهيد ٧ / ١٣١: ((والاستواء معلوم في اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على شيء)) ولذلك قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة - التي تلقاها العلماء بالقبول - الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

(٣) والجهمية ومن وافقهم يقولون: لا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا متصل ولا منفصل ... إلخ، والآية حجة عليهم، وزعم بعضهم أن الفوقية هنا هي فوقية الرتبة وهو زعم باطل؛ لأن الظروف لها أحوال ومنها (فوق، وتحت) ، فإذا دخل عليها حرف الجر (من) تعين فيها وجه واحد كقوله تعالى ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ وقوله ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ . انظر: إثبات علو الله على خلقه للشيخ أسامة

القصاص رحمه الله وتقبله في الشهداء ص ٨٦، موسوعة أهل السنة للشيخ د. عبد الرحمن الدمشقية ص ٦٣٤.

(٤) صفة المجيء لله تعالى يثبتها أهل السنة على ما يليق بجلاله وعظمته كغيرها من الصفات العليا دون التعرض لها بتحريف لمعناها أو تمثيل بصفات المخلوقين أو تكييفها، قال محمد بن الحسن الشيباني: ((قال حماد بن أبي حنيفة: قلنا لهؤلاء - يعني الجهمية -: أرأيتم قول الله عز وجل ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ ؟ قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفا صفا، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى لذاك، ولا ندري كيفية مجيئه. فقلت لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف مجيئه، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيت من أنكر أن الملك يجيء صفا صفا ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب. قلت: فكذلك إن أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب)) . عقيدة السلف للصابوني ١ / ١١٨، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣٠ / ١١٨ - ٢٢٠ والتبصير له أيضا ص ١٤٨ - ١٤٩ ففيه مناقشة مفيدة لمن عطل هذه الصفة.

(٥) إن الله سبحانه قريب في علوه، عال في قربه، وقربه سبحانه ليس كقرب الأجسام أو المخلوقات بعضها من بعض تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإذا فهم معنى اسم الجلالة (القريب) كما ينبغي، علم أنه لا منافاة بينه وبين أسماء الجلالة الدالة على علوه سبحانه وكمال مباينته لخلقه واستوائه على عرشه، بل إن ذلك يجامعه ويلازمه، والذي يسهل عليك هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه فهو سبحانه يقول: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ ، مع الأخذ بعين الاعتبار بذلك الأصل الثابت في الكتاب السنة وإجماع الأمة، وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته سبحانه. وانظر: مدارج السالكين ٢ / ٢٦٥.

(٦) وهو حديث متواتر كما نص عليه العلماء كابن عبد البر في التمهيد ٧ / ١٢٨ والحافظ عبد الغني المقدسي كما في اعتقادات أئمة السلف ص ٨٠، أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا - كما نص عليه حديث من لا ينطق عن الهوى - بلا تكييف ولا تمثيل، فكما أنهم يؤمنون أن لله سبحانه إرادة ليست كإرادة المخلوقين وكلام ليس ككلامهم، فكذلك يؤمنون باستواء ونزول لا يشبه نزول المخلوقين، ومن أفضل ومن أوعب ما كتب عن صفة النزول لله عز وجل كتاب (صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها) للشيخ عبد القادر بن محمد الغامدي.

وبالمناسبة: فقد ورد في بعض الكتب الشيعية عن زيد عن عبد الله بن سنان قال: سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: ((إن الله ينزل في يوم عرفة في أول الزوال إلى الارض على جمل أفرق، يصال بفخديه أهل عرفات

يمينا وشمالا ولا يزال كذلك حتى إذا كان عند المغرب. . .)) إلخ، وهذا الأثر رواه زيد النرسي في أصله المطبوع ضمن الأصول الـ ١٦ بتحقيق المصطفوي، ومراد علماء الإمامية بـ (الأصل) أنه كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي رواها عن المعصوم مباشرة أو عمن سمع المعصوم، وأصل زيد النرسي قال المامقاني في تنقيح المقال (١ / ٥٩) عنه وعن مؤلفه: ((معتمد هو وأصله)) وكذلك النوري الطبرسي في مستدرك الوسائل ج ١ / ٦٢ – ٧٤، ونقل التوثيق لزيد النرسي والتصحيح لأصله هذا أيضا عن بعض علماء الإمامية كالطباطبائي والغضائري مع الرد على من طعن فيه، وانظر الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم (٢ / ٣٧٠ وما يليها) ، أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق لحجة الإسلام والمسلمين (٢ / ٣٢) .

(٧) أهل السنة متفقون على ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الله تبارك وتعالى يتكلم متى وكيف شاء بحرف وصوت مسموع، وبما أن القول في الصفات كالقول في الذات، فيكون كلامه صفة له كذاته العلية سبحانه ﴿ليس كمثله شيء﴾ . قال ابن قدامة رحمه الله في المناظرة في القرآن ص ٧٠: ((قد ورد الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق)) يعني على إثبات كلامه تعالى بصوت.." [١]

"السابع: في أول سورة الحديد.

وأما الدليل على علوه ـ تعالى ـ فوق جميع المخلوقات من القرآن: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿وهو العلي العظيم﴾ ، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ـ في موضعين ـ، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ، ﴿وهو العلي الكبير﴾ ، ﴿إنه علي حكيم﴾ .

وأما الدليل على كونه ـ سبحانه وتعالى ـ في السماء من القرآن: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ـ في موضعين ـ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ ، وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ـ والعروج والصعود لا يكونان إلا من أسفل إلى أعلى ـ، وقوله ـ تعالى ـ لعيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ ردا على اليهود حين ادعوا قتل عيسى ـ عليه السلام ـ وصلبه: ﴿وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ حكاية عن فرعون: ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ حكاية عنه في سورة القصص: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع

---

(١) رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا محمد رشيد رضا ٨٣/١

إلى إله موسى﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ في سورة المؤمن: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ .

وأما الدليل على إثبات إتيانه يوم القيامة من القرآن: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿هل ينظرون إلا أن." [1]

"عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون (١)﴾،

- ﴿وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون (٢)﴾،
- ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٣)﴾،
- ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٤)﴾،
- ﴿فالمقسمات أمرا (٥)﴾،
- ﴿فالمدبرات أمرا﴾،
- ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾،
- ﴿له معقبات (٦) من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾،
- ﴿وإن عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون

---

(١) ولا يستحسرون: لا يكلون ولا يسأمون لشدة محبتهم وقوتهم فهم لا يعيون ولا يتعبون.

لا يفترون: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة.

(٢) الصافون أقدامهم في العبادة والجهاد وكل الطاعات والعبادات هم فيها صفوف مثل الناس في الصلاة.

(٣) مشفقون: أي خائفون.

(٤) من فوقهم: الفوقية معنوية، فالله سبحانه لا يحد بزمان ولا مكان.

(٥) المقسمات أمرا: هم الملائكة يقسمون المقدرات التي قدرها الله تعالى.

(٦) معقبات: ملائكة يعقب بعضهم بعضا في الليل والنهار.." [2]

"خلقه، بائن منهم، رقيب عليهم، يعلم ما هم عليه، قد أحاط بكل شيء علما، لا تخفى عليه منهم خافية. وعلو قهره فلا مغالب له ولا منازع ولا مضاد ولا ممانع، بل كل شيء خاضع لعظمته، ذليل لعزته،

---

(١) الكشف المبدي محمد بن حسين الفقيه ٤٠٣/١

(٢) العقائد الإسلامية لابن باديس ابن باديس، عبد الحميد ص/٩٩

مستكين لكبريائه، تحت تصرفه وقهره، لا خروج له من قبضته. وعلو شأنه، فجميع صفات الكمال له ثابتة، وجميع النقائص عنه منتفية، عز وجل وتبارك وتعالى، وجميع هذه المعاني للعلو متلازمة لا ينفك معنى منها عن الآخر.

[دليل علو الفوقية من الكتاب]

س: ما دليل علو الفوقية من الكتاب؟

ج: الأدلة الصريحة عليه لا تعد ولا تحصى، فمنها هذه الأسماء وما في معناها، ومنها قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] في سبعة مواضع من القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦] ومنها قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] ومنها قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٥] وقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤] وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: ٥] وقوله تعالى: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥] وغير ذلك كثير.

[دليل علو الفوقية من السنة]

س: ما دليل ذلك من السنة؟

ج: أدلته من السنة كثيرة لا تحصى، منها قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» (١) وقوله لسعد في قصة قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» ، وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية: «أين الله "؟ قالت في السماء. قال:

---

(١) (ضعيف جدا) ، رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٧٧) ، وأبو داود (٢٧٢٤) ، والترمذي (٣٣٢٠) ، وابن خزيمة في التوحيد (٦٨) من طرق عن عبد الرحمن بن عبد الله الرازي، ثنا عمرو بن أبي قيس، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس عن العباس م رفوعا. .) ، وفيه عبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس. والحديث أخرجه أبو داود أيضا وابن ماجه (١٩٣) ، والآجري في الشريعة ص (٢٩٢) من طريق أخرى عن عمرو بن أبي محسن،

وعمرو هذا صدوق له أوهام وله بعض المتابعات الأخرى وهي واهية، ومنها ما أخرجه أحمد (١ / ٢٠٦، ٢٠٧) في سنده يحيى بن العلاء متهم بالوضع.." [(١)]

"وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولينه الأزدي، وحديثه في السنن الأربعة وهذا الحديث غريب من أفراده.

ومن ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠] ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة" وفي لفظ "من فوق سبع سموات" ١. وأصله في الصحيحين وهذا سياق ابن إسحاق، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات٢. وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويحك أتدري ما تقول" وسبح رسول الله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: "ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سمواته لهكذا" وقال بأصبعه مثل القبة عليه "وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب" قال ابن بشار في حديثه: "إن

---

١ ذكره الذهبي في العلو من حديثه من طريق محمد بن إسحاق "ص٣٢" وقال: هذا مرسل. وذلك لانقطاعه بين معبد بن كعب بن مالك وبين سعد فمعبد تابعي وسعد توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. ومن طريقه رواه المقدسي في إثبات العلو "ح٣٩".

وللحديث شاهد عند النسائي في الكبرى "تحفة الأشراف ح"٣٨٨١" والعلو "ص٣٢" من طريق سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن عامر بن سعد عن أبيه عن سعد مرفوعا. قال الذهبي: هذا حديث صحيح.

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/٣٥

٢ البخاري "١٣/ ٤٠٣-٤٠٤" في التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم﴾ والترمذي "٥/ ٣٥٤-٣٥٥/ ح٣٢١٣" في تفسير القرآن، باب ٣٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح.." (١)

"يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة. وقال أيضا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ : هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. وقال أبو يعلى رحمه الله بعد أن ذكر حديث الجارية: الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء، وقد أخبرنا تعالى بأنه في السماء فقال: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وهو على العرش. وقال أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب المعتقد له: باب القول في الاستواء قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ ، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وأراد من فوق السماء كما قال تعالى: ﴿في جذوع النخل﴾ وقال: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي: على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات ، فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات١.

طبقة أخرى ٢:

قال أبو الفتح نصر المقدسي: وأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه. وقال شيخ الإسلام الأنصاري صاحب منازل السائرين٣ في التصوف، قال في كتاب له: باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنا من خلقه من الكتاب والسنة، فساق الحجة من الآيات والأحاديث إلى أن قال: وفي أخبار شتى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان. وقال البغوي رحمه

---

١ الاعتقاد له ص "٤٢-٤٣".

٢ كلام هذه الطبقة ورواياتهم في العلو للذهبي فانظره وانظر مختصره.

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ١/١٥١

٣ كتابه منازل السائرين شرحه الإمام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين وهو مطبوع وفي كلام الهروي ما يقدح فيه كقوله "ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد".." [(١)]

"معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد: ٤] وكذلك جمع النبي –صلى الله عليه وسلم– بين هذين المعنيين في حديث الأوعال إذ يقول: "والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه"١ وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماع المؤمنين.

"مهيمن" رقيب "عليهمو" بواو الإشباع "وذكره" تبارك وتعالى "للقرب" في قوله عز وجل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿إنه سميع قريب﴾ وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث الصحيحين: "إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته" ٢. "و" كذلك ذكره "المعيه" العامة في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ [المجادلة: ٧] وقوله عز وجل: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وكذا المعية الخاصة في قوله عز وجل: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٤٦] وقوله لموسى وهارون: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] وقوله في قصة نبينا –صلى الله عليه وسلم– مع الصديق رضي الله عنه: ﴿إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] كل ذلك "لم ينف العلو" المذكور في النصوص السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه – إليه يصعد الكلم الطيب – والعمل الصالح يرفعه – تعرج الملائكة والروح إليه – يدبر الأمر من السماء إلى الأرض. "والفوقيه" عطف على العلو وهو رديفه في المعنى أي: ولم ينف قوله عز وجل: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه" ٣ بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه عز وجل وبين علوه "فإنه"

---

١ تقدم ذكره وأن سنده ضعيف.

٢ البخاري "١١/ ١٨٧" في الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة.

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢٠١/١

مسلم "٤/ ٢٠٧٦/ ح٢٧٠٤" في الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.
٣ تقدم ذكره في حديث الأوعال.." [1]

"عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة. ولوكان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض ... وزعمت المعتزلة والحرورية (١) والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أن الله في بطن مريم، وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم ... » .

ثم ساق الكلام وذكر حديث «ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا ... » من طرق، ثم قال: (دليل آخر) : وقال الله عز وجل: «يخافون **ربهم من فوقهم**» ، وقال «تعرج الملائكة والروح إليه» ، وقال: «ثم استوى إلى السماء وهي دخان» ، وقال: «ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا» ، وقال: «ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع» فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه ...

---

(٢) الحرورية هم الخوارج نسبة إلى حروراء بلد على دجلة والفرات لجأو ر وتحصنوا به بعد ما خرجوا على علي ابن أبي طالب فخرج إليهم فيها وقاتلهم حتى شتت شملهم، وقد ثبت منهم الأباصية والأزارقة وغيرهم ووكرهم بجزيرة العرب مسقط وعمان- - ولحج ولهم فروع بجنوب افريقيا زنجبار، وبشمالها بالجزائر ولهم مؤلفات في الحديث والفقه كمسند الربيع بن حبيب، وشرحه بعض متأخريهم باسم «الجامع» ، كلاهما مطبوع بمصر. م ع.." [2]

"باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ١ (١) .

---

(١) لما كان الخوف من الله أجل مقامات الدين وأشرفها وأفضلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، نبه المصنف بالترجمة بهذه الآية على وجوب إخلاص الخوف لله، وقد ذكره الله في غير موضع من كتابه، كقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٢، ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ ٣،: ﴿ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ ٤، وغير ذلك من الآيات. و ﴿إنما﴾ أداة حصر، والشيطان علم لإبليس اللعين،

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ١/٢٠٥

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/٢٠٥

﴿يخوف أولياءه﴾ ٥ أي يخوفكم بأوليائه، ويوهمكم أنهم ذو بأس شديد، وقال قتادة: يعظمهم في صدوركم. ﴿فلا تخافوهم﴾ أولياءه الذين خوفكم إياهم، ﴿وخافون﴾ في مخالفة أمري، وتوكلوا علي فإني كافيكم وناصركم عليهم، وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده ورضيه منهم،: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ ٦ جعله شرط ا في الإيمان؛ لأن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس، ولأن من عرف أن الخوف عبادة، وصرفه لغير الله شرك، لم يصرفه لغيره،

وكلما قوي إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، قال المصنف: وفيه أن إخلاص الخوف من الفرائض، والخوف على ثلاثة أقسام:

(أحدها) خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو غير ذلك أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالى: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ ٧، وهو الواقع من عباد القبور ونحوها، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد.

(الثاني) أن يترك ما يجب عليه من جهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر لغير عذر خوفا من بعض الناس، فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول الآية، كقوله: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ ٨. وفي =

---

١ سورة آل عمران آية: ١٧٥.

٢ سورة ا النحل آية: ٥٠.

٣ سورة الأنبياء آية: ٢٨.

٤ سورة الأحزاب آية: ٣٩.

٥ سورة آل عمران آية: ١٧٥.

٦ سورة البقرة آية: ٩١.

٧ سورة الزمر آية: ٣٦.

٨ سورة آل عمران آية: ١٧٣.." (١)

"العرش فقلنا لم أنكرتم أن يكون الله على العرش؟ وقد قال جل ثناؤه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ وقال: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢٤٤

فاسأل به خبيرا﴾ فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش؟ فهو على العرش، وفي السموات وفي الأرض، وفي كل مكان لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان وتلوا آية من القرآن ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ فقلنا قد عرف السلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟ قلنا: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظم الرب شيء، قد أخبرنا أنه الله في السماء. فقال ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقال: ﴿أني متوفيك ورافعك إلي﴾ وقال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقال: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده﴾ وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ وقال: ﴿ذي المعارج﴾ وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وقال: ﴿وهو العلي العظيم﴾ .

فهذا إخبار الله اخبرنا أنه في السراء ووجدنا كل شيء أسفل منه حيث يقول الله جل ثناؤه ه: ﴿أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ ، ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والأنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ وقلنا لهم أتعلمون أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم؟ فلم يكن الله بمجتمع هو وإبليس في مكان واحد؟ وإنما معنى قوله جل ثناؤه: ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ يقول: هو إله من في السموات واله من في الأرض، وهو على العرش وقد أحاط بعلمه ما دون العرش ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان. فذلك قوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ انتهى.." (١)

"وما يحبه ليقوى قلبه ويزداد شكرا وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه.

وهم الداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر، قد أطت بهم السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم، أو راكع، أو ساجد، ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك لا يعودون آخر الدهر ..

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ١/ ٢٣٠

والملك يشعر بأنه ملك منفذ لأمر غيره، فليس من الأمر شيء بل الأمر كله لله الواحد القهار قال تعالى: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ وقال: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾. ومنهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا من له مقام معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده سبحانه ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ ..

ورؤساؤهم الأملاك الثلاث: جبريل، وميكائيل، واسرافيل. روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم". فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة." (1)

"الفائدة الثالثة: قول البخاري ويذكر عن الحسن هذه الصيغة تسمى صيغة التمريض وكثير من العلماء يظن أن البخاري إذا علق حديثا بصيغة الجزم مثل قال وذكر فالحديث عنده صحيح أو حسن إلا أنه ليس على شرطه وإذا قال يقال أو يذكر فالحديث عنده غير صحيح بل ضعيف وقد بين الحافظ بالبرهان القاطع أن هذا الفهم لا يلزم أن يكون كل حديث وقع في صحيح البخاري بهذه الصيغة ضعيفا لأن البخاري يستعمل هذه الصيغة في الخبر إذا اختصره أو رواه بالمعنى ولو كان صحيحا ومن الأحاديث الصحيحة التي استعمل فيها البخاري صيغة التمريض مع صحتها هذا الحديث هذا معنى ما تقدم من كلام الحافظ.

الفائدة الرابعة: أن اختصار البخاري لخبر الحسن البصري أوقع بعض شراح البخاري ومسلم في وهم عظيم منهم النووي والكرماني وقبله ابن التين.

الفائدة الخامسة: أن الكرماني بعد ما نقل كلام ابن التين الذي يدل على أن الضميرين في أمنه وخافه يعودان على الله تعالى وأقره قال ما خافه أي خاف الله فحذف الجار وأوصل الفعل إليه.

قال محمد تقي الدين الهلالي: وهذه زلة نحوية عظيمة، لأن خاف يتعدى بنفسه فلا حاجة إلى تقدير الحذف قال تعالى: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥) ﴾ وقال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وقال تعالى: ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ ومن ذلك تعلم أن العالم وإن عظم شأنه في العلم يقع في أخطاء

---

(1) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد عمر العرباوي ص/١٥٨

فإياك والتقليد فالكمال لله تعالى.
وهناك زلة أعظم منها وهي ادعائهم أن الضمير في أمنه وخافه يعود على الله والحق أنه يعود على النفاق. وليث شعري ما فائدة قول التجاني (قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله من لدن آدم إلى النفخ في الصور) فإن أقل المؤمنين تواضعا وتأدبا مع الله ومع عباده المؤمنين لا تحدثه نفسه أن يضع قدمه منعولة أو حافية على قدم مؤمن آخر فكيف يضعها على رقبته أليس هذا غاية التحقير والإهانة وكيف يليق بمتصوف هذب نفسه وجاهدها حتى وصلت إلى الله بزعمه وطهرت من جميع الرعونات والرين والدرن أن يطأ رقاب الناس بقدميه وعهدنا بالمتصوفة كالشادلية مثلا أن يسموا أنفسهم تراب أقدام أهل الله فجاء التجانيون بعكس ذلك ألم يكفهم أنهم زعموا أن شيخهم خاتم الأولياء وسيد العارفين وممدهم وإمامهم حتى أرادوا أن يفرشوا له جميع أولياء الله الصالحين ليمشي على رقابهم بقدميه فلا إله إلا الله ماذا يبلغ الغرور بأصحابه. ولا نظن أبدا أن الشيخ." (١)

"وقد شهدت العقول السليمة، والفطر المستقيمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده، كما صرحت بذلك نصوص الكتاب والسنة المتنوعة والمحكمة.
فمن ذلك التصريح بالفوقية مقرونا تارة بحرف "من" المعنية لفوقيته تعالى بنفسه، ومجردا منها تارة أخرى، قال الله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ .
ومنها التصريح بالعروج إليه، قال تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» .
ومنها التصريح بصعود العمل الصالح إليه، وبرفعه بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصارح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ ، وقال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقال: ﴿إني متوفيك ورافعك﴾ وكذا عروج النبي محمد مع جبريل عليهما الصلاة والسلام إلى السماوات ليلة الإسراء والمعراج، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه تردد بين موسى وبين ربه تلك الليلة بشأن تخفيف الصلاة، فيصعد." (٢)

---

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية محمد تقي الدين الهلالي ص/٥٧

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة عبد الرزاق عفيفي ص/٢٥٤

"ساجدون له سبحانه. وهذا الاعتقاد ضروري لا يستطيع أي إنسان دفعه عن نفسه، ومن الحكم اللطيفة أن شرع الله لعباده أن يقولوا في سجودهم: "سبحان ربي الأعلى" شرع لهم ذلك على لسان نبيه، وفي هدي رسوله إشارة إلى علوه الدائم، حتى لا يفهم من سجود العبد على الأرض أن معبوده في أسفل منه — حاشاه - بل كلما يزداد العبد خضوعا وتذللا، لمعبوده العلي العظيم ازداد منه قربا معنويا ومعية خاصة، تخص خواص عباده المؤمنين، وفي هذا يقول رسول الهدى، ونبي الرحمة محمد عليه الصلاة والسلام: "أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد فأكثروا الدعاء" ١.

ومن الآيات التي تدل على علو الله على خلقه، علاوة على الآيات السبع التي ذكرناها والتي تنص على استواء الله على عرشه كما يليق به، قوله تعالى:

﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٢، وقد جاءت الفوقية في هذه الآية مقرونة بحرف (من) وهي معينة للفوقية (بالذات) ٣، وهو معنى معروف عند أهل اللغة، بخلاف قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ٤، وهي محتملة كما لا يخفى.

١- قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ٥.

٢- ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ٦.

٣- ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ٧.

---

١ صحيح مسلم، باب ما يقال في الركوع والسجود ٤/٢٠٠.

٢ سورة النحل آية: ٥٠.

٣ راجع شرح العقيدة الطحاوية.

٤ سورة الأنعام آية: ١٨، ٦١.

٥ سورة المعارج آية: ٤.

٦ سورة النساء آية: ١٥٨.

٧ سورة آل عمران آية: ٥٥.." [1]

"الآراء في معنى الرؤية:

يروي الإمام أبو الحسن الأشعري أن المعتزلة أجمعت على أن الله لا يرى بالأبصار، ثم اختلفوا فيما بينهم

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه محمد أمان الجامي ص/٢٢٧

هل يرى بالقلوب أم لا؟ وقال أكثر المعتزلة أن الله يرى بالقلوب بمعنى أنه يعلم١.

وأنكر بعضهم حتى هذا النوع من الرؤية بل صرحت جماعة من المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وبعض الزيدية بأن الله لا يرى بالأبصار في الدنيا والآخرة، ولا يجوز ذلك عليه تعالى. وأما الأشعرية فإنهم يثبتون الرؤية بالأبصار في الآخرة ولكن دون مقابلة ودون إثبات للفوقية لله تعالى كما أثبت الله لنفسه ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ، كما تقدمت في بحث صفة الاستواء أدلة قاطعة في ثبوت الفوقية والعلو لله تعالى، وإثبات الرؤية مع نفي الفوقية فيه نوع من الغموض وعدم الوضوح، إذ لا يعقل إثبات موجود في الخارج ووجوده حقيقي وإثبات رؤيته بالأبصار ثم القول إنه ليس فوق الرائي أو على يمينه أو على يساره أو تحته. هذا كلام يرده كل من يسمعه وهو يعقل ما يسمع.

وأما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بأن الله يتجلى لعباده في الموقف وفي الجنة من فوقهم ويخاطبهم ويسلم عليهم ويرونه بأبصارهم كما يرون الشمس ليس دونها سحاب، وهذه المعاني الثلاثة يجب الإيمان بها مجتمعة عملا بنصوص الكتاب والسنة وخروجا من الاضطراب، وهي:

١- العلو والفوقية.

٢- صفة الكلام (الكلام) اللفظي.

٣- الرؤية بالأبصار، وبالله التوفيق.

---

١ أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ص: ٢١٩.

قلت: وهذا المعنى مردود لغة، لأن "رأى القلبية تنصب مفعولين. كأن تقول: رأيت الله أكبر كل شيء، أو رأيت الله مطلعا على كل شيء". وأما قوله عليه الصلاة والسلام: "ترون ربكم يوم القيامة" لا يحتمل إلا الرؤية البصرية.." (١)

"التي كان يصف ربه بها، لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء - مشايخي الفقهاء- المتكلمون، مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، وغير ذلك.

ولم أجد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه، من الفوقية واليدين وغيرهما، ولم تنقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل الفوقية القهرية، ويد النعمة، وغير ذلك.

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه محمد أمان الجامي ص/٣٣٥

وأجد الله عز وجل يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ١، ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ ٢، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٣، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ٤، ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ ٥، ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ ٦.

فسرد آيات كثيرة كلها تدل على فوقية الله وعلوه على خلقه، إلى أن قال: ثم أجد الرسول عليه الصلاة والسلام لما أراد الله أن يخصه بقربه عرج به من سماء إلى سماء، حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث للجارية: "أين الله؟ " فقالت: في السماء٧. فلم ينكر عليها

---

١ سورة طه آية ٥.

٢ سورة الأعراف آية ٥٣.

٣ سورة النحل آية ٥٠.

٤ سورة فاطر آية ١٠.

٥ سورة الملك آية ١٦.

٦ سورة الملك آية ١٧.

٧ أخرجه مسلم.." (١)

"ويصارع الهوى، ويحارب الشيطان، ويتكلف الطاعة، ويسعى جاهدا فى تكميل نفسه، وترقية روحه رغبا ورهبا.

* طبيعتهم:

وطبيعة الملائكة الطاعة التامة لله، والخضوع لجبروته، والقيام بأوامره، وهم يتصرفون فى شئون العالم بإرادة الله ومشيئته، وهو سبحانه يدبر بهم ملكه، وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم:

﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ (١).

﴿بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ (٢).

﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (٣).

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه محمد أمان الجامي ص/٤١١

روى البخارى أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا (٤) لقوله، كـ أنه صلصلة (٥) على صفوان، فإذا فزع (٦) عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال الحق، وهو العلى الكبير».

---

(١) سورة النحل - الآية ٥٠.

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٢٦ - ٢٨.

(٣) سورة التحريم - الآية ٦.

(٤) خضعانا: مصدر، أى خضعت خضوعا.

(٥) الصلصلة: الصوت المتدارك الذى يسمع ولا يثبت، أو ما يقرع السمع حتى يفهم بعد؛ والصفوان: الحجر الأملس.

(٦) فزع: انكشف الفزع.." [1]

"معنوي، وعلو ذاتي:

١ - أما العلو المعنوي؛ فهو ثابت لله بإجماع أهل القبلة؛ أي: بالإجماع من أهل البدع وأهل السنة؛ كلهم يؤمنون بأن الله تعالى عال علوا معنويا.

٢ - وأما العلو الذاتي؛ فيثبته أهل السنة، ولا يثبته أهل البدعة؛ يقولون: إن الله تعالى ليس عاليا علوا ذاتيا. فنبدأ أولا بأدلة أهل السنة على علو الله سبحانه وتعالى الذاتي فنقول: إن أهل السنة استدلوا على علو الله تعال علوا ذاتيا بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة:

أولا: فالكتاب تنوعت دلالته على علو الله؛ فتارة بذكر العلو، وتارة بذكر القوقية، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده، وتارة بذكر صعودها إليه، وتارة بكونه في السماء ...

١) فالعلو مثل قوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١].

٢) والفوقية: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠].

---

(١) العقائد الإسلامية سيد سابق ص/١١٤

٣) ونزول الأشياء منه؛ مثل قوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: ٥] ، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [الحجر: ٩] ... وما أشبه ذلك.." [١]

"الباب الثامن في علو الله تعالى وأدلة العلو

علو الله تعالى من صفاته الذاتية، وينقسم إلى قسمين:

علو ذات، وعلو صفات.

فأما علو الصفات، فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها، وأكملها، سواء كانت من صفات المجد والقهر، أم من صفات الجمال والقدر.

وأما علو الذات، فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

فأما الكتاب والسنة فإنهما مملوءان بما هو صريح، أو ظاهر في إثبات علو الله – تعالى – بذاته فوق خلقه.

وقد تنوعت دلالتهما على ذلك:

فتارة بذكر العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، وكونه في السماء، مثل قوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] . ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] . ﴿الرحمن على." [٢]

"..

مناسبة الآية للتوحيد: أنه إذا كان منفردا في العظمة والكبرياء؛ فيجب أن يكون منفردا في العبادة.

والعلو قسمان:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ١/٣٨٨

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/٣٩

الأول: علو الصفات، وقد أجمع عليه كل من ينتسب للإسلام حتى الجهمية ونحوهم.

الثاني: علو الذات، وقد أنكره كثير من المنتسبين للإسلام مثل الجهمية وبعض الأشاعرة غير المحققين منهم؛ فإن المحققين منهم أثبتوا علو الذات. وعلوه لا ينافي كونه مع الخلق يعلمهم ويسمعهم ويراهم؛ لأنه ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

وفي الآية فوائد:

١. أن الملائكة يخافون الله؛ كما قال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ١.

٢. إثبات القلوب للملائكة؛ لقوله: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ ٢.

٣. إثبات أنهم أجسام وليسوا أرواحا مجردة من الجسمية، وهو أمر معلوم بالضرورة، قال تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة﴾ ٣، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل له ست مئة جناح قد سد الأفق٤ فالقول بأنهم أرواح فقط إنكار لهم في الواقع، وهو قول باطل. لكنهم لا يأكلون ولا يشربون، وإنما أكلهم وشربهم التسبيح بدليل قوله تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ ٥، ففي هذا

---

١ سورة النحل آية: ٥٠.

٢ سورة سبأ آية: ٢٣.

٣ سورة فاطر آية: ١.

٤ رواه: البخاري من حديث عائشة (كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، ٢/ ٤٢٧) ، مسالم (كتاب الإيمان، باب معنى قول الله -عز وجل-: ولقد رآه نزلة أخرى ، ١/ ١٥٨) .

٥ سورة الأنبياء آية: ٢٠.." [١]

"ورضى وعجب ويد ونفس وكره وسخط وعلم وحياة وقدرة قوة وسائر الصفات والله أعلم.

علو الله على خلقه

س١٣٤- اذكر بعض ما تستحضره من أدلة علو الله على خلقه من الكتاب والسنة؟

ج- قال الله تعالى (وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) (بل رفعه الله إليه) (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٣٠٨/١

موسى وإني لأظنه كاذبا) (أأمنتم من السماء) (أم أمنتم من في السماء) (وهو القاهر فوق عباده) يخافون **ربهم من فوقهم**) (تعرج الملائكة والروح إليه) (تنزيل من الرحمن الرحيم) (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) (وهو العلي العظيم) وأما الأدلة من السنة فقوله صلى الله عليه وسلم في رقية المريض "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء أجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ" رواه أبو داود وغيره وقوله ألا تأتمنوني وأنا أمين من في السماء رواه البخاري وغيره وقوله والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وقوله للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا." (١)

"وهذا كقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ فالله تعالى فوق خلقه بجميع أنواع الفوقية أي بقهره، وبقدره، وبذاته.

(ب) وهذا الحديث يسمى: (حديث الأوعال) حيث ذكر في بعض ألفاظه ما نصه: «ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش» .

(ج) وتأوله النفاة بأن المراد: فوقية القدر، كما يقال: الذهب فوق الفضة، ونحوه. وهذا التأويل خلاف المفهوم، وهو غير مطرد في جميع النصوص، وقد صرح هنا بأن العرش فوق الماء، وأن الله فوق العرش، ثم لا مناسبة لأن يقال: إن الله أرفع قدرا من العرش فإنه مما لا يحتاج إليه عند كل عاقل، حيث لا مساواة ولا مقاربة.." (٢)

"لفظ الجهة ودلالته

قال رحمه الله تعالى: [وأما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى الله عن ذلك، وإن أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، فمعناه أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع عال عليه.

ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو يذكرون من أدلتهم أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل

---

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية عبد العزيز السلمان ص/٨٥

(٢) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين ابن جبرين ص/٨٥

الجهات، وأن من قال: إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، أو أنه كان مستغنيا عن الجهة ثم صار فيها، وهذا الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سمى جهة أو لم يسم، وهذا حق، ولكن الجهة ليست أمرا وجوديا بل أمر اعتباري، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها، وما لا يوجد فيها لا نهاية له، فليس بموجود] .

هذا تفسير أو إيضاح لما ذكره الطحاوي من أنه (لا تحيط به الجهات الست كسائر المبتدعات) وقصد الطحاوي صحيح، وهو أن الرب سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء من خلقه؛ لأن الجهات مخلوقة، فلا تحيط به جهة بمعنى (تحويه أو تحصره) وقد قال تعالى: ﴿ولا يحيطون به علما﴾ [طه:١١٠] ، وقال: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة:٢٥٥] ، فإذا كانوا لا يحيطون به علما فكذلك المخلوقات لا تحيط به، أي: لا تحصره أو تحويه، تعالى الله؛ هذا هو قصده.

والجهات الست معروفة، وهي الفوق والتحت واليمين واليسار والأمام والخلف، فمعنى أنها لا تحيط به، أي: لا يحصره جهة منها، بل هو أعظم من ذلك كما يشاء.

ثم لا ينافي ذلك أن يوصف الله تعالى بأنه فوق عباده في جهة العلو، ولكن لا يلزم من ذلك حصر ولا إحاطة ولا غير ذلك، وقد دلت الأدلة الشرعية على وصف الرب سبحانه وتعالى بصفة العلو، وسيتكلم الشارح على ذلك بتوسع في أثناء الكتاب، ويذكر الأدلة الدالة على أنه تعالى فوق مخلوقاته كما يشاء، قال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] ، وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠] ، وكذلك غيرها من الأدلة.." (١)

"إثبات صفة علو الله تعالى على خلقه

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: سمعت الأستاذ أبا منصور بن حمشاذ -بعد روايته حديث النزول- يقول: سئل أبو حنيفة فقال: ينزل بلا كيف. انتهى.

وإنما توقف من توقف في نفي ذلك لضعف علمه بمعاني الكتاب والسنة وأقوال السلف، ولذلك ينكر بعضهم أن يكون فوق العرش، بل يقول: لا مباين ولا محايث، ولا داخل العالم ولا خارجه.

فيصفونه بصفة العدم والممتنع، ولا يصفونه بما وصف به نفسه من العلو والاستواء على العرش.

ويقول بعضهم بحلوله في كل موجود، أو يقول: هو وجود كل موجود، ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٣/٢١

الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

وسيأتي لإثبات صفة العلو لله تعالى زيادة بيان عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: (محيط بكل شيء وفوقه) إن شاء الله تعالى] .

من صفات الله سبحانه وتعالى أنه القاهر فوق عباده، قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام:١٨] ، وقال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] ، فيؤمن العباد بهذا القهر الذي مقتضاه الغلبة والإحاطة، والقهر: هو قوة الغلبة، بمعنى أنه غالب متصرف في العباد ليس لهم قدرة على التصرف في أنفسهم بدون اختيار الله وقضائه وتدبيره.

ومن صفاته سبحانه أنه هو العلي بجميع أنواع العلو، علو القدر وعلو القهر وعلو الذات، وكذلك فوقية القدر وفوقية القهر وفوقية الذات، ولا شك أن هذه الصفات قد دلت عليها الأدلة السمعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي هي مرجع الإسلام في الاستدلال، فمرجع المسلمين في استدلالهم على صفات ربهم هذه النصوص الثابتة المنقولة عن نبيهم نقلا ثابتا متواترا.

ولاشك أن هذا الإثبات للفوقية بجميع أنواعها يستلزم أن يكون الرب سبحانه وتعالى بكل شيء عليم؛ فإنه إذا كان قاهرا لعباده وقادرا عليهم وعالما بهم ومطلعا عليهم، ويرى صغيرهم وكبيرهم وخفيهم وجليهم، كان ذلك دالا على عظمته وعلى إحاطته.

والمخلوقون حقيرون بالنسبة إلى عظمة ربهم، فالمخلوق الذي هو الإنسان جزء صغير من مخلوقات الله، والأرض التي نحن عليها والسماوات التي فوقنا ومحيطة بنا جزء صغير أيضا من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر:٦٧] ، فإذا كانت الأرض قبضته، والسماوات مطويات بيمينه فما مقدار الإنسان؟! وما قدره في هذا الكون؟! قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما السماوات والأرض في كف الرحمن إلا كحبة خردل في يد أحدكم، وحبة الخردل هي أصغر ما يتصور من الحبوب، فالخردل شجر معروف وحبه صغير جدا، فيقول: إذا قبض أحدكم حبة خردل في كفه هل يحس بأنها تشغل مكانا؟! كذلك السماوات السبع والأرضون السبع يقبضها الله وكأنها حبة خردل في يد أحدكم.

فإذا هذا دليل على العظمة، وأن علوه سبحانه وتعالى فوق عباده لا ينافي علمه، ولا ينافي اطلاعه، ولا ينافي علمه بعباده، ولا ينافي رؤيته لهم وقربه منهم وهيمنته عليهم ونظره إليهم وعلمه بأحوالهم وبأقوالهم وسماعه لأصواتهم، وما أشبه ذلك، ألا يكون العبد مستحضرا لذلك في كل حالاته حتى يعبد ربه غاية العبادة،

وحتى يخافه غاية الخوف، إذا فمن أصل عقيدة أهل السنة الاعتقاد بالفوقية لله، وأن ذلك لا ينافي علمه وقربه واطلاعه على عباده.

كذلك عليه أن يعرف العقائد الفاسدة فيجتنبها، أو يركز على عقيدة السلف والأئمة وأهل السنة ويعرض عما سواها من عقائد المبتدعة، كوحدة الوجود والحلوليين ونحوهم من الفرق الضالة الذين أنكروا علو الله وقالوا: إنه لا فوق ولا تحت، ولا مباين ولا محايث.

أو: إن وجوده هو وجود الكون، أو: إنه حال في المخلوقات بذاته -تعالى الله عما يقولون-، فكل أولئك لم يثبت الإيمان في قلوبهم ولم ترسخ معرفة الله وعقيدة الإسلام في أفئدتهم، فوسوس إليهم الشيطان أن ذات الله حالة فيكم أو في كل مكان، أو أن وجوده هو وجود الكون أو ما أشبه ذلك، يريدون بذلك أن يبرروا مذاهبهم، فعلى المسلم أن يعرف العقيدة السليمة وأن يعتقدها ويتعبد لله تعالى بموجبها.." (١)

"إحاطة الله بكل شيء لا تنافي فوقيته وعلوه

من صفات الله أنه محيط بكل شيء وفوقه، والإحاطة بها هو الاستيلاء عليها، بمعنى: أنه محيط بالأشياء، وكلها تحت سيطرته وتصرفه، فلا شيء يتحرك إلا بإرادته، ولا يتصرف إلا بعلمه، وهو المتصرف فيها وحده، وهذا يدل على كماله وعظمته، فالذي يعتقد ذلك لا شك أنه يعظم قدر ربه في قلبه، ويصعب عليه أن يتخلف عن طاعته، أو يرتكب معصيته، أو يفعل إثما أو جرما، أو يبارز ربه بالعصيان؛ لأنه يستحضر عظمته وكبرياءه وجلاله وغناه عن خلقه، ثم يستحضر ضعف الخلق كلهم، وفقرهم وفاقتهم، وحاجتهم الشديدة إلى ربهم، فبعد ذلك يقول: ما أنا وما قدري حتى أظهر الغنى عن الله، وحتى أبارزه بالذنوب، وأعصي أمره وأرتكب نهيه؟! وهل أتحمل شيئا من سخطه أو أصبر على شيء من عذابه؟ فيكون استحضاره ذلك زاجرا له عن اقتراف المآثم.

ودليل إحاطته بكل شيء قوله تعالى: ﴿وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ [الطلاق:١٢] ونفى ذلك عن المخلوقين بقوله: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة:٢٥٥] ، وقال: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ [البروج:٢٠] ، وقال: ﴿وكان الله بكل شيء محيطا﴾ [النساء:١٢٦] فالإحاطة: هي السيطرة والاستيلاء التام، والولاية الكاملة التي لا ينقصها شيء، وهي لله وحده، فهو محيط بالأشياء كلها علويها وسفليها، وعالم بها ومتصرف فيها، ولا يخفى عليه شيء من أمرها، وذلك لأنها مخلوقة، وهو الخالق وحده.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٤/٢٢

قال الشارح رحمنا الله تعالى وإياه: [ومن المعلوم -ولله المثل الأعلى- أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عال عليها، فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف؟! فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد له إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره.

وفي حديث أبي رزين المشهور الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم في رؤية الرب تعالى، فقال له أبو رزين: (كيف يسعنا -يا رسول الله - وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر آية من آيات الله، كلكم يراه مخليا به، والله أكبر من ذلك) ، وإذا قد تبين أنه أعظم وأكبر من كل شيء، فهذا يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال.

وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: (وهو القاهر فوق عباده) [الأنعام:١٨] ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال المتقدم: (والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك كله) .

وقد أنشد عبد الله بن رواحة شعره المذكور بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأقره على ما قال وضحك منه.

وكذا أنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله: شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الذي فوق السماوات من عل وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل من ربه متقبل وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم يجاهد في ذات الإله ويعدل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (وأنا أشهد) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي، وفي رواية: تغلب غضبي) رواه البخاري وغيره.

وروى ابن ماجة عن جابر يرفعه قال: (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا إليه رءوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة! سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس:٥٨] فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه) .

وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) [الحديد:٣] بقوله: (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)] .

الكلام الأول يتعلق بإحاطة الله بالمخلوقات، وقد تقدم الاستدلال على عظمة العرش والكرسي، وصغر المخلوقات بالنسبة إليهما، وأن السماوات السبع والأرضين السبع للكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، وما الكرسي بالنسبة إلى العرش إلا كحلقة ألقيت في أرض فلاة، فماذا تشغل الحلقة من هذه الفلاة؟! وذكر ابن كثير أحاديث عند قوله تعالى: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر:٦٧] ، وأن هذه السماوات والأرضين صغيرة بالنسبة إلى قبضة الرب عز وجل، فهي مطويات بيمينه، والأحاديث التي فسرت ذلك فيها الدلالة على أن الله يقبض المخلوقات كما يشاء، وقد ورد في الأحاديث أنه يقبض السماوات والأرض، وأنه يهزهن ويقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ذكر ذلك ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر:١٦] .

وكذلك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما -وهو من أجل علماء الصحابة- أنه قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كحبة خردل في يد أحدكم) كمثل حبة خردل في يد العبد، وماذا تشغل حبة الخردل من اليد؟! معلوم أن الحبة صغيرة وحقيرة في القبضة، فقد يقبض ألفا أو أكثر من ألف في كفه ولا يمتلئ الكف بذلك، فكيف بحبة واحدة؟ فهذه المخلوقات التي نشاهد عظمتها، ولا يعلم سعتها إلا الله تعالى، قد أخبرنا الله ورسوله بأنها سبع شداد، وأنها سبع طباق، وأن المسافات التي بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة، ومتى تقطع هذه المسافة؟ وكل ذلك صغير بالنسبة إلى عظمة الرب تعالى!! فهذا ونحوه دليل على عظمته، ودليل على إحاطته بكل شيء.." (١)

"ذكر الأدلة على إثبات صفة الفوقية لله تعالى

قول صاحب المتن: (محيط بكل شيء وفوقه) المراد: أننا نعتقد أن الله فوق كل شيء، قد ذكر الشارح أن في بعض النسخ: (محيط بكل شيء فوقه) ، بدون واو، والواو لا معنى لها هنا؛ لأن الله إحاطته ليست بما فوق العرش، بل بكل شيء، بالعرش وبما فوقه وبما تحته، ومعلوم أن العرش هو سقف المخلوقات، وهو أعلاها، وفوقه الرب سبحانه، وهو قريب من عباده.

والأدلة على الفوقية كثيرة، فمنها ما هو صريح لا يحتمل التأويل، فالآية التي سمعنا في سورة النحل لا

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٣/٣٣

تحتمل التأويل: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] قيدت بـ (من) حتى لا يتأولها المتأول، وأما الآية الثانية في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] في موضعين، فهذه الآية قد يقال: إن المراد بالفوقية: فوقية الغلبة، وفوقية القهر، كما قال فرعون: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ [الأعراف:١٢٧] يعني: فوقية القهر، ولكن يؤخذ منها فوقية الذات، وفوقية الغلبة، فهي دالة على المعنيين؛ فتكون من الآيات الدالة على وصف الله تعالى بالفوقية، وهو العلو الذي يقتضي العظمة.

أما الأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: (والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش فالفوقية هنا صريحة، ومن ذلك قوله: (إن الله كتب كتابا فهو مكتوب عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي) وهذا دليل واضح على أن الرب تعالى فوق العباد، وفوق العرش.

كذلك الحديث الذي فيه تفسير الآية الكريمة من سورة الحديد: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد:٣] وهو الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر) فسر قوله تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) بأنه العالي الذي ليس فوقه شيء، فهو فوق المخلوقات، ومع ذلك هو قريب منها؛ ولذلك فسر الباطن بالقريب الذي ليس دونه شيء، فعلوه سبحانه وتعالى وفوقيته لا تنافي قربه ومعيته، فيستحضر المؤمن الوصفين معا القرب والعلو.

وذكر المؤلف شعر أمية وشعر عبد الله بن رواحة وشعر حسان، وكلها تذكر العلو والفوقية، فيقول ابن رواحة: شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا فصرح بالفوقية وأقره النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا أيضا في البيت الذي لـ حسان: شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الذي فوق السماوات من عل يعني: فوق السماوات وفوق العرش، ثم وصفه بأنه من عل، فهذا دليل على أن الصحابة كلهم يدينون بهذه الفوقية، وأنهم قد تلقوها من نبيهم صلى الله عليه وسلم.." (١)

"أنواع الأدلة الدالة على إثبات صفة العلو لله تعالى

قال الشارح رحمه الله تعالى: [أحدها: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة: (من) المعينة للفوقية بالذات: كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] .

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة: كقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] .

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٤/٣٣

الثالث: التصريح بالعروج إليه: نحو ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم) .

الرابع: التصريح بالصعود إليه: كقوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر:١٠] .

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه: كقوله تعالى: (بل رفعه الله إليه) [النساء:١٥٨] ، وقوله: (إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران:٥٥] .

السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى: (وهو العلي العظيم) [البقرة:٢٥٥] (وهو العلي الكبير) [سبأ:٢٣] ﴿إنه علي حكيم﴾ [الشورى:٥١] .

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه: كقوله تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) [غافر:٢] (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [الزمر:١] (تنزيل من الرحمن الرحيم) [فصلت:٢] (تنزيل من حكيم حميد) [فصلت:٤٢] (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) [النحل:١٠٢] ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ [الدخان:٥] .

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: (إن الذين عند ربك) [الأعراف:٢٠٦] (وله من في السموات والأرض ومن عنده) [الأنبياء:١٩] ففرق بين (من له) عموما وبين (من عنده) من مماليكه وعبيده خصوصا.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: (أنه عنده فوق العرش) .

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون (في) بمعنى (على) ، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة (على) مختصا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبا في الأكثر لأداة: (ثم) الدالة على الترتيب والمهلة] .

أنواع الأدلة على علو الله تعالى كثيرة، ويمكن أن تصل فروع بعضها وأفرادها إلى أكثر من مائة أو مائتين.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٨/٣٣

"ذكر الفوقية مقرونة بـ (من)

النوع الأول من أنواع الفوقية: الفوقية المقرونة بـ (من) ، وقد ورد في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠] ، وهذا صريح في أن **ربهم من فوقهم**، فهذا دليل على العلو.." [١]

"الأدلة العقلية على علو الله سبحانه

قال الشارح رحمه الله تعالى: [وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص.

وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه، فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان، فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ (المكانة والمنزلة) تستعمل في المكانات النفسانية والروحانية، كما يستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا، وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء في الأثر: (إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه) ، فقوله: (منزلة الله في قلبه) : هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عرف أن (المكانة والمنزلة) تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في اللفظ والمعنى، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقا كان حقا، وإلا كان باطلا.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء.

قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عاليا بنفسه على كل شيء كان علوه في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى.

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه: أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر، قائما به كالصفات، وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته، والأول باطل.

أما أولا: فبالاتفاق، وأما ثانيا: فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٩/٣٣

والثاني: يقتضي كون العلم واقعا خارج ذاته، فيكون منفصلا، فتعينت المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية؛ لأنه غير معقول، فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباينة] .

العلو على ثلاثة أنواع: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

وكذلك الفوقية: فوقية القدر، وفوقية القهر، وفوقية الذات.

وفوقية القدر مثل أن يقال: الذهب فوق الفضة.

يعني: فوقها قدرا، هذه فوقية القدر، وفوقية القهر: كأن يقال: الأمير فوق الرعية.

يعني: فوقية قهر، أي: قاهرا لهم.

وفوقية الذات كأن يقال: الأمير فوق الكرسي.

يعني: أنه فوقه بذاته، فنثبت لله تعالى الفوقية بأنواعها، والعلو بأنواعه، وإذا أثبتنا لله فوقية الذات فإننا نثبت مع ذلك قربه ومعيته ومراقبته لعباده، وكونه لا تخفى عليه خافية، بل هو قريب منهم كما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة:١٨٦] .

فالذين تأولوا أن قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] ، وقالوا: المراد: فوقية الغلبة، واستدلوا بكلمة (القهر) ، يرد عليهم بأن هذا نوع من أنواع الفوقية، وقد دل على النوع الثاني قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] فإن هذه الآية لا تحتمل أنها فوقية القهر، بل هي فوقية الذات.

يعني: أنهم يخافون ربهم، وربهم فوقهم، ومع ذلك فهو مطلع عليهم وقريب منهم.

كذلك (العلو) قد يستعمل بمعنى: الغلبة، كما حكى الله عن فرعون أنه قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات:٢٤] ، فأراد بالعلو هنا: الغالب.

يعني: أنا الغالب، وأنا القاهر، وأنا المتصرف، وأنا المالك، فهذا نوع من أنواع العلو، فالله تعالى وصف نفسه بقوله: ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ [الليل:٢٠] ، فنقول: (الأعلى) علو غلبة، وعلو قهر، وعلو قدر وذات، فله أنواع العلو كلها، ولا يلزم من ذلك أن يكون محتاجا إلى شيء من مخلوقاته، بل هو غني عن العرش وما دونه كما تقدم.

وصفة العلو دل عليها العقل والفطرة، كما دل عليها النقل، فالنصوص التي وردت فيها أكثر من أن تحصر،

وكلها دالة على صفة العلو، والفطرة والعقل تدل على صفة العلو عند كل عاقل، أما صفة الاستواء فدل عليها النقل، فدلت عليها النصوص والآيات الصريحة التي لا تحتمل التأويل، وقد ذكر العلماء في تفسير آيات الاستواء ما يدل على أنهم متفقون على دلالتها على العلو، حيث إنها عديت بـ (على) كما في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] فكلمة (على) تدل على الفوقية، أي: فوق العرش.." (١)

"ما يترتب على اعتقاد العلو لله سبحانه وتعالى

من جملة ما مر بنا في هذه العقيدة الكلام على صفة العلو والفوقية، وقد ذكر الشارح رحمه الله الأدلة على العلو، وأورد أنواعا كثيرة من الأدلة العقلية ومن الأدلة النقلية الشرعية من الآيات والأحاديث، وهو لم يستوف الأدلة، ومن الكتب التي استوفت كتاب: العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي، وكتب كثيرة استوفت هذه المقالة التي هي صفة العلو بأدلتها.

والمسلم إذا اعتقد هذه الصفة، ودان لله تعالى بأنه هو العلي الأعلى، فإن الله تعالى سيتقبل عبادته، ويضاعف أجره، ومن نتيجة هذه العقيدة، أنه يحصل للذين يعتقدونها مخافة **ربهم من فوقهم** كما أخبر عن الملائكة بقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠] ، فإن المؤمن إذا استشعر أن ربه من فوقه، وأنه مطلع عليه؛ فإنه يشعر من نفسه بالذل، ولربه بالعز والجلال، فيعظمه ويراقبه ويخافه، ويعبده حق عبادته، وهذا نتيجة اعتقاد هذه العقيدة.." (٢)

"الإيمان بالملائكة وما يتضمنه

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فالمدبرات أمرا﴾ [النازعات:٥] ﴿فالمقسمات أمرا﴾ [الذاريات:٤] وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم.

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها.

ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته.

ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٣/٣٤

(٢) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٠/٣٤

والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلاتها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفا، والناشرات نشرا، والفارقات فرقا، والملقيات ذكرا.

ومنهم: النازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، والسابقات سبقا.

ومنهم: الصافات صفا، والزاجرات زجرا، والتاليات ذكرا.

ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها: (فرقة) و (طائفة) و (جماعة) .

ومنهم: ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى. ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء:٢٧-٢٨] ، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]] .." [1]

"ثانيا: آيات هذا الموضع

﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون * وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون * وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون * ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٢/٣٧

المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾ [النحل: ٤٨ - ٦٠].

ثالثا: غريب الآيات

يتفيأ ظلاله: دوران الظل ورجوعه من موضع إلى موضع.

فارهبون: فخافون.

تجأرون: ترفعون أصواتكم متضرعين إلى الله، لعله يرفع الضر عنكم.

واصبا: دائما.." (١)

"تفترون: تكذبون وتختلقون.

يشتهون: يختارون.

كظيم: الكظيم الذي امتلأ غيظا وحنقا، فلا يتكلم.

يتوارى من القوم: يتغيب عن قومه.

أيمسكه على هون، أي: يبقيه حيا وهو يشعر بالذلة والهوان.

مثل السوء: صفة السوء.

المثل الأعلى: الصفة العليا التي لا نقص فيها.

رابعا: تفسير هذه الآيات الكريمات

عرفنا ربنا - عز وجل - بنفسه في هذه الآيات الكريمات، ببيان ما يأتي:

١ - أمر الله تعالى عباده أن ينظروا إلى ما خلق من شيء:

وجه الله - تبارك وتعالى - أنظار عباده إلى النظر إلى ما خلق من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله، فقال: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٤٨ - ٥٠].

---

(١) الله يحدث عباده عن نفسه سليمان الأشقر، عمر ص/١٩٨

قال ابن جرير في تفسيره: «أو لم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من جسم قائم شجر أو جبل أو غير ذلك يتفيأ ظلاله عن اليمين." [١]

"﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ [الرعد: ١٥] ، وقال: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ [الحج: ١٨] ، ونحن نعلم أن المخلوقات التي عدها ربنا وغيرها تسجد له حقيقة، ولكننا لا نعرف كيف تسجد، كما قال الله تعالى في تسبيح الكائنات ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقد كانت الجبال والطير يسبحن مع نبي الله داود عليه السلام ﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير﴾ [الأنبياء: ٧٩] وأخبرنا ربنا – عز وجل – أن الرعد يسبح بحمده ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ [الرعد: ١٣].

وأخبرنا ربنا العليم الحكيم سبحانه أن الملائكة تسبح بحمده وهم لا يستكبرون، وأنهم ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠]. فالملائكة الكرام مع ما أعطاهم من قوى وقدرات، لا يملك مثلها أحد من أهل الأرض يخافون ربهم من فوقهم، وهم يديمون طاعة ربهم، وكل ما أمرهم به فعلوه من غير تقصير.

٢ – نهي الله عباده عن اتخاذ إلهين اثنين:

نهى الله – تعالى – عباده أن يتخذوا إلهين اثنين، وقرر سبحانه وتعالى أن الإله الذي يستحق العبادة إله واحد ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾ [النحل: ٥١].." [٢]

"الفصل الثاني عبادة الملائكة

نظرة في طبيعة الملائكة:

الملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لديهم القدرة على العصيان: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [التحريم: ٦] .

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

ولعل هذا هو السبب الذي دعا فريقا من العلماء إلى القول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين، وإنهم ليسوا

---

(١) الله يحدث عباده عن نفسه سليمان الأشقر، عمر ص/١٩٩

(٢) الله يحدث عباده عن نفسه سليمان الأشقر، عمر ص/٢٠١

بداخلين في الوعد والوعيد (١) .

ويمكن أن نقول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم. أما القول بعدم تكليفهم مطلقا، فهو قول مردود، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة: (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [النحل: ٥٠] . وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: (وهم من خشيته مشفقون) [الأنبياء: ٢٨] .

مكانة الملائكة:

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة - بنات الله - دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون - لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/٤٠٩.." [١]

"معنى كونه في السماء:

وليس المراد بأنه في السماء أن جرم السماء يحتويه - سبحانه وتعالى عن ذلك - بل المراد بالسماء العلو والفوقية، فقد وصف نفسه - سبحانه - بأنه الأعلى (سبح اسم ربك الأعلى) [الأعلى: ١] ، وبأنه العلي العظيم: (وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) [البقرة: ٢٥٥] .

وأخبر تعالى أنه فوق عباده: (يخافون ربهم من فوقهم) [النحل: ٥٠] ، (وهو القاهر فوق عباده) [الأنعام: ١٨] وفي تمجيد الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في دعائه يقول: (وأنت الظاهر فليس فوقك شيء) . (١)

وكانت زينب تفخر على زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وتقول: (زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات) . (٢)

ولا يمكن لمسلم يفقه عقيدته حق الفقه أن يظن أن الله في السماء بمعنى أن السماء تحويه، وأنه في جرم السماء، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، كيف والسماوات ليس بشيء بالنسبة إليه سبحانه (والسماوات مطويات بيمينه) [الزمر: ٦٧] ، (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب)

---

(١) عالم الملائكة الأبرار سليمان الأشقر، عمر ص/٢٩

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٤/٢٠٨٤، ورقمه: ٢٧١٣.

(٢) صحيح سنن الترمذي: ٣/٩٢، ورقمه: ٢٥٦٦.." [١]

"إثبات صفة العلو لله تعالى

قال الموفق رحمه الله: [وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك).

وقال للجارية: (أين الله؟ قالت: في السماء.

قال: أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة].

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ربنا الله ...) فهو على جهة الدعاء، وقد رواه أبو داود، والحديث متكلم فيه؛ لكن من أهل العلم من قواه، وهذا الحديث والآيتان من قبله وما ذكره بعده كحديث معاوية بن الحكم، كلها تدل على إثبات علو الرب سبحانه.

وقد قال جملة من علماء السنة كبعض أصحاب الشافعي وبعض أصحاب أحمد ك ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية: إن دلائل العلو في القرآن أكثر من ألف دليل.

وهناك طريقة عند علماء السنة في الاستدلال على الصفات، وهي طريقة التنوع، فالعلو عندهم يثبت بجملة من الأدلة، منها:

ذكره سبحانه وتعالى أنه في السماء، كقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦].

ذكره سبحانه وتعالى لفوقيته، في مثل قوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠].

ذكره سبحانه وتعالى لعروج الأشياء إليه، وذكره لصعود الأشياء إليه: ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ [المعارج:٤]، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠].

ذكره سبحانه وتعالى للنزول كنزول الملائكة من عنده، وإنزاله للكتب، والأمر، والرحمة وغيرها، كقوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر:٤]، ﴿الر كتاب أنزلناه إليك﴾ [إبراهيم:١].

فجملة هذه الأدلة بتنوعها تدل دلالة قاطعة مطردة على إثبات العلو لله تعالى، وعلوه سبحانه وتعالى من أخص صفاته، وقد أجمع عليه السلف وكثير من الخلف، حتى من انتسب إلى بعض الطرق الكلامية ك أبي الحسن الأشعري، وك عبد الله بن سعيد بن كلاب، فإن هذين وأمثالهما من المقاربين للسنة من المتكلمين يثبتون العلو، وأما نفي الأشاعرة المتأخرين للعلو فإن هذا مذهب دخل عليهم من المعتزلة، وقد صنف ابن

---

(١) العقيدة في الله سليمان الأشقر، عمر ص/١٩٠

كلاب كتابه: الصفات، ورد فيه على المعتزلة في مسألة العلو بالعقل والنقل.

ومسألة العلو حكى الإجماع عليها جملة من الأئمة، حتى إن شيخ الإسلام ذكر في درء التعارض هذا الإجماع عن بضعة عشر إماما من كبار أئمة أهل السنة والجماعة، فهي مسألة متواترة صريحة في كلام الله ورسوله، فضلا عن كون علوه سبحانه وتعالى يثبت بالعقل، ويثبت بدليل الفطرة، فإن الله فطر الخلق على أنه سبحانه وتعالى في السماء.

ويراد بكونه سبحانه وتعالى (في السماء) أي: أنه على السماء، وأما ما قد يتبادر إلى ذهن بعض الجهال أنه في سماء خلقها، كما تقول: إن الملائكة في السماء، فهذا مما ينزه عنه الرب سبحانه وتعالى، فإنه قد قال: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران:١٣٣].

إذا قوله: ﴿أأمنتم ﻣن في السماء﴾ [الملك:١٦] أي: على السماء، أو يراد بالسماء العلو، أي: من في العلو، وليس وسط السماء.

أما قصة حديث الجارية، وهو حديث معاوية بن الحكم السلمي فقد رواه مسلم في صحيحه، في سياق فيه طول، وفي آخره: قال معاوية: (وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، قال: فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة).

وهذا الدليل صريح في أنه سبحانه وتعالى في السماء، وصريح في جواز أن يسأل عنه سبحانه وتعالى بـ (أين)، وهذا ما منعه أهل البدع، قالوا: ولا يجوز أن يسأل عن الرب بـ (أين)، فيرد عليهم: إن أعلم الخلق به، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، قال للجارية وهي على قدر يسير من العلم: (أين الله؟ قالت: في السماء).." (١)

"ويقولون إنه على خلقه مستو على عرشه....".١

وقال "نعرف ربنا بأنه على بكل معنى واعتبار علو الذات وعلو القدر وعلو القهر، وأنه بائن من خلقه مستو على عرشه كما وصف لنا نفسه بذلك، والاستواء معلوم والكيف مجهول، فقد أخبرنا أنه استوى ولم يخبرنا

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٣/٦

عن الكيفية، وكذلك نقول في جميع صفات الباري أنه أخبرنا بها ولم يخبرنا عن كيفيتها فعلينا أن نؤمن بكل ما أخبرنا في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نزيد على ذلك ولا ننقص منه"٢.

وقال رحمه الله "وأما استواؤه على العرش العظيم فيستفاد من النقل الكتاب والسنة"٣.

أدلته على إثبات هذه الصفة:

ولقد ورد في القرآن والسنة أدلة كثيرة تبين أن الله سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه، وهي كثيرة جدا.

وقد أشار ابن سعدي رحمه الله في توضيحه للكافية الشافية إلى كثرة الأدلة في ذلك وتنوعها فقال:

"ذكر المصنف ـ يعني ابن القيم ـ واحدا وعشرين نوعا من الأدلة على هذه المسألة العظيمة كل نوع منها تحته من الأفراد ما لا يعد ولا يحصى"٤.

ثم أخذ رحمه الله يعدد هذه الأنواع من الأدلة، ومن أجل عدم الإطالة سأختصر جملة من هذه الأدلة فيما يلي:

١. أخبر الله سبحانه بأنه مستو على عرشه في سبعة مواضع من القرآن وكلها جاءت بلفظ على العرش؛ وعلى تدل على العلو والارتفاع.

٢. تكرر في الكتاب وصف الله العلي الأعلى وهذا يدل على علوه من جميع الوجوه.

٣. ورد في القرآن التصريح بالفوقية مثل قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٥، والفوقية وصف ثابت لله، دال على علوه.

٤. إخبار الله أن القرآن نزل منه، ومن المعلوم أن النزول لا يكون إلا من علو.

---

١ توضيح الكافية الشافية/ ٢٠.

٢ سؤال وجواب /٧.

٣ الحق الواضح المبين /١٣.

٤ توضيح الكافية الشافية /٤٥.

٥ سورة النحل/ الآية ٥٠.." (١)

"وهنا قسم رابع: وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد، ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها. وهذه إذا كانت مباحة إن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات. وإلا بقيت من أقسام المباحات"١.

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٤٣

نسأل الله أن يرزقنا حبه، وحب من يحبه والعمل الذي يقرب إلى حبه إنه جواد كريم.

ومن أنواع العبادة الخوف:

الخوف من أفضل مقدمات الدين وأجلها، وقد ذكره الله في كتابه عن سادات المقربين من الملائكة والأولياء والصالحين.

وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٢.

وقال: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ ٣.

وقال: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ ٤.

وقال: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ ٥.

وهو من العبادات العظيمة ولا يجوز صرفه لغير الله، وقد أمر الله بإخلاصه له في أكثر من آية.

وقال تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ ٦.

وقال: ﴿أفغير الله تتقون﴾ ٧.

وقال: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ٨.

وقال: ﴿وإياي فارهبون﴾ ٩.

---

١ القول السدسد /١١٢، ١١٣.

٢ سورة النحل/ الآية ٥٠.

٣ سورة الأنبياء/ الآية ٢٨.

٤ سورة المؤمنون/ الآية ٥٧.

٥ سورة الأحزاب/ الآية ٣٩.

٦ سورة المائدة/ الآية ٤٤.

٧ سورة النحل/ الآية ٥٢.

٨ سورة آل عمران/ الآية ١٧٥.

٩ سورة البقرة/ الآية ٤٠.." [1]

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٧٣

"الحيوانات قوي، وهل الإنسان وحده الجاهل بحقائق الطبيعة وغيره من الحيوانات أعلم منه، وهل هم كفروا؛ لأنهم صاروا أقوى من الطبيعة، وأعلم بخباياها أم ماذا؟

لا جواب على هذه التساؤلات إلا جواب واحد يرضاه العقل والدين معا هو أن الإنسان فطر على التدين فتدين، ولم يخلق الحيوانات لهذا فبعدت عنه. والحق: أنه لا تبديل لخلق الله، وهو ما جعل الإنسان من بين مخلوقات الأرض والسماء في حفلة العرض يحمل الأمانة دون غيره كما قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ (الأحزاب: ٧٢).

فالإنسان في منطق الجاهلية الحديثة تدين؛ لأنه ضعيف وجاهل، وعلى القياس الحمار بمقتضى الجاهلية الحديثة لم يتدين؛ لأنه عالم وقوي عالم بأسرار الطبيعة فلم تدهشه، وقوي أمام مظاهرها فلم تروعه، ويوم أن يتحرر الإنسان، ويصبح حمارا أو قردا أو ما شاء له من الحيوانات يكون قد تحرر من الجهل والضعف؛ فتعجب لمثل هذه الفلسفة الجاهلة، أو هذه الجاهلية الحديثة.

إننا على يقين من أقدمية الدين، وأن الدين موجود مع الإنسان، وقبل الإنسان مع الإنسان ربما تكون واضحة قبل الإنسان كيف حين خلق الله الجان، وحين خلق الله الملائكة؛ فالملائكة على دين يعبدون ربهم، ويطيعونه، ولا يعصونه فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم يخافون **ربهم من فوقهم**، ويفعلون ما يؤمرون، وهم بأمره يعملون؛ ولذلك قال الله –عز وجل–: ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون﴾ (آل عمران: ٨٣).." [١]

"وقال تعالى: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون – ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون – يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٤٨ – ٥٠] (١) .

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن عظمته وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى " (٢) .

وقد تكلم العلماء – رحمهم الله تعالى – عن حديث سجود الشمس تحت العرش وردوا على من أول ذلك، وبينوا أن سجودها تحت العرش سجود حقيقي.

قال أبو سليمان الخطابي – رحمه الله – في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مستقرها تحت العرش»

---

(١) الأديان والمذاهب – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٧٦

قال: " لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ول؛ نشاهده وإنما أخبرنا عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به. . . ثم قال عن سجودها تحت العرش: وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها والتصرف لما سخرت له، وأما قوله عز وجل: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ [الكهف: ٨٦] (٣) . فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب ومصيرها تحت العرش للسجود، وإنما هو بعد الغروب " (٤) . قال القاضي عياض عقب شرحه للحديث السابق: " وهو على ظاهره عند

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٨ - ٥٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٧٢) .

(٣) سورة الكهف، آية: ٨٦.

(٤) انظر كلامه في شرح السنة للبغوي (١٥ / ٩٥) .." [١]

"بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ [الأنعام: ١٢٥] (الأنعام: ١٢٥) . ومن السنة حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا أراد الله بقوم عذابا، أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم» (١) .

العلو: وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] (الأعلى: ١) . وقال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] (النحل: ٥٠) . ومن السنة حديث أبي هريرة المتقدم في المبحث الأول في الذكر عند النوم وفيه: (. . . «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» . . .) (٢) .

الاستواء: وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] (طه: ٥) . وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه» (٣) . ومعنى الاستواء في

---

(١) أشراط الساعة عبد الله بن سليمان الغفيلي ص/١٤٤

(١) رواه مسلم برقم (٩٢٨٧) .

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧١٣) .

(٣) رواه الذهبي في العلو برقم (١١٩) وقال: رواته ثقات، رواه الخلال في كتاب السنة.." [١]

" . . . .

ـــــــ؟كذلك بطلت كل التوجهات إلى غير الله – جل وعلا – ووجب أن يتوجه بالعبادات، وأنواع التوجهات من: دعاء، واستغاثة، واستعاذة، وذبح، ونذر، وغير ذلك: إلى الحق –جل وعلا – وحده دون ما سواه.

ثم ذكر الحديث الأخير في الباب، وهو: أنه لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا» ، وهذا ظاهر في أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن ينفع أحدا من أقربائه إلا بما جعله الله له من الرسالة، وأداء الأمانة، وأما أنه يغني عنهم من الله شيئا، ويدفع عنهم العذاب؛ أو النكال، أو العقوبة: فالله – جل وعلا – لم يجعل لأحد من خلقه من ملكوته شيئا، وإنما هو سبحانه المتفرد بالملكوت والجبروت، والمتفرد بالكمال والجمال والجلال.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد – كما ذكرنا سابقا –: أن فيه برهانا على أن المستحق للعبادة هو الله جل جلاله؛ لأنه هو المتصف بصفات الكمال والجلال.

وهذا الباب فيه ذكر لصفات الجلال لله – جل وعلا؛ إذ كل من في السماوات والأرض خائف منه، ووجل؛ لأنه – سبحانه – الجليل؛ ولذلك كان أعرف عمار السماء به هم الملائكة الذين قال الله تعالى في وصفهم: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠] وقال – جل وعلا." [٢]

"– في الآية والحديث بيان عدة فوائد:

١) أن الملائكة يخافون الله تعالى، قال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة مجموعة من المؤلفين ص/٨٦

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٢٠٤

(النحل: ٥٠).
٢) إثبات القلوب للملائكة، وبها تعقل. (١)
٣) إثبات أنها أجسام. (٢)
٤) إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأنه يتكلم متى شاء. (٣)
٥) أن قضاء الله تعالى يكون بالقول، كما قال تعالى: ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ (آل عمران:٤٧).
٦) أن الله سبحانه يمكن هؤلاء الجن من الوصول إلى السماء فتنة للناس وابتلاءا لهم، وهي ما يلقونه على الكهان، وقد أعلم الله تعالى عباده بذلك كي لا يحصل عندهم الاشتباه بذلك، ولله الحكمة البالغة (٤)، كما في قوله تعالى ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين، وحفظناها من كل شيطان رجيم، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ (الحجر:١٨)، وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في كثير من الأحاديث، ومثاله حديث الباب (فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء).
٧) إثبات صفة العلو لله تعالى؛ لقوله (إذا قضى الله الأمر في السماء).
٨) بيان تحمل الشياطين للمخاطر من أجل إضلال الناس.

---

(١) وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المعني بالكلام في الآية الكريمة هم الكفار وليس الملائكة؛ وهو مردود عليهم لمخالفتهم الحديث الصحيح السابق ذكره. انظر الفتح (٤٥٩/ ١٣) للحافظ ابن حجر رحمه الله.
(٢) بخلاف من زعم – من غير المسلمين – أن الملائكة هي قوى الخير في النفوس، أو هي أرواح فقط.
(٣) بخلاف المعطلة الذين يجعلون الكلام على غير حقيقته.
(٤) قال الآلوسي رحمه الله في تفسيره (روح المعاني) (٧٣/ ١٢): (ومنها أنه يغني عن الحفظ من استراق الشياطين عدم تمكينهم من الصعود إلى حيث يسترق السمع، أو أمر الملائكة عليهم السلام بإخفاء كلامهم بحيث لا يسمعونه، أو جعل لغتهم مخالفة للغتهم بحيث لا يفهمون كلامهم؛ و أجيب بأن وقوع الأمر على ما وقع من باب الابتلاء).." [1]

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١٢١/١

""باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش، قلت لهم: أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ؟

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، وفي السموات والأرض.

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء، أجسامكم وأجوافكم والأماكن القذرة ليس فيها من عظمته شيء، وقد أخبرنا عز وجل أنه في السماء فقال تعالى ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ، ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ، ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ، فقد أخبرنا سبحانه أنه في السماء"١.

١١ - قول الحارث بن أسد المحاسبي٢ (٢٤٣هـ)

قال: "وأما قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ﴿إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ هذا يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها متنزه عن الدخول في خلقه لايخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه

---

١ انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل (ص٩٢-٩٣، -ضمن عقائد السلف) .

وأورده الذهبي في العرش (٢/٢٥٠-٢٥١ برقم ٢٢٤).

وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٠١-٢٠٢) .

٢ الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي أبو عبد الله عاش في بغداد اشتهر بالتصوف وألف فيه كتبا أشهرها الرعاية لحقوق الله ورسالة المسترشدين توفي سنة ٢٤٣ هـ تاريخ بغداد ٨/٢١١ السير ١٢/١١٠.." [(١)]

"قال شارح الطحاوية: والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعا:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة "من" المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ١.

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ٢.

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ٣. وقوله صلى الله عليه وسلم: "فيعرج

---

(١) الآثار المروية في صفة المعية محمد بن خليفة التميمي ص/٤٣

الذين باتوا فيكم فيسألهم"٤.

الرابع: التصريح بالصعود إليه كقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ٥.

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ٦، وقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ٧.

---

١ الآية ٥ من سورة النحل.

٢ الآية ١٨ و ٦١ من سورة الأنعام.

٣ الآية ٤ من سورة المعارج.

٤ البخاري مع الفتح ٢/٣٣/رقم٥٥٥ ومسلم بشرح النووي ٢/٢٧٢/برقم٦٣٢.

٥ الآية ١٠ من سورة فاطر.

٦ الآية ١٥٨ من سورة النساء.

٧ الآية ٥٥ من سورة آل عمران.." (١)

"إلي﴾ ١، ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ ٢، ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ ٣، ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ٤، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ٥، ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ ٦، ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٧، ﴿ثم استوى على العرش﴾ ، في ستة مواضع٨، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ ٩، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ ١٠، ﴿منزل من ربك بالحق﴾ ١١ إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة، مثل قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه١٢، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: "فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم"١٣.

---

١ سورة: آل عمران، الآية: (٥٥) .

٢ سورة: الملك، الآية: (١٦) .

---

(١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ١/٣٢٩

٣ سورة: الملك، الآية: (١٧) .

٤ سورة: النساء، الآية: (١٥٨) .

٥ سورة: المعارج، الآية: (٤) .

٦ سورة: السجدة، الآية: (٥) .

٧ سورة: النحل، الآية: (٥٠) .

٨ سورة: الأعراف الآية: (٥٤) ، ويونس، الآية: (٣) والرعد، الآية: (٢) ، والفرقان، الآية: (٥٩) ، والسجدة، الآية: (٤) ، والحديد، الآية: (٤) .

٩ سورة: غافر، الآيات: (٣٦،٣٧)

١٠ سورة: فصلت، الآية: (٤٢) .

١١ سورة: الأنعام، الآية: (١١٤) .

١٢ رواها البخاري (٣٤٩ الفتح) ، ومسلم (١/١٤٥) وغيرهما من حديث أنس.

١٣رواه البخاري (٥٥٥) ،و (٣٢٢٣ الفتح) ،ومسلم (١/٤٣٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة.." [(١)]

"وقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ (١) .

وقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴿١٦﴾ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ (٢) .

وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (٣) .

وقال: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ (٤) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟) (٥) (٦) .

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بأن الكرسي والعرش حق لا ريب فيه، قال الله تعالى: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ (٧) .

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) سورة الملك، الآيتان: ١٦- ١٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

---

(١) الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٣٢

(٤) سورة النحل، الآية: ٥.

(٥) (رواه البخاري) في (كتاب المغازي) باب: (بعثة علي بن أبي طالب إلى اليمن) .

(٦) (() قال الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه - رحمه الله - عن الآيات الاستواء: (إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة) . رواه الإمام الذهبي - بسند صحيح - في (العلو للعلي الغفار) .

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.." [1]

"الخشية ودليلها

دليل الخشية قوله تعالى: ﴿فلا تخشوهم﴾ [البقرة: ١٥٠] [١٩] .

الرغبة والرهبة والخشوع، هذه صفات الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وهذه الأنواع الثلاثة من أنواع العبادة لله عز وجل.

وفيها رد على الصوفية الذين يقولون: نحن لا نعبد الله رغبة في ثوابه ولا خوفا من عقابه، وإنما نعبده محبة له فقط، هذا كلام باطل؛ لأن الأنبياء يدعون الله رغبا ورهبا وهم أكمل الخلق.

[١٩] الخشية نوع من الخوف، وهي أخص من الخوف، وقيل: الخشية: خوف يشوبه تعظيم، قال تعالى: ﴿فلا تخشوهم واخشوني﴾ أمر الله سبحانه وتعالى بخشيته وحده.

وقال تعالى في الآية: ﴿فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾ فأمر بخشيته سبحانه وتعالى، وقال في صفة المصلين: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ [المعارج: ٢٧] أي: خائفون، هؤلاء خواص الخلق يخافون الله عز وجل، وقال عن الملائكة: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠]." [2]

"عليهم بذلك؛ حتى قال ثمامة بن الأشرس "ت ٢١٣ ه" من رؤساء الجهمية١: ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى؛ حيث قال: "إن هي إلا فتنتك"٢ وعيسى؛ حيث قال: "تعلم ما نفسي ولا أعلم ما في نفسك"٣ ومحمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: "ينزل ربنا"٤" ٥.

وأما الأشاعرة: فإنهم لما كانوا لا يثبتون إلا بعض الصفات٦، ويؤولون البعض الآخر؛ فقد نبزوا من يثبت لله

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/١٢٤

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان صالح الفوزان ص/١٤٢

جميع ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بالتشبيه.

يقول الجويني "ت ٤٧٨ هـ": "واعلموا أن مذهب أهل الحق أن الرب سبحانه وتعالى يتقدس عن شغل حيز، ويتنزه عن الاختصاص بجهة.

وذهب المشبهة إلى أنه -تعالى عن قولهم - مختص بجهة فوق"٧.

ومعلوم أن أهل السنة والجماعة يثبوت لله عز وجل ما أثبته لنفسه من الفوقية في قوله عز وجل: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٨، ومن أثبت ذلك عند

---

١ يريد المعتزلة، وكثيرا ما يطلق على المعتزلة لقب الجهمية ںقولهم بقولهم في نفي الصفات.

٢ سورة الأعراف آية ١٥٥.

٣ سورة المائدة آية ١٦٦.

٤ يشير إلى حديث النزول وهو حديث صحيح أخرجه خ: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٣/ ٢٩. وم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ١/ ٥٢١، ح ٦٨.

٥ الفتاوى ٥/ ١١٠.

٦ لا لأنها وردت في الكتاب والسنة؛ وإنما لأن العقل لا يحيلها، مثل صفة "الحياة، والعلم، وغيرها من الصفات السبع التييثبتونها ولو كانوا أثبتوها لورد النص بها، لما أولوا باقي الصفات مع ورود النصوص بها أيضا.

٧ انظر: الشامل ص ٥١١.

٨ سورة النحل آية ٥٠.." (١)

"والكلابية والأشاعرة: أثبتوا الأسماء، وبعض الصفات، ونفوا وأولوا البعض الآخر؛ فقولهم خير وأقرب للحق من قول الجهمية والمعتزلة.

وأهل السنة لما أثبتوا جميع الأسماء والصفات، كان قولهم خيرا من قول الجميع.

كونهم الطائفة الوحيدة التي عملت بمقتضى قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ١؛ إذ كل طائفة عداها إنما عملت بشطر من هذه الآية وضيعت الشطر الآخر كما تقدم إيضاح ذلك في كلام

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/١٣٠

فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد.

هذه بعض الصور العامة لوسطيتهم، وهناك صور كثيرة لهذه الوسطية نستطيع أن نلمسها من خلال أقوالهم في كثير من الصفات الإلهية.

وسنختار بعض الصفات أمثلة ونماذج نوضح من خلالها هذه الوسطية؛ فمن ذلك:

١- صفة العلو والفوقية:

دلت كثير من الآيات والأحاديث النبوية على علو الله عز وجل، وأنه فوق مخلوقاته، من ذلك قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ٢، وقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ٣، وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ٤، وغير ذلك من الآيات كثير.

فاختلفت الطوائف والفرق في ذلك، ونزع قوم إلى إفراط، وآخرون إلى

---

١ سورة الشورى: آية ١١.

٢ سورة النحل: آية ٥٠.

٣ سورة الأنعام: آية ١٨.

٤ سورة فاطر آية ١٠.." [1]

"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ١٦٦.

يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ١٦٧

يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ١٩٤

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ٣٦٩

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ٣٥٠

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ٤٣٧

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ٢٠٧

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ٢٦٢

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ٢٤٢

يخافون **ربهم من فوقهم** ١٣٠، ٣٢٧

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد با كريم محمد با عبد الله ص/٣٢٧

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ٣٨٦

يريد الله أن يخفف عنكم ٣٨٦

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ٤٠٩

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ٤١

يوم يسحبون في النار على وجوهم ٣٦٧." [١]

"٢- وقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] .

٣- وقوله: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الرعد: ٩] .

٤- وقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] .

٥- وقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] .

٦- وقوله: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك:١٦]

؟ الدليل من السنة:

والأدلة من السنة أيضا كثيرة جدا منها:

١- حديث: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!)) . رواه: البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) .

٢- حديث النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة.

٣- حديث عروج النبي صلى الله عليه وسلم وفرض الصلاة.

٤- حديث: ((أين الله؟)) . قالت: في السماء. قال: ((من أنا؟)) قالت: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ((أعتقها؛ فإنها مؤمنة)) . رواه: مسلم (٥٣٧) ، وأحمد (٥/٤٤٧) .

وللصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم آثار كثيرة عن علو الله وفوقيته، جمعها الذهبي في ((العلو)) وحققه واختصره الألباني -رحمه الله-، وابن قدامة في ((اثبات صفة العلو)) حققه بدر البدر، وذكر." [٢]

"واجب، والسؤال عنه بدعة.

وجاء في كتاب "التوجيهات الإسلامية" ما يلي:

(الله فوق العرش)

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٤٩٧

(٢) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة علوي السقاف ص/٢٥٨

القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة والعقل السليم، والفطرة السليمة تؤيد ذلك.

١ - قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى (٥)﴾ (١) [طه]. (أي علا وارتفع) كما جاء في البخاري عن التابعين.

٢ - وقال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦]. قال ابن عباس: (هو الله) كما في تفسير ابن الجوزي.

٣ - وقال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠].

٤ - وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]. (أي رفعه الله إلى السماء).

٥ - وقال تعالى: ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم

---

(١) أتيت بهذه الآية والتي تليها مرة أخرى إتماما للفائدة. (قل).." [(١)]

"قال العلامة ابن جرير١ : "فإن قال قائل: ومن القرآن شيء أحسن من شيء قيل له: القرآن كله حسن وليس معنى ذلك ما توهمت، وإنما معناه: واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر والمثل والقصص والجدل والوعد والوعيد أحسنه، وأحسنه أن تأتمروا لأمره وتنتهوا عما نهى عنه، لأن النهي مما أنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه ـ أي العمل ـ فذلك وجهه" أ. هـ٢.

فهذه الآيات الخمس من الآيات المحكمة التي أثبتت علو ـ الباري سبحانه ـ على جميع خلقه وأنه ـ جل جلاله ـ في السماء أي: "العلو" لا كما يزعمه أهل الباطل من الجهمية المعطلة من أنه ـ تعالى ـ في أسفل الأرضين، بل هو ـ تعالى ـ في السماء كما أخبر بذلك عن نفسه في مواضع كثيرة من كتابه، وأكد ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة.

قال ابن خزيمة٣ ـ رحمه الله تعالى ـ: "إن الرب ـ جل وعلا ـ في السماء لا كما قالت الجهمية المعطلة أنه في أسفل الأرضيين فهو في السماء" أ. هـ٤.

وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز كلها تدل دلالة قطعية على إثبات علوه ـ تعالى ـ على خلقه وأنه ليس تحت الأرض ولا في كل مكان كما يزعم ذلك أهل الزيغ والباطل ومن تلك الآيات ما يلي:

أحدها: أنه سبحانه وتعالى صرح بفوقيته المقترنة بأداة "من" المعينة للفوقية بالذات. قال تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون. يخافون **ربهم من فوقهم**

---

(١) ماذا تعرف عن الله أبو ذر القلموني ص/٣٦

ويفعلون ما يؤمرون﴾ ٥.

١- هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين وتوفي سنة عشر وثلاثمائة. انظر ترجمته في: "تذكرة الحفاظ ٢/٧١٠، وفيات الأعيان ١/٤٥٦، البداية والنهاية ١١/١٦٣ ـ ١٦٥، وانظر الأعلام ٦/٢٩٤.

٢- جامع البيان ٢٤/١٧ ـ ١٨.

٣- هـو: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر، إمام نيسابور في زمنه. كان فقيها مجتهدا عالما بالحديث. ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة هجرية. له مؤلفات كثيرة: لقب بإمام الأئمة. انظر ترجمته في: "تذكرة الحفاظ" ٢/٧٢٠ وما بعدها، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٣١٣ ـ ٣١٤، البداية والنهاية ١١/١٦٧

٤- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ص ١١٠.

٥- سورة النحل آية: ٤٩ ـ ٥٠.." (١)

"مسمى الجسم والعرض والجوهر والتحيز وحلول الحوادث وأمثال ذلك، فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أمورا مما وصف به نفسه، ووصفه بها رسوله فيدخلون فيها نفى العلم والقدرة والكلام إلى غير ذلك من الصفات بدعوى أن ذلك لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم"١ أ. هـ.

فكلام شيخ الإسلام يستفاد منه أن قول المتكلمين في اسمه ـ تعالى ـ "الواحد" أنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ قول مبتدع مخترع لم يقل به أحد من السلف.

وأما صفة "القهر" فقد دل على ثبوتها ـ للباري جل وعلا ـ اسمه ـ تعالى ـ "القهار".

قال في القاموس: "القهر" الغلبة "والقهار" من صفاته تعالى. أ. هـ٢.

وجاء في المفردات لغريب القرآن: "القهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل في كل منهما"٣.

وقال ابن الأثير: "القاهر الغالب على جميع الخلائق قهره يقهره فهو قاهر وقهار للمبالغة" أ. هـ٤.

فمن هذه النصوص اللغوية ندرك معنى اسمه ـ تعالى ـ "القهار" ومعناه الذي يغلب على كل شيء، ويبسط سلطانه على كل مخلوق، ولا يمتنع عليه ما يريده، ولا يفلت من قبضته جبار تمرد على جبروته، ولا متكبر

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٣١

نازعه رداء كبريائه بل هو ـ سبحانه ـ آخذ بنواصي عباده فمن تمرد عليه قصمه وأذله، ومن خالف أمره أخذه نكال الآخرة والأولى، وجعله عبرة ومثلا لغيره، وبسط ـ سبحانه ـ سلطانه على كل الكائنات فاستجابت لأمره وخضعت لحكمته، وسارت على النهج الذي رسمه لها.

فجميع الموجودات خاضعة لسلطانه ـ سبحانه ـ مذعنة لمشيئته مقهورة لإرادته.

قال تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ٥.

١- درء تعارض العقل والنقل: ٢٢٨/١.

٢- ١٢٨/٢.

٣- ص٤١٤.

٤- النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢٩/٤.

٥- سورة النحل، آية: ٤٩ ـ ٥٠.." (١)

"وقد بين العلامة ابن القيم الفرق بين الوجل، والخوف، والخشية، والرهبة فقال: "الوجل، والخوف، والخشية، والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة".

فالوجل: رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته.

والخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

والخشية: أخص من الخوف، فإن الخشية للعطاء بالله تعالى قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ١ فهي خوف مقرون بمعرفة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ... الحديث" ٢.

"وأما الرهبة: فهي الإمعان في الهرب من المكروه وهي ضد "الرغبة" التي هي: سفر القلب في طلب المرغوب فيه ... إلى أن قال رحمه الله وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة والإجلال تعظيم مقرون بالحب، فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين والإجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية"اهـ٣.

ولقد مدح الله رسله بأنهم لا يخشون أحدا سواه. قال تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/١١٣

يخشون أحدا إلا الله﴾ ٤.

وقال تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ ٥ "أي: أفغير الله أيها الناس تتقون: أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم بإخلاصكم العبادة لربكم، وإفرادكم الطاعة له، وما لكم نافع سواه"٦.

وقال تعالى في شأن الملائكة المقربين واصفا لهم بتحقيق عبود ية الخوف:

﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ٧.

١- سورة فاطر آية: ٢٨.

٢- رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه ٢٣٧/٣.

٣- مدارج السالكين ٥١٢/١ . ٥١٣.

٤- سورة الأحزاب آية: ٩.

٥- سورة النحل آية: ٥٢.

٦- جامع البيان ١٢٠/١٧.

٧- سورة النحل آية: ٥٠.." [١]

"المبحث الثاني: أمثلة لبعض الصفات الإلهية الثابتة في الكتاب والسنة.

١- علو الله تعالى.

...

المبحث الثاني: أمثلة لبعض الصفات الإلهية الثابتة في الكتاب والسنة:

صفات الله تعالى لا يستطيع العباد حصرها، لأن كل اسم لله تعالى يتضمن صفة له جل وعلا، وأسماء الله تعالى لا يستطيع العباد حصرها، لأن منها ما استأثر الله به في علم الغيب عنده، وقد ورد في الكتاب والسنة ذكر صفات كثيرة لله تعالى، وأجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم على إثباتها له تعالى على الوجه اللائق بجلاله.

ومن هذه الصفات:

١- علو الله تعالى. وينقسم إلى قسمين: علو ذات، وعلو صفات.

فأما علو الصفات فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها.

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٢٢٠

وأما علو الذات فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك: الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة.

فأما الكتاب والسنة فهما مملوءان بما هو نص، أو ظاهر في إثبات علو الله تعالى بذاته فوق خلقه، وقد تنوعت دلالتهما على ذلك إلى أنواع كثيرة، منها:

١- التصريح بفوقيته سبحانه على خلقه، مقرونا بأداة "من" المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] .

٢- التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو: ذاتا." [1]

"قال الشيخ حمد الناصر: وقوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون ليس على العرش سوى العدم وأن الله ليس مستويا على العرش ولا ترفع إليه الأيدي حيث أخبر سبحانه أنه على عرشه وأنه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها – ثم قال – ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، وليس معنى قوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها وخلاف ما فطر الله عليه الخلق. وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبية. وأخبر أنه ذو المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم، فكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق عباده على عرشه، وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة، وهو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه، كقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ الآية من سورة البقرة (رقم ١٨٦) وقوله: ﴿ولقد خلقنا الأنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ، سورة ق آية (١٦) وقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " ١.

---

١ صحيح البخاري، التوحيد، ١٣/ ٣٧٢.." [2]

---

(١) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/٤٠

(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي صالح بن عبد الله العبود ٥٢٢/١

"والقديم جل جلاله عال على عرشه لا قاعد ولا قايم ولا مماس له ولا مباين، والعرش ما تعقله العرب وهو السرير، يريد بذلك أيضا على أنه في السماء عال على عرشه قوله سبحانه: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ (الملك: ١٦) ، وقوله تعالى: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ (آل عمران: ٥٥) ، وقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ (النحل: ٥٠) ، وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ (فاطر: ١٠) ، وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ (السجدة: ٥) (١) ، ثم رد على البلخي وغيره من المعتزلة في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء واحتجاجهم بقولهم: استوى بشر على العراق – وغيره – فقال:" فيقال لهم: ما أنكرتم أن يكون عرش الله جسما مجسما، خلقه وأمر ملائكته بحمله، وتعبدهم بتعظيمه كما خلق في الأرض بيتا وامتحن بني آدم بالطواف – حوله وبقصده من الآفاق، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ (الزمر: ٧٥) ، وقال في موضع آخر: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (الحاقة: ١٧) ، ففي كل هذا دلالة أن العرش ليس بالملك وأنه سرير " (٢) ،

ثم قال:" ومما يدل على أن الاستواء ها هنا ليس بالاستيلاء أنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون ساير خلقه، وليس للعرش مزية على ما [وصفت] (٣) ، فبان بذلك فساد قوله، ثم يقال له أيضا: إن الاستواء ليس هو بالاستيلاء في قول العرب: استوى فلان على كذا أي استولى عليه، إذا تمكن منه بعد أن لم يكن متمكنا، فلما كان الباري سبحانه لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا لم يصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء، وحدثنا الشيخ أبو عبد الله الأزدي الملقب بنفطويه قال: حدثنا أبو سليمان، قال كنا عن ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قوله سبحانه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه: ٥) ، قال: إنه مستو على

(١) تأويل الأحاديث المشكلة (ل٢٤= أ– ب) .

(٢) نفسه (ل ٢٤ – ب) ..

(٣) في المخطوطة: وضعت، والتصويب من نقض التأسيس المطبوع (٢/٣٣٦) ، حيث نقل هذا النص عنه.." (١)

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٥٢٠/٢

"لأن الكفر حكم شرعي فليس الإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك فليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأن الكذب والزنى حرام لحق الله وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلى من كفره الله ورسوله)) (١) .

وإذا تجاوزنا تاريخ تلك الحقبة ورجالاتها إلى رجال العصور الأخيرة من السلف فسنجد رجالا كانوا مثال الأخلاق الفاضلة وحب الخير للناس جميعا ومن أشدهم رحمة بكل المسلمين حتى المخالفين منهم وفي أول هؤلاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي بذل نفسه لخدمة العقيدة وتفهيم الناس بدينهم الصحيح.

وكذا من سار على طريقته مثل الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، الذي أخرج الله به أقواما من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الخرافات الجاهلية إلى الحقائق الإسلامية في منطقة جيزان ففتح الله به القلوب ونور به البصائر وكان رحمة من الله تمكن حبه في القلوب وتمكنت دعوته في النفوس ولن تزال أبدا إن شاء الله قوة راسخة. هذه نماذج سقتها على عجل مكتفيا بمن تقدم ذكرهم كأمثلة مشرفة لسلف هذه الأمة وما امتازوا به من حميد الصفات وهناك مئات الأمثلة التي لا تكاد تحصى إلا بالكلفة.

ومن المعلوم أن هذا التسامح ليس هو تسامح العاجزين فقد كانوا فرسان الوغى وليوث الحروب لا يخافون إلا **ربهم من فوقهم** وإنما هو تسامح الواقف عند الحق المقدم له الراضي به أما بالنسبة لسمات أهل البدع من الفرق الهالكة فقد اتصفوا بأسوأ الصفات التي أبانت عن سوء معتقداتهم لعدم تحليهم بآداب السنة الغراء وهو أمر بدهي فإن المخالف لها لا بد أن يركب

---

(١) الرد على البكري ص ٢٥٨.." [1]

"علو الله أمر معلوم من الدين بالضرورة قال تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (١) . وقال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ (٢) . عند أهل السنة كلمة السماء المراد بها مطلق العلو ، وتكون "في" بمعنى "على"قال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ (٣) . ...

العلو

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١/١٩٩

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للجارية: "أين الله؟ قالت: في السماء " (٤) .

---

(١) سورة النساء: ١٥٨.

(٢) سورة الملك: ١٦.

(٣) سورة النحل: ٥٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢/١٧٤.." [1]

"إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ... " ١ الحديث.

وفيه قال: "ثم انطلق فلبث مليا، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

طاعة الملائكة لربهم، وشهادتهم بوحدانيته:

والملائكة يخشون الله تعالى، ويخافون عقابه، ومن طبيعتهم الطاعة وعدم العصيان، قال الله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دآبة والملآئكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ ٢.

وهم يشهدون بوحدانية الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قآئما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ٣.

ويشهدون على صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم:

---

١ صحيح مسلم ١/٣٧ كتاب الإيمان، حديث رقم: ١.

٢ سورة النحل ال آيتان: ٤٩-٥٠.

٣ سورة آل عمران الآية: ١٨.." [2]

"تعطيل صفات الله تعالى بالتأويل وجعله عزوجل كالعدم. تعالى الله عما يقول المبتدعون علوا كبيرا. فما من صفة من تلك الصفات إلا وهي منصوصة في القرآن أو في الأحاديث النبوية الصحيحة، ولعل كل

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ٣/١٢٨٩

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام حمود الرحيلي ٢/٥٦٤

قارئ للقرآن أو سامع له من المسلمين قد قرأ أو سمع وقوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ١ وقوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ ٢..وسمع قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٣ وما في معناها، وقوله تعالى في الملائكة: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ٤ وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ ٥ وقوله عزوجل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ ٦ إلخ، وليعلم القارئ أن ما عزاه هذا الرافضي إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الأعلام ثم إلى الوهابية مما ليس في القرآن فهو في الأحاديث الصحيحة ... " ٧.

فهذا التدليل من الشيخ رشيد على صفات الله تعالى يبين أن هذه الصفات ثابتة إما في الكتاب والسنة أو في أحدهما.

ويقرر الشيخ رشيد أن السلف يجمعون بين الإثبات والتنزيه . الثابت شرعا وعقلا . فيقول: "والقاعدة في ذلك أن تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه قد ثبت بدليل العقل والنصوص القطعية من النقل كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وأن السلف يجمعون بين الأمرين: تنزيه الرب ووصفه بما وصف به نفسه من الرحمة والمحبة والرضا والغضب وغير ذلك، وعدم التحكم في التفرقة بين هذه الصفات وصفات العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ... " ٨.

---

١ سورة الفتح، الآية (١٠)

٢ سورة "ص"، الآية (٧٥)

٣ سورة طه، الآية (٥)

٤ سورة النحل، الآية (٥٠)

٥ سورة الفجر، الآية (٢٢)

٦ سورة البقرة، الآية (١٨٦)

٧ مجلة المنار (٢٩/ ٥٩٥)

٨ المصدر نفسه (٢٩/ ٥٣٦)." [١]

"ب- أنواعها:

إن كل ما أمر به سبحانه وحث على فعله ورغب فيه، وكذا كل ما دعا إليه رسوله - صلى الله عليه وسلم - من أعمال الخير والإحسان وأنواع الطاعات، داخل في مفهوم العبادة وعمومها، لا يجوز صرفه بحال

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٣٦٨

لغيره سبحانه، لكونه المعبود المطاع، ولا معبود بحق سواه، وهذا عين معنى العبادة في الشرع.

فالعبادة إذا –بمفهومها الشامل– أنواع كثيرة جدا، ومما وقفت عليه منها مما ذكره الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – بنوع من التفصيل مايلي:

أولا: الخوف من الله.

ذكر الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله –: " أنه –أي الخوف– من أفضل مقامات الدين وأجلها وهو من أجمع أنواع العبادة التي أمر الله – عز وجل – بإخلاصها له، قال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥)﴾ آل عمران: ١٧٥، ووعد سبحانه من حقق مقام الخوف منه بجنتين، فقال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦)﴾ الرحمن: ٤٦، وأثنى على الملائكة بأنهم يخافون **ربهم من فوقهم**، فقال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)﴾ النحل: ٥٠، وغير ذلك من الآيات في القرآن كثيرة" (١).

وبين كذلك – رحمه الله –: " أن الخوف من الله ومن وعيده وعذابه مما يحمد شرعا ومما يزيد العبد في تقوى الله فيبعثه على فعل أوامره واجتناب ما نهى عنه سبحانه وتعالى" (٢).

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣٦٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣٦٥).." [(١)]

"المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ...] .

قال الشيخ أثابه الله: ذكر الشمال لأجل المقابلة، وكلتا يديه يمين أي في اليمن والبركة، ويدل لذلك ما ورد في بعض الروايات "يمين مباركة".

* * *

٢٥٣: ٤٠١ [وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، ... " الحديث] .

قال الشيخ أثابه الله: ذكر المحدثون أن المسافة بين السماء والأرض ورد فيها خمسة أحاديث، وحديث

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٨٥

ابن مسعود هذا هو السادس وله حكم الرفع لأنه من الأمور الغيبية.

* * *

٢٥٤: ٤٠٤ [" ... والله فوق ذلك، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم" رواه أبو داود وغيره] .

قال الشيخ أثابه الله: وردت الفوقية لله تعالى في ثلاث آيات:

قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ [الأنعام: ٦١] .

قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام: ١٨] .

قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] .

وقال أثابه الله: الحديث في إسناده عبد الله بن عميرة متكلم فيه، وقد انفرد بهذا الحديث. واستدل بالحديث شيخ الإسلام، وذكر أن علماء الإسلام تلقوه بالقبول، وممن قبله إمام الأئمة ابن خزيمة حيث أورده في كتاب التوحيد وقد ذكر –ابن خزيمة– أنه لا يورد حديثا مطعونا في سنده.." (١)

"من عقيدة أهل السنة: أن الله سبحانه فوق عباده

من عقائدهم: أن الله سبحانه وتعالى فوق عباده، بدليل قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠]، وأنه سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، بدليل قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١].

فمن أصول الإيمان وأعظم أصول السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى بذاته فوق سماواته مستو على عرشه، بائن –أي: منفك ومنفصل– عن خلقه، وهذه هي عقيدة المرسلين عليهم الصلاة والسلام التي بعثوا بها.." (٢)

"بطلان القول بأن الله في كل مكان

الأقوال التي توجد –مع الأسف– في كثير من أمصار المسلمين وبلدانهم، بل وفي بعض دور العلم عندهم، كقولهم: إن الله في كل مكان، وقولهم: إن الله ليس له مكان، وقولهم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، إلى غير ذلك، تعبيرات باطلة دخلت على المسلمين في آخر دولة بني أمية، وإنما دخلت من الفلسفة التي ترجمت عن فلسفة اليونان، الذين كانوا ملاحدة زنادقة، كـ أرسطو طاليس وأمثاله من الكفرة والزنادقة الذين لم يكونوا على دين من أديان السماء.

---

(١) فوائد من شرح كتاب التوحيد عبد العزيز السدحان ص/١٣١

(٢) شرح الواسطية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٣/١١

وأرسطو طاليس هذا كان قبل المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بأكثر من ثلاثمائة سنة.

فدخلت معانيهم إلى المسلمين عن طريق الترجمة، والترجمة بدأت مبكرة، وذلك في آخر الدولة الأموية، وقوة الخلافة العباسية، ولا سيما في زمن الرشيد والمأمون، فترجمت هذه المعاني وانتشرت، ومن أمثالها: المعنى الذي يقول: إن الله في كل مكان، والمعنى الذي يقول: إن الله ليس له مكان، والمعنى الذي يقول: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، فهذه كلها عبارات باطلة أنكرها أئمة الإسلام، وممن أنكرها الإمام مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة، وأجمع علماء الإسلام على إنكارها، وتبديع أهلها وتضليلهم.

وإذا قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره، فلن تجد أن الله ذكر هذا عن نفسه، ولا ذكره الرسول عنه، بل المذكور في القرآن قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦] وقوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠] وقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] والمذكور في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله: (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك)، وقوله للجارية: (أين الله؟ قالت: في السماء.

قال: ومن أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها، فإنها مؤمنة).

والقول بأن الله لا داخل العالم ولا في خارجه، أو أن الله في كل مكان؛ هو من الضلال، ومما ينزه سبحانه وتعالى عنه.

والعرب في جاهليتهم مع شركهم كانت عندهم الفطرة السليمة في هذا المقام، حتى كان عنترة وهو من شعراء الجاهلية يقول:

يا عبل أين من المنية مهرب ... إن كان ربي في السماء قضاها

فكانوا يثبتون أن الله سبحانه وتعالى في السماء؛ فإن هذا ما فطر الله الخلق عليه، وهو أنه سبحانه وتعالى فوق السماوات، وأنه بائن من الخلق.." (١)

"ب- آيات يمدح الله بها عباده ويثني عليهم بسبب عملهم بهذا الركن.

يقول الله عز وجل مثنيا على عباده المؤمنين: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ [المؤمنون: ٥٧] ، إلى أن قال: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ [المؤمنون: ٦١] . ومدح أنبياء عليهم السلام بهذه العبادة؛ فقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: من الآية٩٠] . ومدح ملائكته بقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:

---

(١) شرح الواسطية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٤/١١

٥٠] .

ج- آيات يخبر فيها عز وجل عن جزاء من عبده بهذا الركن، يقول الله عز وجل: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] ، ويقول سبحانه: ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [ابراهيم: ١٤] .

عبادة الله عز وجل بهذه الأركان مجتمعة:

تقدم أن أهل السنة والجماعة يعبدون الله عز وجل بأركان العبادة الثلاثة مجتمعة، ولا يلغون أي ركن منها١.

وتقدم أنهم يوازنون بينها، بيحث لا يطغى جانب منها على الآخر٢؛ فكما أن المسلم يعبد ربه عز وجل حبا له، وطمعا في جنته، ورجاء لثوابه؛ فإنه كذلك يعبده عز وجل خشية له، وحذرا من ناره، وخوفا من عقابه.

وما أجمل كلمات العلامة ابن القيم رحمه الله، التي يخبر فيها عن اجتماع هذه الأركان القلبية، ويتحدث عن منزلة كل واحد منها، فيقول: "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر. فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سلم الرأس والجناحان، فالطائر جيد الطيران. ومتى قطع الرأس مات الطائر. ومتى فقد الجناحان، فهو عرضة لكل صائد وكاسر" إلى أن قال: "أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب؛ فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه"٣.

---

١ انظر ص٩٧ من هذا الكتاب.

٢ انظر ص٤١ من هذا الكتاب وانظر إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى ص٣٩١-٣٩٢.

٣ انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٥٥٤.." (١)

"لفظ (الجهة)

قال المصنف رحمه الله: [فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله، فيكون مخلوقا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السماوات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم].

هذان معنيان للفظ الجهة: فإما أن يراد بالجهة شيء موجود، أي: شيء مخلوق؛ لأن الشيء إذا كان موجودا لزم أن يكون مخلوقا؛ لأنه ليس ثمة إلا الخالق سبحانه وتعالى والمخلوق، فإذا قيل: جهة موجودة؛

---

(١) المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/١٠٢

لزم أن تكون مخلوقة.

فإن أريد بالجهة الشيء المخلوق؛ كالسماوات السبع، أو السماء السابعة، أو ما إلى ذلك؛ فإن الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون في شيء من مخلوقاته.

وإن أريد بالجهة ما ليس مخلوقا مما باين العالم، وما فوق العالم، وما فوق السماوات؛ فإن هذا لا يسمى جهة، ولكنه يسمى فوقا وعلوا، وما إلى ذلك من كلمات القرآن.

قال رحمه الله: [ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو، والاستواء، والفوقية، والعروج إليه، ونحو ذلك.

وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله تعالى فوق العالم بائن من المخلوقات].

إذا تضمن لفظ الجهة أكثر من معنى، كما عبر المصنف في بعض كتبه كدرء التعارض عن ذلك بقوله: فيقال لمن تكلم بلفظ الجهة ماذا يريد بالجهة؟ الجهة الوجودية، أو الجهة العدمية، فإن أريد الجهة الوجودية -أي: الشيء الموجود- فإن الله منزه عن أن يكون في شيء موجود؛ لأن هذا الشيء الموجود مخلوق، وإن أريد الجهة العدمية، وهي ما فوق العالم -أي: ما ليس مخلوقا مما باين العالم- فإن الله سبحانه وتعالى بائن عن خلقه.

وهذا التعبير إنما يستعمله المصنف في مقام المناظرات، أما في مقام تقرير المعتقد الحق، ومعتقد المسلمين للعامة، أو الدعوة إلى ذلك، فلا ينبغي أن يعبر بلفظ الجهة ثم يفسر فيقال: الجهة الوجودية، أو الجهة العدمية، ونحو ذلك، وإنما يعبر بالكلمات التي نطق بها القرآن؛ كالاستواء على العرش، والعلو، والفوقية، ونحو ذلك.

قال المصنف رحمه الله: [وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل].

قوله: (فإن أردت الأول):

وهو أن الله فوق العالم، فهذا صحيح، ولكن لا يعبر عنه بلفظ الجهة؛ بل يعبر عنه بكلمات القرآن، وهو

المذكور في قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] وقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] وغير ذلك من الآيات.." [1]

"العلو يتناول كل ما فوق المخلوقات كلها

قال المصنف رحمه الله: [وإذا قيل: العلو.

فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها، فما فوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به؛ إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله، كما لو قيل: إن العرش في السماء، فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق].

قوله: (كما لو قيل: إن العرش في السماء، فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق)؛ لأن هذا يستلزم تسلسل المخلوقات إلى ما لا نهاية، فالمصنف يقول: إذا علم أن العرش لا يستلزم التسلسل في المخلوقات؛ علم أن معنى (أن الله على عرشه) أي: أنه علي على سائر خلقه، ولما كان عليا على خلقه، وأنه فوق العرش، مستو عليه استواء يليق بجلاله؛ كان علوه على غير العرش من مخلوقات من باب أولى، فإن العرش هو أعظم المخلوقات، وهو أعلاها، ولما كان العرش هو أعظم المخلوقات وأعلاها، والله علي على عرشه، مستو عليه؛ علم من هذا أنه علي على سائر خلقه؛ ولهذا لما ذكر الاستواء ذكره في مقام ذكر علوه على عرشه فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] ولما ذكر العلو جعله مطلقا ولم يعين بشيء من مخلوقاته، فقال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] وقال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦] ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] فهذا العلو موافق لهذا العلو، وإن كان ما ذكر في استوائه على العرش له اختصاص من جهة المعنى كما هو معروف.

قال رحمه الله: [فإذا قدر أن السماء المراد بها الأفلاك؛ كان المراد أنه عليها، كما قال: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه:٧١] وكما قال: ﴿فسيروا في الأرض﴾ [آل عمران:١٣٧] وكما قال: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة:٢] ويقال: فلان في الجبل، وفي السطح، وإن كان على أعلى شيء فيه].

يبين المصنف هنا أن قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦] يراد به العلو، فلو قال قائل: إن السماء هنا هي السماوات المخلوقة، قيل: حتى لو قيل بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية يوسف الغفيص ٥/١٥

السماء﴾ [الملك:١٦] فإن تفسير هذه الآية سيكون: أي: على السماء، فكلا التفسيرين يدل على العلو.." (١)

"من الطرق العقلية في إثبات الصفات: أنه لو لم يوصف الله تعالى بأحد المتقابلين للزم وصفه بالآخر

قال المصنف رحمه الله: [والمقصود هنا: أن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نظار السنة في هذا الباب: أنه لو لم يكن موصوفا بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبكم].

لقد سبقت الإشارة إلى هذا سابقا، وهو أن من الطرق العقلية التي يسلكها الأئمة: أنه لو لم يوصف بأحد المتقابلين للزم أن يوصف بالآخر، فإذا ما علم أنه منزه عن الجهل بالاتفاق؛ لزم أن يكون موصوفا بالعلم، ولما علم بالاتفاق أنه منزه عن العمى؛ لزم أن يكون موصوفا بالبصر ..

وهكذا في سائر الصفات.

فيكون ذلك من طرق إثبات الصفات بالعقل: أن العلم بتنزيهه عن أحد المتقابلين -وهو النقص- علم ضروري، فإذا عرف أنه منزه عن هذا النقص بالضرورة الشرعية والفطرية والعقلية؛ لزم أن يكون المقابل ثابتا؛ لأن نفي المتقابلين يكون ممتنعا.

قال رحمه الله: [وطرد ذلك أنه لو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلا فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى، وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات، فتنزيه الخالق عنها أولى].

قوله: (وتلك صفة نقص) أي: دخوله في العالم، فلما علم أنه منزه عن هذا النقص بالضرورة وبالاتفاق؛ علم أنه مباين للعالم، وإذا كان مباينا للعالم، فإما أن يكون العالم هو العالي، وإما أن يكون العالم هو السافل، ولا شك أن الله سبحانه وتعالى يمتنع أن يكون محايدا أو أسفل من مخلوقاته؛ فلزم أن يكون الحكم العقلي يقضي بأن الله فوق خلقه، كما نطق به القرآن في قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠] وقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] إذا: فما ذكره الله تعالى في كتابه موافق من كل وجه لحكم العقل.." (٢)

---

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية يوسف الغفيص ١٧/١٧

(٢) شرح القواعد السبع من التدمرية يوسف الغفيص ٧/٢١

"إثبات صفة العلو لله جل وعلا

قال: [وهو العلي لا تحده جهه ضل المعطلة كذا المشبهه] وهذا إثبات لصفة العلو، فالله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه بذلك في ثماني عشرة آية من آيات كتابه، وهذه الصفة تنقسم إلى قسمين: علو حسي، وعلو معنوي.

فالعلو الحسي: هو استواؤه على عرشه وارتفاعه فوق خلقه، والعلو المعنوي: هو القهر والكبرياء والعظمة.

والعلو جاء إثباته بلفظ العلو، وجاء إثباته بالفوقية، والفوقية أيضا تأتي بالمعنيين: تأتي حسية ومعنوية، فالحسية مثل قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] ، ففي هذه الآية إثبات صفة الفوقية الحسية، وأما الفوقية المعنوية فمثل قوله تعالى في أتباع عيسى: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ [آل عمران:٥٥] فهذه الفوقية ليست حسية، بل المقصود بها الفوقية المعنوية بالترفع عليهم فقط.

وكذلك فوقية الله سبحانه وتعالى ع ى خلقه فوقية حسية وفوقية معنوية: فوقية حسية بارتفاعه وعلوه واستوائه على عرشه، وفوقيته المعنوية بمخالفته للحوادث وقهرهم بإحاطته بما هم فيه.

لكنه مع إثبات صفة العلو أراد أيضا أن يأتي بما ينفي التشبيه فقال: (لا تحده جهة) فالعلو جهة، وهي جهة فوقية مثبتة لله سبحانه وتعالى، لكن لا تحده، وهنا يقال: إن القاعدة: أن الجهة من الألفاظ التي يفصل فيها، فإن قصد بها مطلق الفوقية دون حد فنسبتها لله سبحانه وتعالى صحيحة، وإن قصد بها الحيز واحتواء مكان فهي ممنوعة مستحيلة.

فإذا: الفوقية إثبات للجهة دون حد؛ لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للجارية حين سألها: (أين الله؟ فأشارت بأصبعها إلى السماء) ، وهنا لم يقصد امتحانها بصفة الفوقية أبدا، إنما قصد امتحانها في وجود الله سبحانه وتعالى والإقرار به.." [1]

"[المسألة الثانية] :

العلو والفوقية لله – عز وجل – ثابت بدليل القرآن والسنة والعقل والفطرة.

بل قال بعض العلماء: إن في القرآن والسنة ألف دليل لإثبات علو الله – عز وجل – بذاته وفوقيته بذاته على خلقه.

وهذا يعني أن أمر العلو ومسألة العلو والفوقية من المسائل المتواترة العظيمة التي دلالتها صريحة؛ بل دلالتها

---

(١) سلسلة الأسماء والصفات محمد الحسن الددو الشنقيطي ٥/١١

نصية فدلالتها إذا قطعية.

ولهذا دخل عدد من أهل العلم؛ بل صرح عدد من أهل العلم بتكفير من أنكر علو الله – عز وجل – على خلقه لأجل عظم الأدلة في هذا كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الأدلة التي دلت على علو الله – عز وجل – على خلقه وعلى أنه سبحانه فوقهم بذاته وصفاته كثيرة جدا. لهذا ابن القيم جعلها أنواع لأجل كثرتها، جعلها ثمانية عشرة نوعا كل نوع تحته جملة من الأدلة في الكتاب والسنة، ونذكر بعضا منها، وترجعون إلى الباقي:

١ – أن الله – عز وجل – صرح سبحانه ونص على أنه فوق عباده في قوله في سورة الأنعام ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام:١٨] ، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ .

٢ – أنه جاء التصريح بـ ﴿من﴾ قبل الفوقية في قوله سبحانه في سورة النحل ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] .

ومن مقتضيات اللغة أن مجيء (من) قبل الظرف (فوق) تدل بظهور على أن الفوقية فوقية ذات؛ لأن فوقية الصفة أو القهر أو القدر لا يؤتى فيها بـ (من) ، فلا يقال الذهب من فوق الحديد ويعنى به صفاته، أو الملك من فوق الرعية ويعنى بها من الصفات.

إذا أتي بـ (من) في اللغة قبل الظرف (فوق) فإنها تدل على فوقية المكان أو فوقية الذات لله – عز وجل – .

يعني فوقية الذات لأي شيء، وفي الآية فوقية الذات لله – عز وجل –.

فإذا قوله سبحانه لما وصف الملائكة بأنهم [...] إلى السماء وأنهم يسبحون قال ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ يعني الذي هو فوقهم بذاته – جل جلاله – وتقدست أسماؤه.

٣ – أنه سبحانه ذكر أن الملائكة تعرج إليه فقال سبحانه ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج:٤] ، عروج الملائكة يعني صعودها، عروج الملائكة يعني ارتقاءها إلى أعلى وإلى فوق، وهذا يدل على فوقية الذات لله – عز وجل –.

٤ – أنه سبحانه ذكر ونص على أن العمل الصالح يصعد إلى الرب – عز وجل –، والأعمال الصالحة ترفع إليه سبحانه وتعالى، كما جاء في قوله تعالى في سورة فاطر ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠] ، فقوله ﴿إليه يصعد﴾ يعني لا إلى غيره لأنه سبحانه هو المتفرد بعلو الذات على خلقه جميعا.

٥ –أن الله سبحانه ذكر أنه اختص بعض عباده بأن جعلهم عنده، ومن ذلك الملائكة، فالملائكة في السماء؛ ولكن هم متنوعون أيضا في سكناهم للسماء، فجعل – عز وجل – بعضهم مختص بأنه عنده سبحانه، وهذه العندية هي عندية علو وفوقية، كما في قوله سبحانه ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠] ، ونحو ذلك من الآيات، فالعندية –عندية الملائكة– يعني كون الملائكة عند الله ﴿الذين عند ربك﴾ يقتضي أنه سبحانه شرفهم وخصهم بشيء وهو أنهم عنده؛ يعني في علاه – عز وجل –.

وكذلك ما وصف الله – عز وجل – به الشهداء في قوله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران:١٦٩] ﴿أحياء عند ربهم﴾ هم بين الخلق جسدا ولكنهم عند ربهم روحا يعني في العلا تكريما لهم وتعظيما لأجرهم وثوابهم.

٦ – ما ذكر الله – عز وجل – من تنزيله للكتاب من عنده، كقوله ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر:١] وكقوله ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [غافر:٢] ، وكقوله ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ [فصلت:٢] ، وكقوله سبحانه ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ [النحل:١٠٢] ، ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء:١٩٣] ، ونحو ذلك من الآيات.

وهذه كلها ذكرها ابن القيم تحفظونها لأنها نافعة في الحجاج ومجادلة من ينكرون علو الله – عز وجل –

.

والأنواع كثيرة يمكن أن تطلبوها، وفيها أقوى دلالة وأوضح برهان على أن الله سبحانه هو العالي فوق خلقه بذاته – عز وجل –.." (١)

"[المسألة الثالثة] :

الجمع ما بين الرجاء للمحسن والاستغفار للمسيء هذا تبع لأصل عظيم وهو الجمع في العبادة ما بين الخوف والرجاء.

فالمأمور به شرعا أن يجمع العبد ما بين خوفه من الله – عز وجل – وما بين رجائه في الله – عز وجل – ، والخوف عبادة والرجاء عبادة.

– والخوف المحمود: هو الذي يحمل على طاعة الله – عز وجل – بفعل أمره وترك المحرمات، هذا هو الخوف المحمود، وهو المذكور هنا في قوله (نخاف عليهم) .

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٢٨٣

- والخوف المذموم: هو الذي يصل إلى القنوط من رحمة الله - عز وجل - ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ [الحجر:٥٦] .

أ- أولا: الخوف:

الخوف من الله - عز وجل - عبادة مستقلة تحمل على:

١ - فعل الأمر واجتناب النهي.

٢ - عدم رؤية العمل الصالح -يعني رؤية أثره-، وكذلك على عدم رؤية العمل السيئ في أنه موقع صاحبه وأنه مهلك له.

والله - عز وجل - مدح عباده الذين يخافونه في كتابه في مواضع كثيرة، كقول الله - عز وجل - في وصف الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] ، وأمر الله - عز وجل - بالخوف في قوله ﴿فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران:١٧٥] ، وقال - عز وجل - ﴿ياعباد فاتقون﴾ [الزمر:١٦] ، وذكر خاصة عباده من المرسلين بالخوف فقال سبحانه ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ [الأنبياء:٩٠] .

فأصل الخوف من الله - عز وجل - عبادة عظيمة لا تستقيم العبادة إلا بها ولا يستقيم الإيمان إلا بالخوف. فمن لم يكن عنده خوف أصلا من الله - عز وجل - فليس بمؤمن لأنه يكون آمنا، والأمن ينقل عن ملة الإسلام، يعني الأمن التام بعدم وجود الخوف أصلا من الله - عز وجل -.

ب - ثانيا: الرجاء:

والرجاء: أمل يحدو الإنسان في أن يتحقق له ما يريد.

قال طائفة من العلماء ونقله الشارح عندكم: إن الرجاء لا يكون إلا باجتماع أشياء:

- الأول: المحبة لما رجاه، وهو يرجو أن يدخل الجنة فلابد أن يحب أن يدخل الجنة.

- الثاني: الخوف وهو أن يخاف مما يقطع عليه أمله، يخاف من الذنوب، يخاف من الكفر، يخاف من النفاق أن يقطع عليه أمله في دخول الجنة.

- الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة التي تكون سببا فيما رجا، فمن ترك تقديم الأسباب وفعل الأسباب فلا يكون راجيا.

قالوا: والفرق ما بين الرجاء والأماني:

أن الرجاء يكون معه خوف وعمل، والأماني إنما هي طمع ليس معها خوف ولا سعي في الأسباب.

والمطلوب شرعا من العبد المؤمن فيما يراه في نفسه ولإخوانه المؤمنين أن يكون راجيا، وليس بذي أماني، قال الله – عز وجل – ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به﴾ [النساء:١٢٣] . فإذا دل هذا الكلام من الطحاوي على الأصل الشرعي وهو أن العبد ينظر إلى نفسه في عبادته وفي أثر عبادته إلى أنه يجمع ما بين الخوف والرجاء، وكذلك في نظره إلى إخوانه المؤمنين.." [١]

"والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

يقرر العلامة الطحاوي رحمه الله بهذا وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الأمر العظيم، وهو الأمن من مكر الله، واليأس من روح الله – جل جلاله –، وأن اليأس هذا سبيل الكافرين، والأمن من مكر الله سبيل أهل الشهوات الذين لا يرقبون الله – عز وجل – ولا يرقبون صفات الرب – جل جلاله –.

والدليل على هذا الأصل قول الله – عز وجل – في الكافرين في اليأس ﴿إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧] ، في قول يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه ﴿يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧] ، فنهاهم عن اليأس من روح الله وعلل ذلك بأن هذا من خصال الكافرين.

وأما الأمن فالأمن من مكر الله – عز وجل – جاء النهي عنه في غير ما آية منها قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ [الأعراف:٩٩] .

والأمن من مكر الله كفر، واليأس من روح الله كفر أيضا كما قال (ينقلان عن ملة الإسلام) لأن الله – عز وجل – وصف الكافرين والخاسرين الذين استحقوا العقوبة منه والعذاب بأنهم يأمنون من مكر الله وييأسون من روح الله – عز وجل –.

وأما أهل السنة والجماعة فهم لا يأمنون بل يخافون ذنوبهم ويخافون عقوبة الله – عز وجل –، ويعلمون أن الله سبحانه خافته ملائكته وهم أقرب الأقربين وهم المقربون إليه – عز وجل – المطهرون من دنس الآثام ومن رجس الذنوب يخافون ربهم، كما قال ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] ، وكما قال ﴿إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ [سبإ:٢٣] .

واليأس أيضا من روح الله هذا صفة أهل القنوط، فأهل السنة والجماعة بين هؤلاء وهؤلاء، لا يأمنون بل يخافون الله – عز وجل – ولا ييأسون بل يرجون.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٣٧٠

وهذه راجعة إلى أنهم -يعني أهل الحق وأهل السنة- يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، كما وصف الله - عز وجل - أولياءه المقربين بقوله ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء:٥٧] ، وهذه من صفات المتقين، وكذلك في قوله في سورة الأنبياء ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ [الأنبياء:٩٠] ، فجمع لهم بين الرغب والرهب.

إذا تبين ذلك فإن الأمن والإياس ردة عن الدين كما قال (ينقلان عن ملة الإسلام) بضابط.

ومن المهم معرفة هذا الضابط؛ لأنه هو نكتة المسألة وعقدتها، وهو:

- أن الأمن يكون كفرا إذا انعدم الخوف.
- واليأس يكون كفرا إذا انعدم الرجاء.

فمن لم يكن معه خوف من الله - عز وجل - أصلا -يعني أصل الخوف غير موجود- فقد أمن فهو كافر.

ومن لم يكن معه رجاء في الله - عز وجل - أصلا فقد يئس من روح الله فهو كافر.

إذا الأمن والإياس مرتبطان؛ بل معناهما الخوف والرجاء.

الأمن لأجل عدم الخوف، واليأس لأجل عدم الرجاء.

فمن كان عنده خوف قليل ويأمن كثيرا فإنه من أهل الذنوب لا من أهل الكفر، فإن لم يكن معه خوف أصلا فإنه كافر بالله - عز وجل - كما قال هنا (ينقلان عن ملة الإسلام) .

أما أهل التوحيد، أهل الذنوب من أهل القبلة فإنهم بقدر ما عندهم من الذنوب يكون عندهم أمن من مكر الله - عز وجل -.

فإذا الأمن من مكر الله يتبعض، لا يوجد جميعا ويذهب جميعا؛ بل قد يكون في حق المعين أنه يخاف تارة ويأمن تارة، يصحو تارة ويغفل تارة.

وكذلك في اليأس من روح الله يغلب على المرء الموحد تارة أنه ييأس إذا نظر إلى ذنبه، أو نظر إلى ما يحصل في مجتمعه أو ينظر إلى ما قضى الله - عز وجل - في هذه الأرض وعلى أهلها من الشرك مثلا أو من الذنوب أو من الكبائر أو من القتل أو من الفساد فيأته اليأس، فإن غلب عليه اليأس بحيث انعدم الرجاء لنفسه أو للناس فإنه يكفر بذلك.

أما إذا وجد عنده اليأس ووجد عنده رجاء فإنه لا يخرج من الملة.

فإذا هنا ضابط الأمن والإياس الذي ينقل عن الملة هو ما ذكرته لك.

وأما الموحد المعين من أهل الإيمان فإنه بحسب قوة يقينه يجتمع فيه أنه -يعني قد يكون عنده أمن

بحسب ذنوبه-، ومن كمل الإيمان وحقق التوحيد فإنه يخاف ولا يأمن من مكر الله.

والأمن من مكر الله؛ يعني الأمن من استدراج الله - عز وجل - للعباد.." [1]

"الأدلة القرآنية على علو الله واستوائه على عرشه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

أما بعد: فيقول رحمه الله: [وإذا كان كذلك: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة: مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وعلى كل شيء، وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء.

مثل قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠] ، ﴿إني متوفيك ورافعك﴾ [آل عمران:٥٥] ، ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك:١٦] ، ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك:١٧] ، ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨] ، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤] ، ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة:٥] ، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] ، ((ثم استوى على العرش)) في ستة مواضع: [الأعراف:٥٤] ، [يونس:٣] ، [الرعد:٢] ، [الفرقان:٥٩] ، [السجدة:٤] ، [الحديد:٤] ، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] ، ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر:٣٦-٣٧] ، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت:٤٢] ، ﴿منزل من ربك﴾ [الأنعام:١١٤] إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة] .

بعد أن فرغ الشيخ رحمه الله من بيان سبب ضلال هؤلاء، كأنه أجاب على شبهة مقدرة، وهي ما يدعيه أهل الكلام من أن السلف الصالح لم يهتموا بهذا الباب، وأنهم لم يشتغلوا به، بل كان شغلهم بالعبادة وبالجهاد ونشر الدين، فلم يكونوا مهتمين بتقرير ما يتعلق بالله عز وجل وأسمائه وصفاته.

فأجاب الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة: بأن كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة؛ مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى.

وذكر هذه الصفة بالذات؛ لأن السائل سأله عن مسألة الاستواء والعلو، والاستواء من أدلة علو الله عز وجل

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٣٨٧

كما سيأتي مفصلا، وذكر الشيخ رحمه الله أن في كلام الله عز وجل ما يدل على هذه الصفة، وأنها صفة من صفاته التي أخبر بها من النصوص ما لا يكاد يحصى إلا بكلفة، فإذا كان هذا في صفة واحدة من الصفات؛ فكيف بسائر صفاته سبحانه وتعالى، وهذا فيه نقض صريح، ودليل واضح بين على أن هؤلاء قد كذبوا على السلف بقولهم: إن السلف لم يهتموا بهذا وإنهم انشغلوا عن هذا بالجهاد والدعوة والعبادة.

وليس مقصود الشيخ في هذا الموضع تقرير صفة العلو بذاتها؛ لأنه سيأتي لها كلام مستقل، وإنما مراده أن يبين أنه جاء في هذه الصفة من الآيات ما سمعنا، ومن الأحاديث ما سيذكر، ومن النقول عن السلف أيضا ما سيذكر، وهذا يبين كذبهم وضلالهم.." (١)

"أدلة العلو من الكتاب والسنة وتواترها

وقوله: (ما أخبر الله جل وعلا به في كتابه) الأخبار في كتاب الله جل وعلا في هذا كثيرة، كقوله جل وعلا: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء﴾ [البقرة:٢٩] ، وقوله جل وعلا: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠] ، وقوله جل وعلا: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] آيات كثيرة جدا في هذا، وقصده الإخبار بعلو الله جل وعلا، وكذلك ما جاء من لوازم ذلك من كون الكتاب نزل من عند الله جل وعلا، ومعلوم أن النزول لا يكون إلا من العلو، وهذا كثير جدا في كتاب الله.

وقوله: (وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم) يعني: أن الأخبار في علو الله جل وعلا وأنه مستو على عرشه متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتواتر كما هو معروف نوعان: تواتر لفظي: وهو التتابع في اللغة، بأن يجتمع عليه عدد كثير يستحيل عليهم الكذب أو الخطأ يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن التواتر لابد أن يستند إلى شيء محسوس، إما مشاهد أو مسموع، يسمعونه منه صلى الله عليه وسلم، ثم ينقله عنهم عدد كبير أيضا، وهكذا إلى أن يصل إلى منتهاه، وهذا قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم متواترا.

والقسم الثاني: تواتر معنوي: والتواتر في المعنى كثير، فكثير من الأمور التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم متواترة في المعنى، وهذا من الأدلة الضرورية القطعية، إذا وجد فهو دليل قطعي ضروري لا يجوز مخالفته، ولا يعذر الإنسان بمخالفته.

وقوله: (أجمع عليه سلف الأمة) ، السلف: هو الماضي الذي يكون فيه القدوة، وسلف الأمة المقصود بهم

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٣/٤

الصحابة وأتباعهم، وهم أجمعوا على هذا، ولا يمكن أن يأتي عنهم شيء يخالف ذلك، لو تكلف الإنسان أن يبحث أن واحدا من الصحابة أو من التابعين جاء عنه حرف واحد بأن الله جل وعلا ليس فوق خلقه مستويا على عرشه ما استطاع إلا أن يكون شيئا مكذوبا، والكذب معلوم أنه يوجد في طوائف من الناس ممن يكذب لغرض معين، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، حتى إنك تجد الآن كتبا كثيرة كبيرة في مجلدات وكلها مملوءة بالكذب، تسمى: كتب الموضوعات التي جمعها العلماء وبينوا أنها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحاديث كثيرة نسبها أناس إليه وهي كذب، ومعلوم أن الكذب على الله جل وعلا وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم من أعظم الكذب.

قوله: (إنه سبحانه فوق سماواته على عرشه) ، أما في الكتاب فالأمثلة كثيرة، وأما في السنة فهي كذلك يصعب حصرها، بل لا يستطاع؛ لأنها كثيرة جدا؛ لأنها مثلما قال: (متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم) ، ولكن من أظهر ذلك حديث المعراج حينما عرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء، حتى ارتفع فوق السماء السابعة وانتهى إلى سدرة المنتهى، فكلمه الله بدون واسطة وأمره بخمسين صلاة، أمره بها وأمته، (فنزل إلى السماء السابعة فلقي موسى عليه السلام فسأله ماذا فرض عليك؟ قال: خمسين صلاة، فأشار عليه أن يرجع إلى ربه جل وعلا ويسأله التخفيف، فإن أمته لا تستطيع ذلك، فرجع بعدما استشار جبريل، فسأل التخفيف، فحط عنه عشرا، ثم هبط إلى موسى فأمره بالرجوع) وهكذا صار التردد بين موسى وبين المكان الذي كلمه الله جل وعلا فيه، وهو يخاطبه جل وعلا، إلى أن صارت خمس صلوات، عند ذلك قال له موسى عليه السلام: (ارجع إلى ربك واسأله التخفيف، فإني بلوت بني إسرائيل على أقل من ذلك فلم يستطيعوه، وهم أقوى أجساما من أمتك، فقال صلى الله عليه وسلم: قد ترددت حتى استحييت من ربي) .

وكذلك منها: قوله صلى الله عليه وسلم: (ربنا الذي في السماء) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أين الله؟ -يسأل الجارية- فقالت: في السماء، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة) ، في أحاديث كثيرة جدا، صريحة واضحة، لا خفاء فيها.." (١)

"ومن ذلك التصريح بالفوقية مقرونة بمن ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون) (٥٠) ﴾ (١) ومنها -أيضا- التصريح بأنه في السماء، وهذا في القرآن في موضعين، كما هنا قال -تعالى-: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور (١٦) أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ١٤/٤

فستعلمون كيف نذير (١٧) ﴾ (٢) .

فالله موصوف بأنه في السماء، كل هذه تدل على علوه تعالى.

ومنها إخباره -تعالى- عن فرعون بأنه قال لهامان: ﴿ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى﴾ (٣) فهذه -أيضا- تدل على علوه -تعالى- على خلقه، ووجه ذلك أن فرعون تظاهر بأنه يطلب إله موسى في السماء، مما يدل على أن موسى قد أخبره بأن إلهه في السماء، فذهب الطاغية يقول لوزيره هامان: ﴿ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى﴾ (٤) يعني: الذي يزعم أنه في السماء، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على أن الله في السماء، لأن فرعون تظاهر بأنه يطلب إله موسى في السماء؛ بناء على إخباره؛ بناء على أن موسى أخبر عن ربه، وهو كذلك بأنه في السماء.

---

(١) - سورة النحل آية: ٥٠.

(٢) - سورة الملك آية: ١٦-١٧.

(٣) - سورة غافر آية: ٣٦-٣٧.

(٤) - سورة غافر آية: ٣٦-٣٧.." [1]

"قال العلماء: إن أدلة العلو أنواع كثيرة أنواع: منها التصريح بعلوه تعالى على خلقه ﴿وهو العلي العظيم (٢٥٥) ﴾ (١) ومنها التصريح بالفوقية المطلقة، ومنها التصريح بالفوقية المقيدة بمن ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ (٢) ومنها التصريح بأنه في السماء، ومنها التصريح بأنه مستو على العرش، ومنها التصريح برفع بعض المخلوقات إليه ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (٣) ومنها التصريح بعروج بعض المخلوقات إليه ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم﴾ (٤) .

وأهل السنة والجماعة يثبتون هاتين الصفتين له تعالى، فيثبتون أنه العلي الأعلى، أنه فوق عباده بذاته فوق جميع المخلوقات، ويثبتون بأنه بذاته فوق العرش مستو على العرش، استواء يليق به ليس كاستواء المخلوق على ظهور الفلك والأنعام، كما قال تعالى: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ (٥) وقال: ﴿على الجودي وقيل﴾ (٦) .

لا ليس استواؤه كاستواء المخلوق، استواؤه على العرش مع كمال غناه عن العرش ليس معتمدا على العرش،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للبراك عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٣٣

وليس محتاجا إلى العرش، وهو العلي، والعلو والفوقية يقسمه العلماء ثلاثة أنواع: علو القدر وعلو القهر، وعلو الذات، والخلاف بين أهل السنة والمعطلة في علو الذات.

---

(١) – سورة البقرة آية: ٢٥٥.

(٢) – سورة النحل آية: ٥٠.

(٣) – سورة النساء آية: ١٥٨.

(٤) – سورة المعارج آية: ٤.

(٥) – سورة الزخرف آية: ١٣.

(٦) – سورة هود آية: ٤٤.." [١]

"بعد أن فرغ المصنف ـ رحمه الله ـ من ذكر النوع الأول من الأدلة على علو الله، وهو: التصريح بالاستواء على العرش شرع بذكر النوع الثاني: وهو التصريح بالفوقية.

وقد جاء هذا النوع من الأدلة في القرآن والسنة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ ١، وقال سبحانه: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ٢.

وحديث أبي هريرة الذي أورده المصنف فيه التصريح بفوقية الله تبارك وتعالى على عرشه، والشاهد فيه قوله: وهو" عنده فوق العرش " عنده أي عند الله فوق العرش.

والحديث مشتمل ـ إضافة إلى دلالته على فوقية الله تبارك وتعالى على خلقه ـ على ذكر صفتين، وهما الرحمة والغضب، في قوله:"إن رحمتي سبقت ـ وفي رواية غلبت ـ غضبي".

كما أنه أحد الأدلة التي استدل بها أهل العلم على التفاضل بين صفات الله تبارك وتعالى، فقد بين سبحانه أن رحمته سبقت غضبه وغلبته، وهو دليل على أن الرحمة أفضل.

ومن الأدلة ـ أيضا ـ على التفاضل: قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه في سجوده: " اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك " ٣ والمستعاذ به أفضل من المستعاذ منه، والكل صفة لله تبارك وتعالى ٤.

وروى العباس بن عبد المطلب "رضي الله عنه" أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للبراك عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٢٨٦

١ الآية ٥٠ من سورة النحل.

٢ الآية ١٨ من سورة الأنعام.

٣ أخرجه مسلم رقم ١٠٩٠

٤ لأخينا الشيخ محمد بن عبد الرحمن أبو سيف حفظه الله رسالة قيمة جدا بعنوان: مباحث المفاضلة في العقيدة تناول فيها هذا الموضوع وبسط الكلام فيه.." (١)

"في الكتاب والسنة ذكر صفات كثيرة لله تعالى، وأجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم على إثباتها له تعالى على الوجه اللائق بجلاله.

ومن هذه الصفات:

١- علو الله تعالى. وينقسم إلى قسمين: علو ذات، وعلو صفات.

فأما علو الصفات فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها.

وأما علو الذات فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك: الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة.

فأما الكتاب والسنة فهما مملوءان بما هو نص، أو ظاهر في إثبات علو الله تعالى بذاته فوق خلقه، وقد تنوعت دلالتهما على ذلك إلى أنواع كثيرة، منها:

١- التصريح بفوقيته سبحانه على خلقه، مقرونا بأداة "من"المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] .

٢- التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو: ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وثبت في الحديث أنه يشرع للعبد أن يقول في حال سجوده – وهو." (٢)

"وفي سنن أبي داود عن عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت: (كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات، فإذا حازونا أسدلت إحدانا جلبابها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه) فنقول لهم: كيف تتعلق بحديث أسماء وحديث الخثعمية وتتركون هذه النصوص المحكمة، عليك أن تفسر حديث الخثعمية بما يتناسب مع هذه النصوص، ثم حديث أسماء هذا ضعيف، وفيه علل كثيرة؛ فهو منقطع؛ لأنه من رواية خالد بن دريك عن عائشة، وخالد بن دريك لم يسمع عن عائشة، ثم هو منكر..

---

(١) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٧٨

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/١٠٣

المتن منكر لا يمكن أن تكون أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة وامرأة الزبير وامرأة عاقلة دينة تدخل على النبي صلى الله عليه وسلم في ثياب رقاق، هذا لا يمكن تصف البشرة فهو فيه علل متعددة كثيرة.

ومن رواية أيضا سعيد بن بشير وهو ضعيف أيضا، ولو صح جدلا لكان محمولا على ما قبل الحجاب، فالمقصود من هذا أن أهل الزيغ يتعلقون بالنصوص المتشابهة، ويتركون النصوص المحكمة، وأما الراسخون في العلم فإنهم يأخذون بالنصوص المحكمة، ويرجعون إليها النصوص المتشابهة.

ومن ذلك أيضا في القرآن الكريم؛ لأهمية هذا المثال أن نصوص العلو محكمة يأتي أهل الزيغ، ويتعلقون بنصوص المعية ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ ﴿إنني معكما أسمع وأرى (٤٦) ﴾ .

يأتي أهل البدع وأهل الزيغ ونفاة الصفات فيقولوا: هذا دليل على أن الله مختلط بالمخلوقات، وأن الله معهم، نقول لهم: أنتم أهل الزيغ لماذا تركتم النصوص المحكمة نصوص العلو والمعية ﴿ثم استوى على العرش﴾ في سبعة مواضع ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ .

حتى إن نصوص العلو تزيد على ثلاث آلاف أفراد، وعلى ثلاث آلاف دليل كلها صريحة في أن الله فوق السماوات، فوق عرشه، مستو على عرشه، بائن من خلقه، ثم تتعلق بنصوص المعية، المعية لا تفيد الاختلاط في لغة العرب أقول: لا تزال العرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، هذا معروف في لغة العرب، والقمر فوقك، وتقول: فلان معه كذا، وقد يكون فوق رأسه.

فالمقصود أن طريقة أهل الزيغ يتعلقون بالنصوص المتشابهة، ويتركون النصوص المحكمة، أما طريقة الراسخين في العلم فإنهم يفسرون يأخذون بالنصوص المحكمة ويرجعون إليها النصوص المتشابهة ويفسرونها بها، فيزول الإشكال، وهكذا كلام أهل العلم فإذا رأيت كلاما لعالم اشتبه عليك مشتبه ترجع إلى كلامه الواضح تفسر به كما سيأتي في بعض كلام أبي جعفر الطحاوي، وهذه العقيدة الطحاوية كما سبق تلقاها العلماء بالقبول، وشرحت بشروح متعددة، لكن هذه الشروح لا تتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة.

وأحسن شروح لها هو شرح العقيدة المعروفة الآن التي منتشر المطبوع الذي ألفه علي بن علي بن أبي العز الحنفي المولود سنة سبعمائة وواحد وثلاثين، والمتوفى سنة سبعمائة واثنين وتسعين، هذا أفضل الشروح وأحسنها، قد ذكر -رحمه الله- في مقدمتها: أن العقيدة الطحاوية شرحت شروحا متعددة إلا أنها لا تتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة، فأراد أن يشرحها شرحا يتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة.

وطريقتنا -إن شاء الله- أننا لا نقرأ الشرح، وإنما نشرح المتن شرحا يكون متوسطا، أو أقل من المتوسط يحصل به الفائدة، والمقصود -إن شاء الله- وإلا لو أراد الإنسان أن يتوسع يحتاج إلى وقت طويل، لكن سيكون -إن شاء الله- الشرح شرحا مناسبا، يكون فيه بيان معتقد أهل السنة والجماعة، وبيان ما يخالفه من أهل البدع، ليس طويلا فيمل وليس قصيرا مخلا، وإنما يكون -إن شاء الله- متوسطا، ونقرأ جملة جملة، ثم نشرح.." (١)

"ج: إذا قيل: السلف الصالح المراد بهم الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان لكن أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية وهم الطائفة المنصورة أما إذا قيل: السلفية هذه السلفية أو السلف فقط ما من خلف إلا وله سلف لكن إذا قيد السلف بالسلف الصالح، فالمراد بهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ ولهذا بعض الناس يشكل عليه الجماعات السلفية وغير السلفية ينظر هذه السلفية إذا كانوا ملتزمين بما عليه السلف الصالح بما عليه الصحابة والتابعون بما عليه أهل السنة والجماعة بما عليه الفرقة الناجية فهم على الحق؛ لأن النبي قال لما بين الفرق وأن هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل: من هي يا رسول الله قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) هذا هو الميزان، الميزان هو ما كان عليه الرسول --صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام السلف الصالح وهم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية، ومن خالفهم فليس منهم ولو سمى نفسه بالسلفية أو سمى نفسه باسم آخر.

أقوال المذاهب في رؤية الله في الآخرة

والواجب على الإنسان أن يلزم الحق وأن يبحث عن ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيعمل به ويعمل بما قرره أهل السنة والجماعة من الحق المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالرؤية -رؤية الله في الآخرة- مسألة عظيمة من أشرف مسائل أصول الدين اختلف الناس في رؤية الله في الآخرة على ثلاثة مذاهب مشهورة:

المذهب الأول: مذهب أهل السنة والجماعة وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن تبعهم من الأئمة أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانا مواجهة لهم، وهذا مذهب الصحابة والتابعين والأئمة وتابعوهم وأئمة الدين كالأئمة الأربعة -أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد- وسفيان الثوري وأبي عمرو والأوزاعي والليث بن سعد وأبي يوسف وغيرهم من الأئمة والعلماء وكذلك أيضا سائر الفقهاء وأهل الحديث كلهم على هذا الاعتقاد، وكذلك بعض الطوائف التي تنتسب إلى الحديث كالكرامية والسالمية، كلهم يثبتون أن الله يرى

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٤

في الآخرة بالأبصار عيانا مواجهة، فهم يثبتون رؤية الله بالإبصار ويثبتون أيضا الفوقية، وأنهم يرون **ربهم من فوقهم** فهم يثبتون الأمرين يثبتون الفوقية والعلو ويثبتون الرؤية.

المذهب الثاني: نفي الرؤية في الآخرة يقولون: الله لا يرى في الآخرة لا يرى بالأبصار، وليس له جهة وليس له مكان فهم نفوا الرؤية ونفوا الفوقية، وهذا مذهب الجهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية، فإن الإمامية لهم قولان: القدماء من الأمامية وهم الرافضة يثبتون الرؤية، وجمهور المتأخرين ينفون الرؤية، فجمهور المتقدمين يثبتون الرؤية وجمهور المتأخرين ينفونها فيكون نفي الرؤية هو مذهب الجهمية والمعتزلة والخوارج، وجمهور المتأخرين من الإمامية ويسمون الإمامية؛ رأنهم يقولون: بإمامة اثني عشر إماما فهم ينفون الأمرين ينفون الرؤية وينفون الفوقية والعلو، فيقولون: إن الله ليس له مكان فليس فوق المخلوقات بل هو في كل مكان – نسأل الله السلامة والعافية– ويقولون: إن الله لا يرى في الآخرة ينفون الأمرين عكس مذهب أهل السنة يثبتون الأمرين يثبتون الفوقية والعلو والرؤية بالأبصار فهو يرى بالأبصار عيانا في الآخرة وهؤلاء يقولون: لا يرى وليس له مكان ليس فوق ولا يرى.

المذهب الثالث: مذهب بين مذهب أهل السنة وبين مذهب الجهمية يقولون: إن الله يرى لا في جهة أثبتوا الرؤية ونفوا الفوقية والعلو فقالوا: يرى لا في جهة وهذا مذهب طائفة من الكلابية والأشاعرة مذهب الأشاعرة أثبتوا الرؤية ونفوا الفوقية والعلو فهم مذبذبون بين هؤلاء وبين هؤلاء فهم أخذوا أثبتوا الرؤية فكانوا مع أهل السنة ونفوا العلو والفوقية فكانوا مع المعتزلة وتجدهم دائما في الغالب أن مذهب الأشاعرة مذبذب بين هؤلاء وبين هؤلاء، ولهذا يسميهم بعض العلماء خناثى لا أنثى ولا ذكر فهم في مبحث الرؤية كانوا مع أهل السنة في إثبات الرؤية وهم مع المعتزلة في نفي الفوقية والعلو، وكذلك في مبحث الكلام كما سبق يقولون: الكلام لفظ ومعنى المعنى حقيقة كانوا مع أهل السنة في أن المعنى حق، وكانوا مع المعتزلة في أن اللفظ مخلوق، فهم بين هؤلاء وبين هؤلاء فتكون المسألة فيها ثلاثة مذاهب:

أهل السنة يثبتون الرؤية والفوقية، الجهمية والمعتزلة، والخوارج وجمهور الإمامية المتأخرين ينفون الرؤية والفوقية، الكلابية والأشاعرة يثبتون الرؤية وينفون الفوقية والعلو. أدلة أهل السنة في مسألة إثبات الرؤية

وأهل السنة اعتصموا بالكتاب والسنة، واستدلوا بالنصوص الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واستدلوا أيضا بالإجماع والعقل الصريح؛ إذن أدلتهم استدلوا بالكتاب واستدلوا بالسنة واستدلوا بالإجماع واستدلوا بالعقل الصريح وأدلتهم كثيرة.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/١١٥

"مذاهب الناس في العلو مذاهب الناس في العلو للناس في العلو أربعة مذاهب.
المذهب الأول: افترق الناس في علو الله في العلو على أربعة أقوال:
القول الأول: مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء، مذهبهم أن الله فوق سمواته، مستوى على عرشه، بائن من خلقه أن الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه.
المذهب الثاني مذهب معطلة الجهمية ونفاتهم، مذهب معطلة الجهمية ونفاتهم أن الله ليس هو داخل العالم ولا خارجه، ولا هو مباين له ولا محايد له ولا فوقه ولا تحته، فينفون عنه الوصفين المتقابلين الذين لا يخلو موجود عن أحدهما، وهذا يقوله أكثر المعتزلة ومن وافقهم من متأخري الأشاعرة، إذا ماذا يكون، يقولون: الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايد له، يعني: لا منفصل ولا منقطع ولا فوقه ولا تحته، ماذا يكون أشد من العدم يكون ممتنعا أعوذ بالله.
المذهب الثالث: مذهب حلولية الجهمية الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان كما يقوله النجاري، فعلى هذا الجهمية لهم مذهبان: مذهب النفاة ومذهب الحلولية، النفاة ينفون الوصفين، والحلولية يقولون: حال في كل مكان.
المذهب الرابع مذهب طوائف من أهل الكلام والتصوف، أن الله فوق العرش، وهو في كل مكان، فهم يقولون: هو بذاته فوق العرش، وهو بذاته في كل مكان، وهذا موجود في كلام طائفة من السالمية والصوفية.
أدلة السلف والأئمة وأهل السنة على علو الله على خلقه بذاته أولا عرفنا أن العلو ثلاثة أقسام أو ثلاثة أنواع:
النوع الأول: علو الله بالذات، والنوع الثاني: علو القدر والشأن، والنوع الثالث: علو القهر والسلطان، نوعان وافق فيهما أهل البدع، ونوع أنكروه ما هما النوعان اللذان وافقوا؟ علو القدر وعلو القهر، قالوا: نحن نوافق أن الله علو شأنه عال وقهره عال، أما كونه هو بذاته فوق، فهذا نخالفه، ولهذا أهل السنة إنما يستدلون على هذا النوع، فالسلف يستدلون أهل السنة والأئمة على أن علو الله على خلقه بذاته، استدلوا بالنقل الصحيح والعقل الصريح والفطرة السليمة.
أما النقل الصحيح: فمن وجوه كثيرة الأدلة النقلية، يقول العلماء: أدلة العلو تزيد على ثلاثة آلاف دليل تزيد على ثلاثة آلاف دليل، لكن الآن نريد أن نأتي بقواعد يندرج تحتها أفراد كثيرة، نحن نأتي بنوع نوع من الأدلة أنواع أنواع الأدلة، ولكن كل نوع تحته أفراد:
النوع الأول: التصريح والإخبار بأن الله استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه، كلها جاءت بلفظ على، وهي تدل على العلو والارتفاع، وهذا نص لا يقبل الاحتمال ولا الاشتباه في المعنى، هذا نوع كم

تحته من أفراد سبعة أدلة سبعة، كلها ثم استوى على العرش، نحن الآن نأتي بقواعد أنواع ما نستطيع أن نحصر الأدلة، أكثر من ثلاثة آلاف، لكن نستطيع أن نأتي بالنوع الذي يدخل تحته أفراد.

النوع الثاني: التصريح بلفظ العلو، وقد تكرر في الكتاب وصف الله بالعلي والأعلى، كقوله: ﴿وهو العلي العظيم (٢٥٥) ﴾ ﴿سبح اسم ربك الأعلى (١) ﴾ وهذا يدل على ثبوت العلو لله بجميع أنواعه علو الذات وعلو القهر وعلو القدر علوالذات وعلو القدر وعلو القهر.

الثالث: التصريح بالفوقية لله تعالى تارة مقرونة بمن، كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وتارة غير مقرونة، كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ فالمقرون بمن نص في معناه لا يقبل التأويل وغير المقرون ظاهر في المراد، ولا يقبل تأويله ممن ادعاه؛ لأن الأصل الحقيقة ودعوى المجاز لا تقبل بغير دليل، ولا دليل هنا.

هذه كلها أنواع ليس الأصل الحقيقة، ودعوى المجاز لا تقبل بغير دليل ولا دليل هنا.

الرابع: هذه كلها أنواع ليس أفراد، التصريح بالعروج إليه، كقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ والعروج معناه الصعود إلى أعلى.

الخامس: التصريح بالصعود إليه، كقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ والصعود إنما يكون إلى أعلى.

السادس: التصريح برفع بعض المخلوقات إليه، كقوله في المسيح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ وقوله في العمل الصالح: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ وثبت في الأحاديث والآثار ارتفاع دعوات المضطرين والمظلومين إلى الله، وذلك كله صريح في علو الله وفوقيته.

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (١) ﴾ ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) ﴾ ﴿نزل به الروح الأمين (١٩٣) ﴾ ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ والنزول إنما يكون ممن هو فوق، وممن هو عال، وهذا يدل على علو الله وارتفاعه.." (١)

"وفي لفظ: " فإن الله أمامه " بعض أهل الزيغ تعلق بالمتشابه قالوا: كيف إن الله قبل وجهه؟ إن الله أمامنا في الجدار هؤلاء أهل الزيغ نقول لهم: هذا متشابه ردوه إلى المحكم ما هو المحكم؟ النصوص الكثيرة التي دلت على أن الله في العلو أكثر من ثلاثة آلاف دليل منها قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ (١) في سبعة مواضع، وقوله: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور (١٦) ﴾ (٢)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٢٠١

وقوله: ﴿وهو العلي العظيم (٢٥٥) ﴾ (٣) ﴿سبح اسم ربك الأعلى (١) ﴾ (٤) ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ (٥) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (٦) ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (٧) ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (٨) .

هذه نصوص كثيرة تزيد أفرادها كما ذكر العلماء على ثلاثة آلاف دليل كلها صريحة واضحة في أن الله فوق العرش، فوق الخلق، فوق سماواته فوق عرشه بعد أن تنتهي المخلوقات التي سقفها عرش الرحمن الله فوق العرش، فهذا الحديث نرده إلى النصوص الواضحة "إن الله قبل وجهه" يعني: هو فوق العرش، ومن كان فوقك فهو أمامك، ولا منافاة فالله تعالى قبل المصلي، وهو فوق العرش، ومن كان فوقك فهو أمامك، وبهذا نعمل بالنصوص، لكن أهل الزيغ يقولون: هذا دليل على أن الله مختلط بالخلق، وأن الله مع الخلق -نعوذ بالله-.

---

(١) - سورة الأعراف آية: ٥٤.

(٢) - سورة الملك آية: ١٦.

(٣) - سورة البقرة آية: ٢٥٥.

(٤) - سورة الأعلى آية: ١.

(٥) - سورة النحل آية: ٥٠.

(٦) - سورة الأنعام آية: ١٨.

(٧) - سورة فاطر آية: ١٠.

(٨) - سورة المعارج آية: ٤.." [١]

"معنى الكرسي

وقوله: (الكرسي حق): هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [البقرة:٢٥٥] وأجود ما جاء في تفسيره قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (الكرسي موضع القدمين لله سبحانه وتعالى)، وهذا الجواب المأثور عن ابن عباس هو الذي عليه عامة أهل السنة والحديث؛ فإنهم يذكرون في تفسير الكرسي ما نقل عن ابن عباس وأصحابه، وهو المأثور عن جمهور السلف.

وقوله: (محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه).

---

(١) تعليقات على شرح لمعة الاعتقاد للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣٠

أي: أنه سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، وأنه فوق كل شيء كما جاء صريحا في كتاب الله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠]، وفي قوله سبحانه: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه، ومن معاني استوائه: علوه عليه، فإذا كان عليا على عرشه فإن غير العرش من المخلوقات من باب أولى.." (١)

"الأدلة من الكتاب

[وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠] ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران:٥٥] ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ [الملك:١٦ - ١٧] ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء:١٥٨] ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤] ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة:٥] ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل:٥٠] ((ثم استوى على العرش)) في ستة مواضع، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر:٣٦ - ٣٧]].

ذكر طائفة من السلف أن أول من صرح بإنكار العلو هو فرعون، والآية صريحة أن موسى كان يخاطب فرعون وقومه أن الله في السماء، ولهذا قال فرعون: ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ [غافر:٣٧] ولو لم يكن موسى عليه الصلاة والسلام يخاطبه بأن الله في السماء لما تقصد هذا المقصد.

وهذه الآيات التي يستدل بها المصنف صريحة في الدلالة على أن الله موصوف بالعلو، ولكن هنا ينبه في طريقة الاستدلال عند أهل السنة أنهم يسلكون أنواعا من الأدلة، تحت كل نوع أفراد: الآيات أو الأحاديث التي ذكرت الفوق ..

الآيات التي ذكرت أن الله في السماء ..

الآيات التي ذكرت الصعود أو العروج ..

وهلم جرا.

ومثل هذا في مسألة كلام الله، فكل آية في القرآن فيها نداء: (يا أيها الذين آمنوا) ..

(يا أيها الناس) هي دليل على إثبات كلام الله؛ لأن النداء يكون من المتكلم، والقرآن كلام الله.

---

(١) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٤/١٥

كذلك كل آية أضيف فيها القول إليه سبحانه هي دليل على إثبات الكلام.
كذلك كل آية فيها إنباء من الله هي دليل على إثبات صفة الكلام.
كل آية فيها أمر من الله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء:٥٨].
كل آية فيها نهي ..
وهلم جرا.
ولهذا نرى بعض أهل السنة يقول –مثلا– إن دلائل الكلام في الكتاب والسنة –أي: إثبات كلام الله– تقارب الألف دليل فهم يحصلونها بهذه الطريقة: أنه أنواع، وتحت كل نوع أفراد.
وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعي من المحققين: إن دلائل العلو في الكتاب والسنة تبلغ نحو الثلاثمائة دليل أي: على هذه الطريقة، وهي طريقة الاستدلال بمسألة النوع وتحت كل نوع أفراد.
وهذا مثله مثل مسألة الإيمان؛ فإن أصناف الأدلة الدالة على أن الإيمان قول وعمل متنوعة في الكتاب والسنة؛ ولهذا أوصل بعض الأئمة دلائل مسألة الإيمان إلى نحو الألف دليل على هذه الطريقة؛ ومثله ما يتعلق بالصفات الفعلية، فقد ذكر شيخ الإسلام أن في القرآن مائة وبضع عشرة آية دالة على إثبات الصفات الفعلية.
[﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت:٤٢] ﴿منزل من ربك بالحق﴾ [الأنعام:١١٤] إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة].
(منزل من ربك) وهذا دليل على علو الله؛ لأن النزول يكون من أعلى ..
وهكذا.." (١)

"الاشتراك أو التواطؤ في اللفظ لا يستلزم التطابق في المعنى في سائر السياقات
[فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق كما في قوله: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ [مريم:٩٣] وتارة يعنى به العابد فيخص ثم يختلفون، فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع].
مقصود المصنف من هذه الأمثلة: أن الاشتراك أو التواطؤ في اللفظ بقدر لا يستلزم التطابق في المعنى في سائر السياقات، وهذا ما سماه البعض الألفاظ المشككة، وهو ما يكون متواطئا بقدر ولكنه يكون في بعض المعاني والسياقات أحق، كما تقول: بياض الثلج وبياض الفرس، فنسبة البياض في الثلج ليست

---

(١) شرح الحموية – يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٧/٥

كبياض الفرس.

فاللفظ في الموردين لفظ مشكك، هكذا يقولون من جهة أنه في الثلج أتم ثبوتا، وقد رجح المصنف أن حقيقة المشكك نوع من المتواطئ.

[فمثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس مشككة، لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة، إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلا، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، لا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازا؛ علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف].

أي: أن القرآن على ما هو عليه من غير تأويل في مسألة العلو ومسألة المعية، وقد تقدم أن الفاضل في المناظرة أنه إذا كان النافي ينفي شيئا من الصفات ألا يسلم له أن يستعمل الألفاظ المجملة المشتركة، فمن ينفي العلو ويقول: إن الله ليس في جهة.

يقال له: أخبرنا عن العلو والفوقية؟ فإن قال: إن الله ليس عليا ولا فوق العالم فإنه يكون أتى على المخالفة الصريحة لما في الكتاب والسنة؛ لأن الله قال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] وقال في كتابه: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل:٥٠] وأمثال ذلك؛ ولهذا بعض المتأخرين ممن قصدوا مذهب أهل السنة جمعوا بين إثبات اللفظ الشرعي الثابت فقالوا: إن الله هو العلي الأعلى، وأنه فوق خلقه بائن عنهم، وأنه ليس في جهة.

فقولهم: ليس في جهة، بقية بقيت عليهم من مذهب المخالفين، وحينما نقول: إنها بقية بقيت عليهم من مذهب المخالفين فإننا لا نقصد أن الحق أن يقولوا: إن الله في جهة؛ لأن هذا الحرف باستعمال المستعملين له صار لفظا مجملا، وإنما يلتزم اللفظ الشرعي.

أما لفظ الجهة فهو لفظ مجمل حادث يفصل في معناه: فإن كان معنى صوابا قبل، وإن كان غير صواب رد، واللفظ من حيث هو يتوقف فيه، فلا يطلق إثباتا ولا نفيا.." (١)

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١٢/١٧

"ومعناه: ابتداء الظل على طلوع الشمس من خلف الأشخاص، ثم تفيؤه من اليمين والشمال على ارتفاعها إلى الأمام على الغروب.

(وهم داخرون)

صاغرون خاضعون بما فيه من التسخير ودلائل التدبير،

أو على أن مثل ذلك لو كان من حي مختار لكان عن خضوع وصغار.

(يخافون ربهم من فوقهم)

أي: عذابه [وقضاءه].

وقيل: معناه أن قدرته فوق ما أعارهم من القوى والقدر، على مجاز: (وهو القاهر فوق عباده).

(وله الدين)

أي: الطاعة.

(واصبا)." (١)

"كذا نسبه الماوردي لذي الرمة، ونسبه الجوهري للفرزدق وقال: المخيس اسم سجن كان بالعراق، أي موضع التذلل، وقال «١»:

أما تراني كيسا مكيسا ... بنيت بعد نافع مخيسا

ووحد اليمين في قوله:" عن اليمين" وجمع الشمال، لأن معنى اليمين وإن كان واحدا الجمع. ولو قال «٢»: عن الايمان والشمائل، واليمين والشمال، أو اليمين والشمال لجاز، لأن المعنى للكثرة. وأيضا فمن شأن العرب إذا اجتمعت علامتان في شي واحد أن تجمع إحداهما وتفرد الأخرى، كقوله تعالى:" ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم «٣» وكقوله تعالى:" ويخرجهم من الظلمات إلى النور «٤» ولو قال على أسماعهم وإلى الأنوار لجاز. ويجوز أن يكون رد اليمين على لفظ" ما" والشمال على معناه. ومثل هذا في الكلام كثير. قال الشاعر:

الواردون وتيم في ذرا سبإ ... قد عض أعناقهم جلد الجواميس «٥»

ولم يقل جلود. وقيل: وحد اليمين لام الشمس إذا طلعت وأنت متوجه إلى القبلة انبسط الظل عن اليمين ثم في حال يميل إلى جهة الشمال ثم حالات «٦»، فسماها شمائل.

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢/ ٨٠١

[سورة النحل (١٦): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

قوله تعالى: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة أي من كل ما يدب على الأرض. (والملائكة) يعني الملائكة الذين في الأرض، وإنما أفردهم بالذكر لاختصاصهم

---

(١). القائل هو سيدنا على رضى الله عنه. ونافع: سجن بالكوفة كان غير مستوثق البناء وكان من قصب، وكان المحبوسون يهربون منه. وقيل: إنه نقب وأفلت منه المحبوسون، فهدمه على رضى الله عنه وبنى المخيس لهم من مدر.

(٢). أي قائل في غير القرآن. [.....]

(٣). راجع ج ١ ص ١٨٩.

(٤). راجع ج ٦ ص ١١٧.

(٥). البيت لجرير. ورواية ديوانه:

تدعوك تيم وتيم في قرى سبإ

إلخ

(٦). هكذا وردت هذه الجملة في الأصول. ولعل صوابها: لأن الشمس إذا طلعت وأنت متوجه إلى القبلة انبسط الظل عن اليمين في حال، ثم يميل إلى جهة الشمال في حالات، فسماها شمائل. والذي في البحر لابي حيان:" وقيل: وحد اليمين وجمع الشمائل لان الابتداء عن اليمين، ثم ينقبض شيئا فشيئا حالا بعد حال، فهو بمعنى الجمع، فصدق على كل حال لفظة الشمال فتعدد الحالات".." [١]

"بشرف المنزلة، فميزهم من صفة الدبيب بالذكر وإن دخلوا فيها، كقوله:" فيهما فاكهة ونخل ورمان «١» ". وقيل: لخروجهم من جملة ما يدب لما جعل الله لهم من الأجنحة، فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا. وقيل: أراد" ولله يسجد من في السماوات" من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب،" وما في الأرض من دابة" وتسجد ملائكة الأرض. (وهم لا يستكبرون) عن عبادة ربهم. وهذا رد على قريش

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٢/١٠

حيث زعموا أن الملائكة بنات الله. ومعنى (يخافون ربهم من فوقهم) أي عقاب ربهم وعذابه، لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء. وقيل: المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم، ففي الكلام حذف. وقيل: معنى" يخافون ربهم من فوقهم" يعني الملائكة، يخافون ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة ومع ذلك يخافون، فلأن يخاف من دونهم أولى، دليل هذا القول قوله تعالى: (ويفعلون ما يؤمرون) يعنى الملائكة.

[سورة النحل (١٦): آية ٥١]

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١)

قوله تعالى: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) قيل: المعنى لا تتخذوا اثنين إلهين. وقيل: جاء قوله: «اثنين» توكيدا. ولما كان الإله الحق لا يتعدد وأن كل من يتعدد فليس بإله، اقتصر على ذكر الاثنين، لأنه قصد نفي التعدد. (إنما هو إله واحد) يعني ذاته المقدسة. وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته حسبما تقدم في البقرة بيانه «٢» وذكرناه في اسمه الواحد في شرح الأسماء، والحمد لله. (فإياي فارهبون) أي خافون. وقد تقدم في البقرة «٣».

[سورة النحل (١٦): آية ٥٢]

وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢)

---

(١). راجع ج ١٧ ص ١٨٥.

(٢). راجع ج ٢ ص ١٩٠ وما بعدها.

(٣). راجع ج ١ ص ٣٣٢.." [1]

"قيل: إن المراد هذا الذي يخوفكم بجمع الكفار شيطان من شياطين الإنس، إما نعيم بن مسعود أو غيره، على الخلاف في ذلك كما تقدم. (فلا تخافوهم) أي لا تخافوا الكافرين المذكورين في قوله:" إن الناس قد جمعوا لكم". أو يرجع إلى الأولياء إن قلت: إن المعنى يخوف بأوليائه أي يخوفكم أولياءه. قوله تعالى: (وخافون) أي خافوني في ترك أمري إن كنتم مصدقين بوعدي. والخوف في كلام العرب الذعر.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٣/١٠

وخاوفني فلان فخفته، أي كنت أشد خوفا منه. والخوفاء «١» المفازة لا ماء بها. ويقال: ناقة خوفاء وهي الجرباء. والخافة كالخريطة «٢» من الأدم يشتار فيها العسل. قال سهل بن عبد الله: اجتمع بعض الصديقين إلى إبراهيم الخليل فقالوا: ما الخوف؟ فقال: لا تأمن حتى تبلغ المأمن. قال سهل: وكان الربيع بن خيثم إذا مر بكير «٣» يغشى عليه، فقيل لعلي ابن أبي طالب ذلك، فقال: إذا أصابه ذلك فأعلموني. فأصابه فأعلموه، فجاءه فأدخل يده في قميصه فوجد حركته عالية فقال: أشهد أن هذا أخوف [أهل] «٤» زمانكم. فالخائف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه إما في الدنيا وإما في الآخرة، ولهذا قيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، بل الخائف الذي يترك ما يخاف أن يعذب عليه. ففرض الله تعالى على العباد أن يخافوه فقال: (وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال:" وإياي فارهبون". ومدح المؤمنين بالخوف فقال:" يخافون **ربهم من فوقهم**" [النحل: ٥٠]. ولأرباب الإشارات في الخوف عبارات مرجعها إلى ما ذكرنا. قال الأستاذ أبو علي الدقاق: دخلت على أبي بكر بن فورك رحمه الله عائدا، فلما رءاني دمعت عيناه، فقلت له: إن الله يعافيك ويشفيك. فقال لي: أترى أني أخاف من الموت؟ إنما أخاف مما وراء الموت. وفي سنن ابن ماجه عن أبي ذر قال

---

(١). يقال مفازة خوقاء (بالقاف لا بالفاء) أي واسعة الجوف أو لا ماء بها، كما يقال ناقة خوفاء (بالقاف كذلك) أي جرباء (انظر اللسان مادة خوق) وليس فيه ولا في كتاب آخر من كتب اللغة هذان المعنيان في مادة" خوف" بالفاء.

(٢). كذا في الأصول. وفى اللسان: والخافة: خريطة.

(٣). الكير: كير الحداد، وهو زق أو جلد غليظ ذو خافات، وهو المعروف ألان بالمنفاخ. وأما الكور فهو المبني من الطين.

(٤). عن ج ود.." [١]

"ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠) وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢٨٣

(٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤)." [1]

"(يخافون) أي حال كونهم خائفين (ربهم من فوقهم) أو جملة مستأنفة لبيان نفي استكبارهم ومن آثار الخوف عدم الاستكبار أي يخافون عذاب ربهم كائنا من فوقهم أو يخافون ربهم حال كونه من فوقهم عاليا عليهم علو الرتبة والمكانة والقدرة بائنا عنهم بالاستواء على العرش، وقيل معناه يخافون الملائكة فيكون على حذف المضاف أي يخافون ملائكة ربهم كائنين من فوقهم وهو تكلف لا حاجة إليه.

وإنما اقتضى مثل هذه التأويلات البعيدة المحاماة على مذاهب قد رسخت في الأذهان وتقررت في القلوب قيل وهذه المخافة هي مخافة الإجلال واختاره الزجاج فقال: يخافون ربهم خوف مجلين ويدل على صحة هذا المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله إخبارا عن فرعون وإنا فوقهم قاهرون.

(ويفعلون ما يؤمرون) به من طاعة الله يعني الملائكة أو جميع من تقدم ذكره وحمل هذه الجملة على الملائكة أولى لأن في مخلوقات الله من يستكبر عن عبادته ولا يخافه ولا يفعل ما يؤمر به كالكفار والعصاة الذين لا يتصفون بهذه الصفات وإبليس وجنوده، وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها.

ولما بين سبحانه أن مخلوقاته السماوية والأرضية منقادة له خاضعة لجلاله أتبع ذلك بالنهي عن الشرك بقوله." [2]

"" صفحة رقم ٥٠٥ "

(سورة إبراهيم . عليه السلام .)

مكية ، (إلا آيتي ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان)

وآياتها ٥٢ (نزلت بعد سورة نوح)

بسم الله الرحمن الرحيم

) الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السماوات وما فى الا رض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيواة الدنيا على الا خرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولائك فى ضلال بعيد (

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٥٤/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٥٥/٧

إبراهيم : (١ - ٣) الر كتاب أنزلناه . . . . . .

)كتاب (هو كتاب ، يعني السورة . وقرىء : (ليخرج الناس) . والظلمات والنور : استعارتان للضلال والهدى) بإذن ربهم (بتسهيله وتيسيره ، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل للحجاب ، وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق) إلى صراط العزيز الحميد (بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل ، كقوله :) للذين استضعفوا لمن ءامن منهم ((الأعراف : ٧٥) ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف ، كأنه قيل : إلى أي نور ؟ فقيل : إلى صراط العزيز الحميد . وقوله :) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (عطف بيان للعزيز الحميد ؛ لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا . وقرىء بالرفع على : (هو الله) . الويل : نقيض الوأل ، وهو النجاة اسم معنى ، كالهلاك ؛ إلا أنه لا يشتق منه فعل ، إنما يقال : ويلا له ، فينصب نصب المصادر ، ثم يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات ، فيقال : ويل له ، كقوله سلام عليك . ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل . فإن قلت : ما وجه اتصال قوله :) من عذاب شديد (بالويل ؟ قلت : لأن المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ، ويضجون منه ، ويقولون : يا ويلاه ، كقوله :) دعوا هنالك ثبورا ((الفرقان : ١٣)) الذين يستحبون (مبتدأ خبره : أولئك في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ، ومنصوبا على الذم . أو مرفوعا على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون ، والاستحباب : الإيثار والاختيار ، وهو استفعال من المحبة ؛ لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من الآخر . وقرأ الحسن (ويصدون) ، بضم الياء وكسر الصاد . يقال : صده عن كذا ، وأصده ، قال :." [1]

"" صفحة رقم ٥٦٩ "

بيانه) من شيء يتفيأ ظلاله (واليمين ، بمعنى الأيمان . و) سجدا (حال من الظلال .) وهم داخرون (حال من الضمير في ظلاله ، لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل ، وجمع بالواو ، لأن الدخور من أوصاف العقلاء ، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب . والمعنى : أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن إيمانها وشمائلها ، أي عن جانبي كل واحد منها . وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء ، أي : ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله ، غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ ، والأجرام في أنفسها داخرة أيضا ، صاغرة منقادة لأفعال الله

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٢/٥٠٥

فيها ، لا تمتنع .

) ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الا رض من دآبة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (

النحل : (٤٩) ولله يسجد ما . . . . .

) من دابة (يجوز أن يكون بيانا في السموات وما في الأرض جميعا ، على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض ، وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ، ويراد بما في السموات : الخلق الذي يقال له الروح ، وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ، ويراد بما في السموات : الملائكة وكرر ذكرهم على معنى : والملائكة خصوصا من بين الساجدين ؛ لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم . ويجوز أن يراد بما في السموات : ملائكتهن . وبقوله والملائكة : ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم ، فإن قلت : سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم ، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد ؟ قلت : المراد بسجود المكلفين : طاعتهم وعبادتهم ، وبسجود غيرهم : انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها ، وكلا السجودين يجمعها معنى الانقياد فلم يختلفا ، فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد . فإن قلت : فهلا جيء بمن دون (ما) تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم ؟ قلت : لأنه لوجيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب ، فكان متناولا للعقلاء خاصة ، فجيء بما." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٤٨٤

سجدا : خضعا «١» لأمر الله لا يمتنع على تصريفه ، إذ التصرف لا يخلو عن التغير ، والتغير لا بد له من مغير ومدبر فهي في تلك الشهادة كالخاضع الساجد.

داخرون : صاغرون خاضعون «٢» بما فيهم من التسخير ودلائل التيسير.

٥٠ يخافون **ربهم من فوقهم** : أي عذابه وقضاءه ، إذ قدرته فوق ما أعارهم من القوى والقدر ، كقوله «٣» : وهو القاهر فوق عباده ، أو لما وصف الله بالتعالي على معنى لا قادر أقدر منه ، وأن صفته في أعلى مراتب صفات القادرين حسن القول من فوقهم ليدل على هذا المعنى.

٥٣ تجئرون : ترفعون أصواتكم بالاستغاثة «٤».

٥٢ وله الدين : الطاعة «٥» ، واصبا : دائما ، أو خالصا «٦».

والوصب «٧» : التعب بدوام العمل.

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٥٦٩/٢

(١) تفسير الماوردي : ٢/ ٣٩٣ ، وزاد المسير : ٤/ ٤٥٣ ، وتفسير الفخر الرازي : ٢٠/ ٤٤. [.....]
(٢) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١/ ٣٦٠ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٤٣ ، وتفسير الطبري : ١٤/ ١١٦ ، والمفردات للراغب : ١٦٦.
(٣) سورة الأنعام : آية : ٦١.
(٤) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٣/ ٢٠٤ ، وقال : «يقال : جأر الرجل يجأر جؤارا».
وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١/ ٣٦١ ، وتفسير الطبري : ١٤/ ١٢١ ، وتفسير البغوي : ٣/ ٧٢.
(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٤٣ ، وتفسير الطبري : ١٤/ ١١٨ ، ومعاني الزجاج : ٣/ ٢٠٣ ، وتفسير الماوردي : ٢/ ٣٩٤.
(٦) ينظر معاني القرآن للفراء : ٢/ ١٠٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ١/ ٣٦١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٤٣ ، وتفسير الطبري : (١٤/ ١١٩ ، ١٢٠) ، وتفسير البغوي : ٣/ ٧٢.
(٧) تفسير الطبري : ١٤/ ١١٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري : ١٢/ ٢٥٥ ، واللسان : ١/ ٧٩٧ (وصب) ، والبحر المحيط : ٥/ ٥٠٠.." (١)

"زوالها.

وتقدم ذكر الظلال عند قوله: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ في سورة الرعد.

وقوله: ﴿عن اليمين والشمائل﴾ ، أي عن جهات اليمين وجهات الشمائل مقصود به إيضاح الحالة العجيبة للظل إذ يكون عن يمين الشخص مرة وعن شماله أخرى، أي إذا استقبل جهة ما ثم استدبرها.

وليس المراد خصوص اليمين والشمال بل كذلك الأمام والخلف، فاختصر الكلام.

وأفرد اليمين، لأن المراد به جنس الجهة كما يقال المشرق. وجمع ﴿والشمائل﴾ مرادا به تعدد جنس جهة الشمال بتعدد أصحابها، كما قال: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ [المعارج:٤٠]. فالمخالفة بالإفراد والجمع تفنن.

ومجيء فعل ﴿يتفيأ﴾ بتحتية في أوله على صيغة الإفراد جرى على أحد وجهين في الفعل إذا كان فاعله جمعا غير جمع تصحيح، وبذلك قرأ الجمهور. وقرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿تتفيأ﴾ بفوقيتين على الوجه الآخر.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٤٨٤

وأفرد الضمير المضاف إليه "ظلال" مراعاة لفظ ﴿شيء﴾ وإن كان في المعنى متعددا، وباعتبار المعنى أضيف إليه الجمع.

و ﴿سجدا﴾ حال من ضمير ﴿ظلاله﴾ العائد إلى ﴿من شيء﴾ فهو قيد للتفيؤ، أي أن ذلك التفيؤ يقارنه السجود مقارنة الحصول ضمنه. وقد مضى بيان ذلك عند قوله تعالى: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ في سورة الرعد.

وجملة ﴿وهم داخرون﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿ظلاله﴾ لأنه في معنى الجمع لرجوعه إلى ﴿ما خلق الله من شيء﴾. وجمع بصيغة الجمع الخاصة بالعقلاء تغليبا لأن في جملة الخلائق العقلاء وهم الجنس الأهم.

والداخر: الخاضع الذليل، أي داخرون لعظمة الله تعالى.

[٤٩،٥٠] ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾

لما ذكر في الآية السابقة السجود القسري ذكر بعده هنا سجود آخر بعضه اختيار وفي." [1]

"وجملة ﴿فالذين عند ربك﴾ دليل جواب الشرط. والتقدير: فإن تكبروا عن السجود لله فهو غني عن سجودهم، لأن له عبيدا أفضل منهم لا يفترون عن التسبيح له بإقبال دون سآمة. والمراد بالتسبيح: كل ما يدل على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به بإثبات أضداد ما لا يليق به أو نفي ما لا يليق، وذلك بالأقوال قال تعالى ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ [الشورى: ٥]، أو بالأعمال قال ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠-٤٩]

وذلك ما يقتضيه قوله ﴿وهم لا يسأمون﴾ من كون ذلك التسبيح قولا وملا وليس مجرد اعتقاد.

والعندية في قوله ﴿عند ربك﴾ عندية تشريف وكرامة كقوله في سورة الأعراف ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ [لأعراف:٢٠٦] وهؤلاء الملائكة هم العامرون للعوالم العليا التي جعلها الله مشرفة بأنها لا يقع فيها إلا الفضيلة فكانت بذلك أشد اختصاصا به تعالى من أماكن غيرها قصدا لتشريفها.

والسآمة: الضجر والملل من الإعياء. وذكر الليل والنهار هنا لقصد استيعاب الزمان، أي يسبحون له الزمان

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٦/١٣

كله.

وجملة ﴿وهم لا يسأمون﴾ في موضع الحال وهو أوقع من محمل العطف لأن كون الإخبار عنهم مقيدا بهذه الحال أشد في إظهار عجيب حالهم إذ شأن العمل الدائم أن يسلم منه عامله.

[٣٩] ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ [فصلت:٣٩]

﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾

عطف على جملة ﴿ومن آياته الليل والنهار﴾ [فصلت: ٣٧]، وهذا استدلال بهذا الصنع العظيم على أنه تعالى منفرد بفعله فهو دليل إلهيته دون غيره لأن من يفعل ما لا يفعله غيره هو الإله الحق وإذا كان كذلك لم يجز أن يتعدد لكون من ل١ يفعل مثل فعله ناقص القدرة، والنقص ينافي الإلهية كما قال ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل: ١٧].." (١)

"ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري والملائكة إن كان قوله من دابة بيانا لما في السموات والأرض فقد دخل الملائكة في ذلك وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا وإن كان من دابة لما في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم يخافون **ربهم من فوقهم** هذا إخبار عن الملائكة وهو بيان نفي الاستكباريحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم لا تتخذوا إلهين اثنين وصف الإلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان فلا يكون في الكلام تأكيد فإياي فارهبون خرج من الغيبة إلى التكلم لأن الغائب هو المتكلم وإياي مفعول بفعل مضمر ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله وله الدين واصبا أي واجبا وثابتا وقيل دائما وانتصابه على الحال من الدين وما بكم من نعمة فمن الله يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلا بما قبله أي كيف تتقون غير الله وما بكم من نعمة فمنه وحده فإليه تجأرون أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع ليكفروا بما آتيناهم اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده فتمتعوا فسوف تعلمون فعلى هذا يبتدئ بها وقيل هي لام العاقبة فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها في الأصل لام كي وذلك بعيد في المعنى والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما ... ٣٥١." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٥/٢٥

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٧٤/٢

"﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون * وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون * وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون * ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم* ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون * تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم." [١]

"لله وإذا كان بالعشي سجدت له.

وأخرج ابن ابي حاتم عن أبي غالب الشيباني قال : أمواج البحر صلاته.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : ﴿داخرون﴾ قال : صاغرون.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة في قوله ﴿وهم داخرون﴾ قال : صاغرون.

الآية ٤٩ – ٥٦.

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة﴾ قال : لم يدع شيئا من خلقه إلا عبده له طائعا أو كارها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال : يسجد من في السموات طوعا ومن في الأرض طوعا وكرها.

وأخرج الخطيب في تاريخه عن ابن عباس في قوله : ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ قال : مخافة الإجلال.." [٢]

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٩٢/٩

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٨/٩

" صفحة رقم ٢٧٣

الباهرات - : (وأنزلنا) أي لنا من العظمة) إليك) أي وأنت أشرف الخلق) للذكر) أي الكتاب الموجب للذكر ، المعلي للقدر ، الموصل إلى منازل الشرف) لتبين للناس (كافة بما أعطاك الله من الفهم الذي فقت فيه جميع الخلق ، واللسان الذي هو أعظم الألسنة وأفحصها وقد أوصلك الله فيه إلى رتبة لم يصل إليها أحد) ما نزل) أي وقع تنزيله) إليهم (من هذا الشرع الحادي إلى سعادة الدارين بتبيين المجمل ، وشرح ما أشكل ، من علم أصول الدين الذي رأسه التوحيد ، ومن البعث وغيره ، وهو شامل لبيان الكتب القديمة لأهلها ليدلهم على ما نسخ ، وعلى ما بدلوه فمسخ .

ولما كان التقدير : لعلهم بحسن بيانك يعلمون عطف عليه بيانا لشرف العلم قوله تعالى : (ولعلهم يتفكرون (إذا نظروا أساليبه الفائقة ، ومعانيه العالية الرائقة ، فيصلوا بالفكر فيه - بسبب ما فتحت لهم من أبواب البيان - إلى حالات الملائكة ، بأن تغلب أرواحهم على أشباحهم فيعلموا أنه تعالى واحد قادر فاعل بالاختيار ، وأنه يقيم الناس للجزاء فيطيعونه رغبة ورهبة ، فيجمعون بين شرفي الطاعة الداعية إليها الأرواح ، والانكفاف عن المعصية الداعية إليها النفوس بواسطة الأشباح .

النحل : (٤٥ - ٥٠) أفأمن الذين مكروا. .. . . .

) أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمآئل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دآبة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (( )

لما نبه سبحانه على التفكر ، وكان داعيا للعاقل إلى تجويز الممكن والبعد من الخطر ، سبب عنه إنكار الأمن من ذلك فقال تعالى : (أفأمن) أي أتفكروا فتابوا ، أو استمروا على عتوهم ؟ أفأمن) الذين مكروا (بالاحتيال في قتل الأنبياء وإطفاء نور الله الذي أرسلهم به ، المكرات) السيئات أن (يجازوا من جنس عملهم بأن) يخسف الله) أي المحيط بكل شيء) بهم) أي خاصة) الأرض (فإذا هم في بطنها ، لا يقدرون على نوع تقلب بمدافعة ولا غيرها ، كما فعل بقارون وأصحابه وبقوم لوط عليه السلام من قبلهم) أو يأتيهم العذاب (على غير تلك الحال) من حيث لايشعرون (به في حالة من هاتين الحالتين شعورا ما ، هم في حال سكون ودعة بنوم أو غفلة) أو يأخذهم) أي الله بعذابه) في (حال) تقلبهم (وتصرفهم

ومشاعرهم حاضرة وقواهم مستجمعة .

ولما كانت هذه الأحوال الثلاثة مفروضة في حال أمنهم من العذاب وكان الأمن." (١)

"قوله عز وجل

سورة النحل ٤٩ - ٥٥

وقعت " ما " في هذه الآية لما يعقل قال الزجاج قوله " ما في السماوات " يعم ملائكة السماء وما في السحاب وما في الجو من حيوان وقوله " وما في الأرض من دابة " بين ثم ذكر ملائكة الأرض في قوله " والملائكة " ويحتمل أن يكون قوله " والملائكة " هو الذي يعم السماوات والأرض وما قبل ذلك لا يدخل فيه ملك إنما هو للحيوان أجمع وقوله " يخافون ربهم " عام لجميع الحيوان وقوله " من فوقهم " يحتمل معنيين أحدهما الفوقية التي يوصف بها الله تعالى فهي فوقية القدر والعظمة والقهر والسلطان والآخر أن يتعلق قوله " من فوقهم " بقوله " يخافون " أي يخافون عذاب **ربهم من فوقهم** وذلك أن عادة عذاب الأمم إنما أتى من جهة فوق وقوله " ويفعلون ما يؤمرون " أما المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة واما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم إلى ما نفد من أمر الله تعالى وقوله " وقال الله " الآية آية نهي من الله تعالى عن الإشراك به ومعناها لا تتخذوا إلهين اثنين فصاعدا بما ينصه من قوله " إنما هو إله واحد " قال فرقة المفعول الأول ب " تتخذوا " قوله " إلهين " وقوله " اثنين " تأكيد وبيان بالعدد وهذا معروف في كلام العرب أن يبين المعدود بذكر عدده تأكيدا ومنه قوله " إله واحد " لأن لفظ " إله " يقتضي الانفراد وقال قوم منهم المفعول

الثاني محذوف تقديره معبودا أو مطاعا ونحو هذا وقالت فرقة المفعول الأول " اثنين " والثاني قوله " إلهين " وتقدير الكلام لا تتخذوا اثنين إلهين ومثله قوله تعالى " ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح " ففي هذه الآية على بعض الأقوال تقديم المفعول الأول " تتخذوا " وقوله " فإياي " منصوب بفعل مضمر تقديره

٤٠٠

فارهبوا إياي فارهبون ولا يعمل فيه الفعل لأنه قد عمل في الضمير المتصل به وقوله " وله ما في السموات " الآية الواو في قوله " وله " عاطفة على قوله " إله واحد " وجائز أن يكون واو ابتداء و " ما " عامة جميع الأشياء مما يعقل ومما لا يعقل و " السماوات " هنا كل ما ارتفع من الخلق في جهة فوق فيدخل فيه

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧٣/٤

العرش والكرسي و " الدين " الطاعة والملك كما قال زهير في دين عمرو وحالت بيننا فدك .
أي في طاعته وملكه والواصب القائم قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقال الشاعر أبي الأسود
(لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه
يوما بذم الدهر أجمع واصبا) " الكامل "
ومنه قول حسان
(غيرته الريح تسفي به
وهزيم رعده واصب) " المديد "
وقالت فرقة هو من الوصب وهو التعب أي وله الدين على تعبه ومشقته .
." (١)

" صفحة رقم ١٩٠
أحدهما : أنه القرآن . الثاني : أنه العلم .
(النحل : (٤٥ - ٤٧) أفأمن الذين مكروا . . . . .
" أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم " (قوله عز وجل :) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (فيه أربعة أوجه :
أحدها : في إقبالهم وإدبارهم ، قاله ابن بحر .
الثاني : في اختلافهم ، قاله ابن عباس . الثالث : بالليل والنهار ، قاله ابن جريج .
الرابع : في سفرهم .
) أو يأخذهم على تخوف (فيه ستة أوجه :
أحدها : يعني على تنقص بأن يهلك واحد بعد واحد فيخافون الفناء ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك .
الثاني : على تقريع بما قدموه من ذنوبهم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضا .
الثالث : على عجل ، وهذا قول الليث .
الرابع : أن يهلك القرية فتخاف القرية الأخرى ، قاله الحسن .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٩٩/٣

الخامس : أن يعاقبهم بالنقص من أموالهم وثمارهم ، قاله الزجاج .) فإن ربكم لرءوف رحيم (أي لا يعاجل بل يمهل .

(النحل : (٤٨ - ٥٠) أو لم يروا . . . . .

" أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " (.")[١]

" صفحة رقم ١٩٢

وفي تخصيص الملائكة بالذكر ، وإن دخلوا في جملة من في السموات والأرض وجهان :

أحدهما : أنه خصهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من الجملة بالذكر وإن دخلوا فيها .

الثاني : لخروجهم من جملة من يدب ، لما جعل الله تعالى لهم من الأجنحة فلم يدخلوا في الجملة ، فلذلك ذكروا .

وجواب ثالث : أن في الأرض ملائكة يكتبون أعمال العباد لم يدخلوا في جملة ملائكة السماء فلذلك أفردهم بالذكر .

) وهم لا يستكبرون (يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يستكبرون عن السجود لله تعالى .

الثاني : لا يستكبرون عن الخضوع لقدرة الله .

) يخافون ربهم من فوقهم (فيه وجهان :

أحدهما : يعني عذاب ربهم من فوقهم لأن العذاب ينزل من السماء .

الثاني : يخافون قدرة الله التي هي فوق قدرتهم وهي في جميع الجهات .

) ويفعلون ما يؤمرون (فيه وجهان :

أحدهما : من العبادة ، قاله ابن عباس .

الثاني : من الانتقام من العصاة .

(النحل : (٥١ - ٥٥) وقال الله لا . . . . .

" وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون وله ما في السماوات والأرض وله الدين

---

(١) النكت والعيون . ، ٣/١٩٠

واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون " (."[1]

"﴿ ٤٨ – ٥٠ ﴾ ﴿ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

يقول تعالى: ﴿ أولم يروا ﴾ أي: الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، ﴿ إلى ما خلق الله من شيء ﴾ أي: إلى جميع مخلوقاته وكيف تتفيأ أظلتها، ﴿ عن اليمين ﴾ وعن ﴿ الشمائل سجدا لله ﴾ أي: كلها ساجدة لربها خاضعة لعظمته وجلاله، ﴿ وهم داخرون ﴾ أي: ذليلون تحت التسخير والتدبير والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله وتدبيره عنده.

﴿ ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة ﴾ من الحيوانات الناطقة والصامتة، ﴿ والملائكة ﴾ الكرام خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم ولهذا قال: ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ أي: عن عبادته على كثرتهم وعظمة أخلاقهم وقوتهم كما قال تعالى: ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره. ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ أي: مهما أمرهم الله تعالى امتثلوا لأمره، طوعا واختيارا، وسجود المخلوقات لله تعالى قسمان: سجود اضطرار ودلالة على ما له من صفات الكمال، وهذا عام لكل مخلوق من مؤمن وكافر وبر وفاجر وحيوان ناطق وغيره، وسجود اختيار يختص بأوليائه وعباده المؤمنين من الملائكة وغيرهم [من المخلوقات].." [2]

"وقال ابن زيد : جماع الكتاب ، ولم يقل : أمهات ، لأنه جعل المحكمات في تقدير شيء واحد ، ومجموع المتشابهات في تقدير شيء وآخر ، وأحدهما أم للآخر ، ونظيره ﴿وجعلنا ابن مريم وأمها ءاية﴾ ولم يقل : اثنين ، ويحتمل أن يكون : هن ، أي كل واحدةمنهن ، نحو : ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أي كل واحد منهم. قيل : ويحتمل أن إفراد في موضع الجمع. نحو : ﴿وعلى سمعهم﴾ وقال الزمخشري : أم الكتاب أي أصل الكتاب ، تحمل المتشابهات عليها ، وترد إليها. ومثال ذلك : ﴿لا تدركه الابصار﴾

---

(١) النكت والعيون . ، ١٩٢/٣

(٢) تفسير السعدي، ص/٤٤٢

﴿إلى ربها﴾ ﴿الله لا يأمر بالفحشآء﴾ ﴿أمرنا مترفيها﴾ إنتهى. وهذا على مذهبه الإعتزالي في أن الله لا يرى ، فجعل المحكم لا تدركه الأبصار. والمتشابه قوله : ﴿إلى ربها ناظرة﴾ .

وأهل السنة يعكسون هذا ، أو يفرقون بين الإدراك والرؤية. وذكر من المحكم : ﴿وما كان ربك نسيا﴾ ﴿لا يضل ربى ولا ينسى﴾ ومتشابهه : ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ ظاهر النسيان ضد العلم ، ومرجوحه الترك. وأرباب المذاهب مختلفون في المحكم والمتشابه ، فما وافق المذهب فهو عندهم محكم ، وما خالف فهو متشابه. فقوله : ﴿فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر﴾ عند المعتزلة محكم ﴿وما تشآءون إلا أن يشآء الله﴾ متشابه. وغيرهم بالعكس.

وصرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوحي لا بد فيه من دليل منفصل ، فإن كان لفظيا فلا يتم إلا بحصول التعارض ، وليس الحمل على أحدهما أولى من العكس ، ولا قطع في الدليل اللفظي ، سواء كان نصا وأرجح لتوقفه على أمور ظنية ، وذلك لا يجوز في المسائل الأصولية. فإذن المصير إلى المرجوح لا يكون بواسطة الدلالة العقلية القاطعة ، وإذا علم صرفه عن ظاهره فلا يحتاج إلى تعيين المراد ، لأن ذلك يكون ترجيح مجاز على مجاز ، وتأويل على تأويل.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٧٠

ومن الملاحدة من طعن في القرآن إلى يوم القيامة ، ثم إنا نراه يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه ، فالجبري يتمسك بآيات الجبر : ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ ﴿وجعلنا على قلوبهم﴾ . والقدري يقول : هذا مذهب الكفار في معرض الذم لهم في قوله : ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونآ إليه وفى ءاذاننا وقر﴾ وفي موضع آخر : ﴿وقالوا قلوبنا غلفا﴾ .

ومثبتو الرؤية تمسكوا بقوله : ﴿إلى ربها﴾ والآخرون ، بقوله : ﴿لا تدركه الابصار﴾ . ومثبتو الجهة بقوله : ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ وبقوله : ﴿على العرش استوى ﴾ والآخرون بقوله : ﴿ليس كمثلها شىء﴾ فكيف يليق بالمحكم أن يرجع إلى المرجوع إليه هكذا ؟ إنتهى كلام الفخر الرازي. وبعضه ملخص.

وقد ذكر العلماء لمجيء المتشابه فوائد ، وأحسن ذلك ما ذكره الزمشخري. قاله :

فإن قلت : فهلا كان القرآن كله محكما ؟

قلت : لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله

٣٨٢

وتوحيده إلا به ، ولما في المتشابه من الإبتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ، ولما في تقادح العلماء وإتقانهم القرائح في إستخراج معانيه ، ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة ، والعلوم الجمة ، ونيل الدرجات عند الله ، ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ، ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره ، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ، ففكر وراجع نفسه وغيره ، ففتح الله عليه ، وتبين مطابقة المتشابة المحكم ، إزداد طمأنينة إلى معتقده ، وقوة في اتقانه. إنتهى كلام الزمخشري ، وهو مؤلف مما قاله الناس في فائدة المجيء بالمشابه في القرآن.

". (١)

"٢٧٦

ما أراه إلا عند بعض ما يتنقصون من معاصي الله فخرج رجل فلقي أعرابيا فقال يا فلان ما فعل دينك تخوفته أي تنقصته فرجع إلى عمر فأخبره بذلك ثم قال تعالى " فإن ربكم لرءوف رحيم " أي لا يعجل عليهم بالعقوبة

سورة النحل ٤٨ - ٥٠

قوله " أولم يروا " قرأ حمزة والكسائي " تروا " بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة يعني أولم يعتبروا " إلى ما خلق الله من شيء " عند طلوع الشمس وعند غروبها " يتفيؤا ظلاله " يعني يدور ظلاله " عن اليمين والشمائل " قال القتبي أصل الفيء الرجوع وتفيؤ الظلال رجوعها من جانب إلى جانب " سجدا لله وهم داخرون " أي صاغرون ويقال وهم مطيعون وأصل السجود التطأطؤ والميل يقال سجد البعير إذا تطأطأ وسجدت النخلة إذا مالت ثم قد يستعار السجود ويوضع موضع الإستسلام والطاعة ودوران الظل من جانب إلى جانب هو سجوده لأنه مستسلم منقاد مطيع فذلك قوله " سجدا لله وهم داخرون "

ثم قال تعالى " ولله يسجد " أي يستسلم " ما في السموات " من الملائكة والشمس والقمر والنجوم " وما في الأرض من دابة " أي يسجد لله جميع ما في الأرض من دابة " والملائكة " يعني وما على الأرض من الملائكة ويقال فيه تقديم وتأخير ومعناه ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة ويقال معناه يسجد له جميع ما في السموات وما في الأرض يعني الدواب والملائكة يعني الذين هم في السموات والأرض " وهم لا يستكبرون " أي لا يتعظمون عن السجود لله تعالى " يخافون **ربهم من فوقهم** " أي

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢/٢٩٠

يخافون الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجودا مذ خلقهم الله تعالى إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله تعالى فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم فقالوا ما عبدناك حق عبادتك فذلك قوله " يخافون **ربهم من فوقهم** " أي يخافون خوف معظمين مجلين ويقال خوفهم بالقهر والغلبة والسلطان ويقال معناه يخافون ربهم الذي على العرش كما وصف نفسه والطريق الأول أصح كقوله " يد الله فوق أيديهم " [الفتح : ١٠] أي بالقهر والغلبة والسلطان " ويفعلون ما يؤمرون " أي لا يعصون الله تعالى طرفة عين قرأ أبو عمرو " يتفيؤا " بالتاء بلفظ التأنيث وقرأ الباقون بالياء لأن تأنيثه ليس بحقيقي ولأن الفعل مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث." (١)

"مشروطا بذلك النهي والتحذير ، فكيف يجعل ذلك الاحتراز منافيا للنهي والتحذير.

وثالثها : أن يكون الغرض من النهي والوعيد أن يتأكد قبح ذاك في العقل ، فيكون الغرض منه التأكيد ، ولما حسن من الله التنبيه على أنواع الدلائل الدالة على التوحيد بعدما قررها في العقول والغرض منه تأكيد العقل بالنقل ، فأي بعد في مثل هذا الغرض هاهنا.

ورابعها : قوله تعالى في حق الملائكة : ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذالك نجزيه جهنم﴾ [الأنبياء : ٢٩] مع أنه – تعالى – أخبر عن عصمتهم في قوله : ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل : ٥٠] وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر : ٦٥]. والإجماع على أنه عليه الصلاة والسلام ما أشرك ، وما مال إليه ، وقال ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب : ١] وقال : ﴿بلغ مآ أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة : ٦٧] ، وقوله : ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ [الأنعام : ١٤].

فثبت بما قلنا أنه – عليه الصلاة والسلام – منهي عن ذلك وأن غيره أيضا منهي عنه ؛ لأن النهي عن هذه الأشياء ليس من خواص الرسول عليه الصلاة والسلام.

بقي أن يقال : فلم خصه بالنهي دون غيره ؟ فنقول فيه وجوه : أحدها : أن كل من كان نعم الله عليه أكثر ، كان صدور الذنب منه أقبح ، فكان أولى بالتخصيص.

وثانيها : أن مزيد الحب يقتضي التخصيص بمزيد التحذير.

وثالها : أن الرجل الحازم إذا أقبل على أكبر أولاده وأصلحهم ، فزجره عن أمر بحضرة جماعه أولاده ، فإنه يكون منبها بذلك على عظم ذلك الفعل إن ارتكبوه ، فهذه قاعدة مقررة في أمثال هذه الآية.

---

(١) بحر العلوم ، ٢/٢٧٦

القول الثاني : أن قوله : ﴿ولئن اتبعت أهوآءهم﴾ [البقرة : ١٢٠] ليس المراد منه إن اتبع أهواءهم في كل الأمور ، فلعله – عليه الصلاة والسلام – كان في بعض الأمور يتبع أهواءهم ، مثل ترك المخاشنة في القول والغلظة في الكلام ، طمعا منه – عليه الصلاة والسلام – في استمالتهم ، فنهاه الله – تعالى – عن ذلك القدر أيضا ، وآيسه منهم بالكلية على ما قال : ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء : ٧٤].

القول الثالث : أن ظاهر الخطاب وإن كان مع الرسول إلا ان المراد منه غيره وهذا كما أنك إذا عاتبت [إنسانا أساء عبده إلى عبدك فتقول له : لو فعلت مرة أخرى مثل] هذا الفعل لعاقبتك عليه عقابا شديدا ، فكان الغرض منه زجر العبد.

٤٨." [1]

"القيامة ، ثم إنا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه ، فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله : ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا﴾ [الأنعام : ٢٥] ، والقدري يقول : بل هذا مذهب الكفار ؛ بدليل أنه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله : ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ [البقرة : ٨٨] ، وأيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة : ٢٣٢ – ٢٣] ، والنافي يتمسك بقوله : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، ومثبت الجهة يتمسك بقوله : ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل : ٥٠] وقوله : ﴿الرحمان على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] والنافي يتمسك بقوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى : ١١] ثم إن كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ، والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة ، وإنما يرجع في ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفية ، ووجوه ضعيفة ، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدين إلى قيام القيامة هكذا أليس أنه لو جعله ظاهرا جليا خاليا عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى حصول الغرض ؟ فذكر العلماء في فوائد المتشابهات وجوها : الأول : أنه متى ك انت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق ، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب.

الثاني : أن القرآن إذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر إلى الاستعانة بدليل العقل ، وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد ، ويصل إلى ضياء الاستدلال ، ولو كان كله محكما لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية ، وكان يبقى – حينئذ – في الجهل والتقليد.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٣٨

الثالث : أن القرآن لما كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر إلى تعلم طرق التأويلات ، وترجيح بعضها على بعض ، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علوم اللغة ، والنحو ، وأصول الفقه ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان الإنسان يحتاج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة ، فكان في إيراد هذه المتشابهات هذه الفوائد.

الرابع : أن القرآن يشتمل على دعوة الخواص ، والعوام بالكلية ، وطباع العوام تنبو – في أكثر الأمر – عن إدراك الحقائق ، فمن سمع من العوام – في أول الأمر – إثبات موجود ليس بجسم ولا متحرك ولا يشار إليه ظن بأن هذا عدم ونفي ، فوقع في العطيل ، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه ، وتخيلوه ، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالمخاطبة في أول الأمر تكون من أبواب المتشابهات ، والثاني وهو الذي انكشف لهم في آخر الأمر هو المحكم.

٣٤

الخامس : [لو ك ان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد ، وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب ، وذلك مما ينفر أرباب المذاهب عن قبوله ، وعن النظر فيه ، فالانتفاع به إنما حصل لما كان مشتملا على المحكم والمتشابه ، فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يقوي له حكمه ويؤثر مقالته ، فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب ، ويجتهد في التأمل فيه كل صاحب مذهب ، فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ، فبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله ، ويصل إلى الحق ، والله أعلم].

قوله : ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ يجوز أن يرتفع " زيغ " بالفاعلية ؛ لأن الجار قبله صلة لموصول ، ويجوز أن يكون مبتدأ ، وخبره الجار قبله.

قوله " الزيغ " قيل : الميل [مطلقا] ، وقال بعضهم : هو أخص من مطلق الميل ؛ فإن الزيع لا يقال إلا لما كان من حق إلى باطل.

قال الراغب : " الزيغ : الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين ، وزاغ وزال ومالمتقارب ، لكن زاغ لا يقال إلا فيما كان من حق إلى باطل " انتهى.

يقال : زاغ يزيغ زيغا ، وزيغوغة وزيغانا ، وزيوغا.

قال الفراء : والعرب تقول في عامة ذوات الياء – فيما يشبه زغت – مثل : سرت ، وصرت ، وطرت : سيرورة ، وصيرورة ، وطيرورة ، وحدت حيدودة ، وملت ميلولة..

لا أحصي ذلك ، فأما ذوات الواو مثل قلت ، ورضت ، فإنهم لم يقولوا ذلك إلا في أربعة ألفاظ : الكينونة والديمومة – من دام والهيعوعة – من الهواع ، والسيدودة – من سدت – ، ثم ذكر كلاما كثيرا غير متعلق بما نحن فيه.

وقد تقدم الكلام على هذا المصدر ، وأنه قد سمع في هذا المصدر الأصل – وهو كينونة – في قول الشاعر : [الرجز] ١٣٢٥ – يا ليتنا قد ضمنا سفينه

حتى يعود الوصل كينونه

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٨

". (١)

"الثاني : أن ذلك الخوف خوف الإجلال ؛ هكذا نقل عن ابن عباس ؛ كقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر : ٢٨] وكقول النبي صلى الله عليه وسلم " إني لأخشاكم لله " حين قالوا له وقد بكى : أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ .

وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الله أتم ، كان الخوف منه أعظم.

وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء.

فصل في استدلال المشبهة بالآية والرد عليهم استدل المشبهة بقوله تعالى : ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ على أنه – تعالى – فوقهم بالذات.

والجواب : أن معناه : يخافون ربهم ؛ من أن ينزل عليهم العذاب من فوقهم ، وإذا احتمل اللفظ هذا المعنى ؛ سقط استدلالهم ، وأيضا يجب حمل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة ، والقهر والغلبة ؛ لقوله تعالى : ﴿وإنا فوقهم قۤاهرون﴾ [الأعراف : ١٢٧] ويقوي هذا الوجه أنه تعالى قال : ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ فوجب أن يكون المقتضي لخوفهم هو كون ربهم فوقهم ؛ لأن الحكم المرتب على وصف يشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف ، وهذا التعليل ، إنما يصدح إذا كان المراد بالفوقية ، القهر والقدرة ؛ لأنها هي الموجبة للخوف ، وأما الفوقية بالجهة ، والمكان ، فلا توجب الخوف ؛ لأن حارس البيت فوق الملك بالمكان والجهة مع أنه أخس عبيده.

فصل في أن الملك أفضل من البشر تمسك قوم بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر من وجوه : الأول : قوله تعالى : ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دآبة والملا ائكة﴾ وقد تقدم أن

---

(١) تفسير الل باب لابن عادل . ، ص/٩٧٤

تخصيص هذين النوعين بالذكر ، إنما يحسن إذا كان أحد الطرفين أخس المراتب ، وكان الطرف الثاني أشرفها ، حتى يكون ذكر هذين الطرفين منبها على الباقي ، وإذا كان كذلك ، وجب أن يكون الملائكة أشرف خلق الله – عز وجل – .

الثاني : أن قوله ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يدل على أنه ليس في قلوبهم تكبر ، وترفع ، وقوله تعالى : ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يدل على أن أعمالهم خالية عن الذنب ، و المعصية ، فمجموع هذين الكلامين يدل على أن بواطنهم ، وظواهرهم ، مبرأة عن الأخلاق الفاسدة ، والأفعال الباطلة ، وأما البشر ، فليسوا كذلك ويدل عليه القرآن والخبر.

أما القرآن فقوله تعالى : ﴿قتل الإنسان مآ أكفره﴾ [عبس : ١٧] وهذا الحكم عام في الإنسان ، وأقل مراتبه أن تكون طبيعة الإنسان مقتضية لهذه الأحوال الذميمة.

٧٥

وأما الخبر ، فقوله عليه الصلاة والسلام – : " ما منأ إلا وقد عصى أو هم بمعصية غير يحيى بن زكريا ".

ونعلم بالضرورة أن المبرأ عن المعصية ، ومن لم يهم بها أفضل ممن عصى ، أو هم بها.

الثالث : أن الله – تعالى – خلق الملائكة – عليهم الصلاة والسلام – قبل البشر بأدوار متطاولة ، وأزمان ممتدة ، ثم إنه – تعالى – وصفهم بالطاعة ، والخضوع ، والخشوع طول هذه المدة ، وطول العمر مع الطاعة يوجب مزيد الفضيلة لوجهين : الأول : قوله – صلوات الله وسلامه عليه – : " الشيخ في قومه كالنبي في أمته " فضل الشيخ على الشاب ؛ وما ذاك إلا لأنه لما كان عمره أطول ، فالظاهر أن طاعته أكثر ؛ فكان أفضل.

والثاني : قوله – عليه الصلاة والسلام – : " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة " فلما كان شروع الملائكة في الطاعات قبل شروع البشر فيها ، لزم أن يقال : إنهم هم الذين سنوا هذه السنة ، وهي طاعة الخالق ، والبشر إنما جاءوا بعدهم ، واستنوا بسنتهم ؛ فوجب بمقتضى هذا الخبر أن كل ما حصل للبشر من الثواب ،

٧٦

." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢١٢

"فالجواب : أن الملائكة : إما أن يقال : إنها واجبة الوجود لذواتها ، أو يقال : إنها ممكنة الوجود لذواتها ، والأول باطل ؛ لأن جميع الكفار كانوا معترفين بأن الملائكة عباد الله ، ومحتاجون إليه.

وأما الثاني : فهو يوجب القول بأن الملائكة محتاجون في ذواتها ، وفي كمالاتها إلى الله تعالى ، فكان الاشتغال بعبادة الله تعالى أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة.

وإن أعدنا " يدعون " إلى الأنبياء – عليهم السلام – المذكورين في قوله تعالى : ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ فالمعنى هو أن الذي عظمت منزلتهم – وهم الأنبياء – لا يعبدون إلا الله تعالى ، ولا يبتغون الوسيلة إلا إليه ، فأنتم بالاقتداء بهم أحق ، فلا تعبدوا غير الله – عز وجل – والمراد بالوسيلة : الدرجة العليا.

وقيل : كل ما يتقرب إلى الله تعالى.

واحتجوا على صحة هذا القول بأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، فلا يخافون عذابه ، فثبت أن هذا غير لائق بالملائكة ، وإنما هو لائق بالأنبياء – صلوات الله عليهم – .

وأجيب بأن الملائكة يخافون من عذاب الله ، لو اقدموا على الذنب ، قال تعالى : ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذالك نجزيه جهنم﴾ [الأنبياء : ٢٩] وقال تعالى : ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل : ٥٠] ثم قال عز وجل : ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ أي من حقه أن يحذر ، فإن لم يحذره بعض الناس لجهله ، فإنه لا يخرج عن كونه يجب الحذر عنه.

قوله تعالى : ﴿أيهم أقرب﴾ في " أي " هذه وجها : أحدهما : أنها التفهامية.

والثاني : أنها موصولة بمعنى " الذي " وإنما كثر كلام المعربين فيها من حيث التقدير ، فقال الزمخشري : " وأيهم بدل من واو " يبتغون " و " أي " موصولة ، أي : يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف ، أو ضمن " يبتغون الوسيلة " معنى يحرصون ، فكأنه قيل : يحرصون أيهم يكون أقرب ".

فجعلها في الوجه الأول موصولة ، وصلتها جملة من مبتدأ وخبر ، حذف المبتدأ ، وهو عائدها ، و " أقرب " خبر.

واحتملت " أي " حينئذ أن تكون مبنية ، وهو الأكثر فيها ، وأن تكون معربة ، وسيأتي موضعه في مريم : [٦٩] إن شاء الله تعالى وفي الثاني جعلها استفهامية ؛ بدليل أنه ضمن الابتغاء معنى شيء تعلق ، وهو يحرصون ، فيكون " أيهم " مبتدأ و " أقرب " خبره ، والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض ؛ لأن " تحرص " يتعدى بـ " على " قال تعالى : ﴿إن تحرص على هداهم﴾ [النحل : ٣٧] ، ﴿أحرص الناس

على حياة﴾ [البقرة : ٩٦].
وقال أبو البقاء : " أيهم " مبتدأ ، و " أقرب " خبره ، وهو استفهام في موضع نصب
٥31." (١)

"الثاني : أنه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال : ﴿قالتآ أتينا طآئعين﴾.
الثالث : قوله : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ [الأحزاب : ٧٢] وهذا يدل على كونها عارفة بالله ، عالمة بتوجه تكليف الله تعالى.
وأجاب ابن الخطيب عن هذا القول : بأن المراد من قوله ﴿١٦٤٩؛ئتيا طوعا أو كرها﴾ الإثبات الى الوجود والحدوث والحصول ، فعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الأمر كانت السموات والأرض معدومة ، إذ لو كانت موجودة فذلك لا يجوز ، فثبت أن حال توجه هذا الأمر عليها كانت معدومة ، وإذا كانت معدومة لم تكن فاهمة ، ولا عارفة للخطاب ، فلم يجز توجه الأمر عليها.
فصل روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس أنه قال : قال الله للسموات والأرض أخرجا ما فيكما من المنافع ومصالح العباد ، أما أنت يا سماء فأطعلي شمسك وقمرك ونجومك ، وأنت يا أرض فشققي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك ، وقال لهما : افعلا ما آمركما طوعا ، وإلا ألجأتكما إلى ذلك (حتى) تفعلا فنقول : فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله : أتينا طائعين حدوثهما في ذاتهما ، بل يصير المراد من هذا الأمر أن يظهرا ما كان مودعا فيهما ، وهذا باطل ؛ لأنه تعالى قال : ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾ وذلك يدعل على حدوث السماء إنما حصل بعد قوله : ﴿١٦٤٩؛ئتيا طوعا أو كرها﴾.
فصل اعلم أن المقصود من هذا الكلام إظهار كمال القدرة ، والتقدير ائتيا ذلك أو أبيتما كما يقول الجبار لمن تحت يده : لتفعلن هذا شئت أو أبيت ، ولتفعلنه طوعا أو كرها.
وقيل : إنه تعالى ذكر السماء والأرض ، ثم ذكر الطوع والكره فوجب أن ينصرف الطوع إلى السماء والكره إلى الأرض ، وتخصص السماء بالطوع لوجوه : أحدهما : أن السماء في دوام حركتها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا مطعيا لله عز وجل بخلاف الأرض فإنها مختلفة الأحوال ، تارة تكون ساكنة ، وتارة تضطرب.
وثانيها : أن الموجود في السماء ليس إلا الطاعة ، قال تعالى : ﴿يخافون ربهم من فوقهم
١١٢

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٣٣٩

ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل : ٥٠] وأما أهل الأرض فليس كذلك.

وثالثها : أن السماء موصوفة بكمال الحال ، وقيل : إنها أفضل الألوان وشكلها أفضل الأشكال وهو المستدير ومكانها أفضل الأمكنة ، وهو العلو ، وسكانها أفضل الأجرام ، وهي الكواكب المنيرة بخلاف الأرض فإنها مكان الظلمة والكثافة ، واختلاف الأحوال وتغيير الذات والصفات فلا جرم عبر عن تكوين السماء بالطوع وعن تكوين الأرض وبالكره.

قوله تعالى : ﴿فقضاهن سبع سماوات﴾ ف ينصب " سبع " أربعةِ أوجه : أحدها : أنه مفعول ثان " لقضاهن " ؛ لأنه ضمن معنى صيرهن بقضائه سبع سموات.

الثاني : أنه منصوب على الحال من مفعول " فقضاهن " أي قضاهن معدودة ، وقضى بمعنى " صنع " كقول أبي ذؤيب : ٤٣٥٥. وعليهما مسرودتان قضاهما

داود أو صنع السوابغ تبع

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ١٠٢

أي صنعها.

الثالث : أنه تمييز ؛ قال الزمخشري : ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات على التمييز يعني بقوله " مبهما " ، أنه لا يعود على السماء ، لامن حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى بخلاف كونه حالا أو مفعولا ثانيا.

الرابع : أنه بدل من " هن " في " فقِاهن " قاله مكي ، وقال أيضا : السماء ، تذكر وتؤنث ، وعلى التأنيث جاء القرآن ، ولو جاء على التذكير لقيل : سبعة سموات.

وقد تقدم تحقيق تذكيره وتأنيثه في أوائل البقرة.

١١٣

".[1]

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠] يقول تعالى ذكره: يخاف هؤلاء الملائكة التي في السماوات وما في الأرض من دابة **ربهم من فوقهم** أن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٣٠

يعذبهم إن عصوا أمره ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠] يقول: ويفعلون ما أمرهم الله به، فيؤدون حقوقه، ويجتنبون سخطه." (١)

"وشتمني ابن آدم ولا ينبغي له أن يشتمني، وأما تكذيبه إياي فحلفه بي أن لا أبعث الخلق، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الله الواحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد.

ليبين لهم الذي يختلفون فيه هو مردود إلى قوله: لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا يبين لهؤلاء المنكرين المقتسمين الذين يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين. إنما قولنا لشيء الآية، يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائهم ولا في غير ذلك [مما نخلق ونكون ونحدث] ، لأنا إذا أردنا خلق شيء وإنشاؤه أن نقول له كن فيكون «١» .

وفي هذه الآية دليل على أن القرآن غير مخلوق، فذكر أن الله عز وجل أخبر أنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، فلو كان قوله كن مخلوقا لاحتاج إلى قول ثان ولاحتاج ذلك القول إلى قول ثالث إلى ما لا نهاية فلما بطل ذلك ثبت أن الله خلق الخلق بكلام غير مخلوق.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤١ الى ٥٠]

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٤١) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٤٢) وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٤٣) بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (٤٤) أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون (٤٥)

أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤف رحيم (٤٧) أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا عذبوا وقتلوا في الله، نزلت في بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم.

وقال قتادة: يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٤٦/١٤

جماعة منهم بالحبشة ثم بوأهم الله بالمدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار الهجرة وجعل لهم على من ظلمهم [أنصارا من المؤمنين والآية تعم الجميع] «٢» .

لنبوئنهم في الدنيا حسنة أنزلهم المدينة وأطعمهم الغنيمة.

---

(١) تفسير الطبري: ١٤/ ١٤١.

(٢) تصويب العبارة من تفسير القرطبي: ١٠/ ١٠٧.." [1]

"لم يقل: بأفواه الشامتين.

وقال آخر:

الواردون وتيم في ذرا سبأ ... قد عض أعناقهم جلد الجواميس «١»

لم يقل: جلود.

وهم داخرون صاغرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض [وإنما أخبر ب (ما) عن الذي يعقل ولا يعقل على التغلب، كما يغلب الكثير على القليل والمذكر على المؤنث] من دابة يدب عليها كل حيوان يموت، كقوله: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها «٢» وقوله: ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها «٣» .

والملائكة خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملتها في الآية لرفع شأنهم، وقيل:

لخروجهم من جملة الموصوفين بالتسبيب إذ جعل الله لهم أجنحة كما قال تعالى: جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة «٤» فالطيران أغلب عليهم من الدبيب، وقيل: أراد لله يسجد ما في السماوات من الملائكة وما في الأرض من دابة ويسجد ملائكة الأرض.

وهم لا يستكبرون. يخافون **ربهم من فوقهم** يعني: يخافون [قدرة] ربهم أن يأتيهم بالعذاب من فوقهم، ويدل عليه قوله: ويفعلون ما يؤمرون ما يؤمرون يعني الملائكة، وقيل:

معناه يخافون ربهم الذي فوقهم بالقول والقدرة فلا يعجزه شيء ولا يغلبه أحد [يدل عليه] قوله تعالى: وهو القاهر فوق عباده «٥» وقوله إخبارا عن فرعون: وإنا فوقهم قاهرون «٦» .

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٥١ الى ٦٠]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/١٧

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥) ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون (٥٦) ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (٥٧) وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم (٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون (٥٩) للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم (٦٠)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة هود: ٦.

(٣) سورة هود: ٥٦.

(٤) سورة فاطر: ١.

(٥) سورة الأنعام: ١٨.

(٦) سورة الأعراف: ١٢٧.." [1]

"المعنى: ولله يسجد ما في السماوات من الملائكة وما في الأرض من دابة ومن الملائكة. إلا أنه حمل " والملائكة " من الاعراب على " ما " لأنها ساجدة. ومعناها تخضع وتذل وتستسلم لأمر الله ﴿وهم لا يستكبرون﴾ أي لا يستكبرون عن التذلل [لله D] .

ودخلت " من " لأن معنى " دابة " الجمع، أي: من الدواب. وقيل دخلت لما في " ما " من الإبهام فأشبهت الشرط. والشرط تدخل " من " فيه تقول: من ضربك من رجل فاضربه.

قال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾.

أي يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات والأرض والدواب ربهم أن يعذبهم إن عصوا أمره. ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي: يطيعونه فيما أمرهم به. قال أبو إسحاق: معناه يخافون ربهم خوف مطيعين مجلين له، لا

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢١

يجاوزون أمره.

قوله: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ إلى قوله (فسوف تعلمون) [٥١ - ٥٥].." [١]

"﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ يعني: الملائكة هم فوق ما في الأرض من دابة ومع ذلك يخافون الله فلأن يخاف من دونهم أولى ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يعني: الملائكة وقوله:." [٢]

"دون سجود العبادة، فمعنى لا يستكبرون في صلتهم أنهم يذعنون للخالق والصانع بالتسخير والتذليل وما فيهم من الضرورة إلى صانع فطرهم وخلقهم وأنشأهم ودبرهم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وهم لا يستكبرون﴾ من صفة الملائكة خاصة (١)؛ لأن الآية التي بعد هذا تختص بصفتهم.

٥٠ - قوله تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ الآية. ذكر أهل العلم وأصحاب المعاني في هذه الآية، قولين (٢)؛ أحدهما: أن الآية من باب حذف المضاف، على تقدير يخافون عقاب **ربهم من فوقهم** (٣)؛ لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك من فوق، سيما والآية في صفة الملائكة، والآخر: أن الله تعالى لما كان موصوفا بأنه على ومتعال علو الرتبة في القدرة، حسن أن يقال: ﴿من فوقهم﴾ ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين (٤)، وهذا

---

(١) ورد في "تفسير مقاتل" ١/ ٢٠٣ ب، بنحوه، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣، بمعناه، وانظر: "تفسير ابن الجوزي" ٤/ ٤٥٤، و"الشوكاني" ٣/ ٢٣٨.

(٢) ورد القولان في "تفسير الماوردي" ٣/ ١٩٢، بنحوه، والطوسي ٦/ ٣٨٩ بنصه تقريبا، وانظر: "تفسير الزمخشري" ٢/ ٣٣١، وابن عطية ٨/ ٤٣٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٥، وأبي حيان ٥/ ٤٩٩، و"الدر المصون" ٧/ ٢٣٤.

(٣) ورد في "تفسير مقاتل" ١/ ٢٠٣ ب، بمعناه، والطبري ١٤/ ١١٧ - ١١٨ بمعناه، والثعلبي ٢/ ١٥٨، بنحوه، وانظر: "تفسير القرطبي" ١٠/ ١١٣.

(٤) ورد في "تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٣٨، بمعناه.

والقولان باطلان؛ لأن فيهما تعطيلا وتأويلا؛ فالأول تعطيل ظاهر لصفة **الفوقية**، والثاني تأويل وصرف لظاهر

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٠٠٩/٦

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٦٠٩

النص من فوقية العلو إلى فوقية القدرة والعظمة، وهو خلاف مذهب أهل الحق؛ يقول ابن القيم: ومما ادعى المعطلة مجازه: الفوقية، وقد ورد به القرآن؛ كقوله ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾، وحقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره، فادعى الجهمي أنها مجاز في فوقية الرتبة والقهر، كما يقال الذهب فوق الفضة، والأمير فوق نائبه، وهذا وإن كان ثابتا للرب تعالى، لكن =." (١)

"معنى قول أبي إسحاق: ﴿يخافون ربهم﴾: خوف مجلين (١)، ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله إخبارا عن فرعون: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وقد روى مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ قال: ذاك مخافة الإجلال (٢)، وذهب بعض الناس إلى أن قوله: ﴿من فوقهم﴾ من صفة الملائكة (٣)، والمعنى: أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم، فلأن يخاف من دونهم أولى (٤).

وقوله تعالى: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ قال المفسرون: يعني الملائكة (٥)،

= إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة، وقد ذكر سبعة عشر وجها. انظر: "مختصر الصواعق المرسلة" ص ٣٥٥ - ٣٦٣، و"الفتاوى" ٥/ ١٢٦.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٠٣، بنصه. وقد رد الألوسي القول بأن خوفهم ليس إلا خوف إجلال ومهابة لا خوف وعيد وعذاب، بقوله: ﴿وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ [الأنبياء].

(٢) أورده السيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٢٢٥، وعزاه للخطيب في تاريخه [لم أقف عليه]، وانظر: "تفسير الرازي" ٢٠/ ٤٤، و"تفسير الألوسي" ١٤/ ١٥٩، وأورداه بصيغة التمريض، وانتصر له الفخر الرازي ورده الألوسي -كما مر في الحاشية السابقة-، وورد بلا نسبة في "تفسير أبي حيان" ٥/ ٤٩٩، وأبي السعود ٥/ ١١٩.

(٣) ورد في "تفسير مقاتل" ١/ ٢٠٣ ب، بنحوه، وانظر: "تفسير ابن الجوزي" ٤/ ٤٥٤، و"تفسير القرطبي" ١٠/ ١١٣، وأبي حيان ٥/ ٤٩٩.

(٤) وفي هذا المعنى تكلف وصرف للفظ عن ظاهره؛ فالفوقية هنا صفة لله وليس للملائكة.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٢/١٣

(٥) ورد في "تفسير مقاتل" ١/ ٢٠٣ ب، بنحوه، و"تفسير الماوردي" ٣/ ١٩٢، بمعناه، وانظر: "تفسير البغوي" ٥/ ٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤، و"تفسير القرطبي" ١٠/ ١١ 311، و"الشوكاني" ٣/ ٢٣٨.." [١]

"للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤] في هذا الكتاب من الحلال والحرام، والوعد والوعيد، لعلهم يتفكرون في ذلك فيعتبرون.

قوله: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿٤٥﴾ أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ﴿٤٦﴾ أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم ﴿٤٧﴾ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ﴿٤٨﴾ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴿٤٩﴾ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٥-٥٠] ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ [النحل: ٤٥] قال ابن عباس: يريد المشركين، أهل مكة وما حول المدينة، ومعنى مكروا السيئات قال ابن عباس: عملوا السيئات يعني عبادة غير الله.

وقال قتادة: يعني الشرك.

وسمى عبادتهم غير الله مكرا لأن المكر في اللغة السعي بالفساد، ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ [النحل: ٤٥] كما خسف بقارون، ومعنى الاستفهام ههنا الإنكار، أي: يجب ألا يأمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين من قبلهم، ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ [النحل: ٤٥] قال ابن عباس: يعني يوم بدر.

يريد أنهم أهلكوا يوم بدر، وما كانوا يقدرون ذلك ولا يشعرونه.

﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ [النحل: ٤٦] في أسفارهم وتجارتهم، وقال مقاتل: يريد في تقلبهم في كل حال من الأحوال ليلا ونهارا، فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يمينا وشمالا.

﴿فما هم بمعجزين﴾ [النحل: ٤٦] بممتنعين ولا فائتين.

﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ [النحل: ٤٧] قال عامة المفسرين: على تنقص، إما بقتل أو بموت.

يعني تنقص من أطرافهم ونواحيهم، يأخذ منهم الأول فالأول حتى يأتي الأخذ على جميعهم، والتخوف: التنقص، يقال: هو يتخوف المال، أي: يتنقصه ويأخذ من أطرافه، ﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ [النحل: ٤٧] إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة والإهلاك، قال الزجاج: أي من رأفته أمهل وجعل فسحة للتوبة.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٣/١٣

قوله: أولم يروا قراءة العامة بالياء لأن ما قبله غيبة، وهو قوله: ﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب﴾ [النحل: ٤٥] ، ﴿أو يأخذهم﴾ [النحل: ٤٦] كذلك أولم يروا وقرأ حمزة بالتاء على أن الخطاب لجميع الناس، قوله: ﴿إلى ما خلق الله من شيء﴾ [النحل: ٤٨] أراد من." [1]

"شيء له ظل من جبل، وشجر، وبناء، وجسم قائم، يتفيأ يتفعل من الفيء، يقال: فاء الظل يفيء فيئا إذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه.

وتفيؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاب النهار، وقوله: ظلاله جمع ظل، وجمع هو مضاف إلى مفرد لأنه واحد يراد به الكثرة، ومثله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ [الزخرف: ١٣] ومعنى تفيؤ الظلال عن اليمين والشمائل، قال الكلبي: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك، فإذا ارتفعت كان على يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان يسارك، فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل، أي تميله عن جانب إلى جانب.

ووحد اليمين والمراد به الجمع إيجازا في اللفظ كقوله: يولون الدبر ودلت الشمائل على أن المراد به الجميع، وقوله: سجدا لله دورانه من جانب إلى جانب هو سجوده لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتسخير، وهذه الآية كقوله: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥] وقد مر بيانه، قوله: وهم داخرون أي صاغرون، يقال: دخر يدخر دخورا، فهو داخر، وهو الذي يفعل ما تأمره شاء أو أبى، قال الزجاج: يعني أن هذه الأشياء مجبولة على الطاعة.

قوله: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض﴾ [النحل: ٤٩] السجود على نوعين: سجود عبادة وطاعة كسجود المسلمين، وسجود هو خضوع وتذلل وهو سجود ما لا يعقل، وسجود الجمادات، وهذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى مدبر وصانع ساجدة، أي خاضعة متذللة، وقوله: من دابة قال ابن عباس: يريد كل ما دب على الأرض.

والملائكة أخرجهم بالذكر لخروجهم عن صفة الدبيب بما جعل لهم من الأجنحة، ﴿وهم لا يستكبرون﴾ [النحل: ٤٩] يريد عن عبادة الله، وهذا من صفة الملائكة خاصة لقوله: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] وفي هذه الآية قولان: أحدهما أن الآية من باب حذف المضاف على تقدير يخافون من عقاب **ربهم من فوقهم**، لأن أكثر ما يأتي الـعقاب المهلك إنما يأتي من فوق، والآخر: أن الله تعالى لما كان موصوفا بأنه علي متعال علو الرتبة في القدرة، حسن أن يقال: من فوقهم ليدل على أنه في أعلى مراتب

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٦٤

القادرين، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد، قال: ذلك مخافة الإجلال.

واختاره الزجاج، فقال: يخافون ربهم خوف مجلين.

ويدل على صحة هذا المعنى قوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] وقوله إخبارا عن فرعون: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ [الأعراف: ١٢٧] وذهب بعض الناس إلى أن قوله: من فوقهم من صفة الملائكة، والمعنى أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم، وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم، فلأن يخاف من دونهم أولى، وقوله: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠] يعني الملائكة، وهذا كقوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ [التحريم: ٦] .

قوله: ﴿." [1]

"وقيل: سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسخرت له.

وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل: ظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق" (فصلت-٥٣) .

﴿والملائكة﴾ خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والأرض تشريفا ورفعا لشأنهم.

وقيل: لخروجهم من الموصوفين بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها.

وقيل؛ أراد: ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة. ﴿وهم لا يستكبرون﴾

﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠) وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) ﴾

﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ كقوله: "وهو القاهر فوق عباده" (الأنعام-١٨) .

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا محمد بن سمعان، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الشعراني، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك يمجد الله، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولصعدتم

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٦٥/٣

إلى الصعدات تجأرون"، قال أبو ذر: "يا ليتني كنت شجرة تعضد". رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن أبي أحمد الزبيري، عن إسرائيل وقال: "إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله" (١) .

قوله تعالى: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾ ﴿وله ما في السماوات والأرض وله الدين﴾ الطاعة والإخلاص ﴿واصبا﴾ دائما ثابتا.

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله: ٦ / ٦٠١، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وابن ماجه في الزهد، باب الحزن والبكاء: ٢ / ١٤٠٢، وصححه الحاكم في المستدرك: ٢ / ٥١٠، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥ / ١٧٣. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤ / ٣٦٩-٣٧٠.." [1]

"التنقص. قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا. وأنشد البيت.

فقال عمر: أيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم، ولا يعاجلكم مع استحقاقكم.

[سورة النحل (١٦) : آية ٤٨]

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨)

قرئ: أو لم يروا. ويتفيؤا، بالياء والتاء. وما موصولة بخلق الله، وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين، بمعنى الأيمان. وسجدا حال من الظلال. وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله، لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل، وجمع بالواو، لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب. والمعنى: أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها، أى عن جانبي كل واحد منها. وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبى الشيء، أى: ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله، غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، والأجرام في أنفسها داخرة أيضا، صاغرة منقادة لأفعال الله فيها، لا تمتنع.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٩ الى ٥٠]

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٢٣

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الأرض جميعا، على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناسى في الأرض، وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الملائكة. وكرر ذكرهم على معنى: والملائكة خصوصا من بين الساجدين، لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم. ويجوز أن يراد بما في السموات: ملائكتهن.

وبقوله والملائكة: ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم، فإن قلت: سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم، «١» فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد؟ قلت: المراد بسجود

---

(١) . قال محمود: «إن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد ... الخ» ؟ قال أحمد: وهذا ما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه شمولا ولم يرد ذلك متناقضا، فان السجود يتناول هل المكلف حقيقة يتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه، وقد أريد جميعا من الآية، والزمخشري ينكر ذلك في مواضع مررت عليها من كتابه، هذا وظاهر مراده هاهنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف، وهو عدم الامتناع عند القدرية، وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئا فيهما جميعا، ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز، لأنه يأبى ذلك، ولا ينم له هذا المقصد في الآية- والله أعلم- لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوبا للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعا، الذي يكون ذكره سببا لفعلة سببية معتادة في عزائم السجود، لا القدر الأعم المشترك، والله أعلم.." [١]

"الشمس سجد كل شيء قبل القبلة من نبت أو شجر، ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت، وقال مجاهد إنما تسجد الظلال لا الأشخاص وقالت فرقة، منهم الطبري عبر عن الخضوع والطاعة وميلان الظل ودورانها بالسجود، وكما يقال للمشير برأسه على جهة الخضوع والطاعة وميلان الظل ساجد ومنه قول الشاعر: [الطويل]

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها ... كما سجدت نصرانة لم تحنف

والداخر المتصاغر المتواضع، ومنه قول ذي الرمة: [الطويل]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٦٠٩

فلم يبق إلا داخر في مخيس ... ومنجحر في غير أرضك في جحر

قوله عز وجل

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٩ الى ٥٥]

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠) وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣)

ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥)

وقعت ما في هذه الآية لما يعقل، قال الزجاج: قوله ما في السماوات يعم ملائكة السماء وما في السحاب وما في الجو من حيوان، وقوله وما في الأرض من دابة بين، ثم ذكر ملائكة الأرض في قوله والملائكة ويحتمل أن يكون قوله: والملائكة هو الذي يعم «السماوات والأرض» ، وما قبل ذلك لا يدخل فيه ملك، إنما هو للحيوان أجمع، وقوله يخافون ربهم عام لجميع الحيوان، وقوله من فوقهم يحتمل معنيين: أحدهما الفوقية التي يوصف بها الله تعالى فهي فوقية القدر والعظمة والقهر والسلطان، والآخر أن يتعلق قوله من فوقهم بقوله يخافون، أي يخافون عذاب ربهم من فوقهم، وذلك أن عادة عذاب الأمم إنما أتى من جهة فوق، وقوله ويفعلون ما يؤمرون أما المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة، وأما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم إلى ما نفد من أمر الله تعالى، وقوله وقال الله الآية، آية نهي من الله تعالى عن الإشراك به ومعناها لا تتخذوا إلهين اثنين فصاعدا، بما ينصه من قوله إنما هو إله واحد، قالت فرقة المفعول الأول ب تتخذوا قوله إلهين، وقوله اثنين تأكيد وبيان بالعدد، وهذا معروف في كلام العرب أن يبين المعدود بذكر عدده تأكيدا، ومنه قوله إله واحد لأن لفظ إله يقتضي الانفراد، وقال قوم منهم: المفعول الثاني محذوف تقديره معبودا أو مطاعا ونحو هذا، وقالت فرقة: المفعول الأول اثنين، والثاني قوله إلهين، وتقدير الكلام لا تتخذوا اثنين إلهين، ومثله قوله تعالى ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح [الإسراء:

٢- ٣] ففي هذه الآية على بعض الأقوال تقديم المفعول الأول ل تتخذوا، وقوله فإياي منصوب بفعل مضمر تقديره." (١)

"قوله تعالى: وأنزلنا إليك الذكر وهو القرآن بإجماع المفسرين لتبين للناس ما نزل إليهم فيه من حلال وحرام، ووعد ووعيد ولعلهم يتفكرون في ذلك فيعتبرون.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٥ الى ٤٧]

أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون (٤٥) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤف رحيم (٤٧)

قوله تعالى: أفأمن الذين مكروا السيئات قال المفسرون: أراد مشركي مكة. ومكرهم السيئات: شركهم وتكذيبهم، وسمي ذلك مكرا، لأن المكر في اللغة: السعي بالفساد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: ينبغي أن لا يأمنوا العقوبة، وكان مجاهد يقول: عنى بهذا الكلام نمرود بن كنعان. قوله تعالى: أو يأخذهم في تقلبهم فيه أربعة أقوال: أحدها: في أسفارهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: في منامهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: في ليلهم ونهارهم، قاله الضحاك وابن جريج ومقاتل. والرابع: أنه جميع ما يتقلبون فيه، قاله الزجاج. قوله تعالى: أو يأخذهم على تخوف فيه قولان: أحدهما: على تنقص، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. قال ابن قتيبة:

التخوف: التنقص، ومثله التخون. يقال: تخوفته الدهور وتخونته: إذا نقصته وأخذت من ماله وجسمه. وقال الهيثم بن عدي: التخوف: التنقص، بلغة أزد شنوءة. ثم في هذا التنقص ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تنقص من أعمالهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أخذ واحد بعد واحد، روي عن ابن عباس أيضا. والثالث: تنقص أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم، قاله الزجاج. والثاني: أنه التخوف نفسه، ثم فيه قولان: أحدهما: يأخذهم على خوف أن يعاقب أو يتجاوز، قاله قتادة. والثاني:

أنه يأخذ قرية لتخاف القرية الأخرى، قاله الضحاك. وقال الزجاج: يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية فتخاف التي تليها، فعلى هذا خوفهم قبل هلاكهم، فلم يتوبوا، فاستحقوا العذاب.

قوله تعالى: فإن ربكم لرؤف رحيم إذ لم يعجل بالعقوبة، وأمهل للتوبة.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٩٩/٣

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٨ الى ٥٠]
أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

قوله تعالى: أولم يروا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: «أو لم يروا» بالياء وقرأ حمزة، والكسائي: «تروا» بالتاء، واختلف عن عاصم. قوله تعالى: إلى ما خلق الله من شيء أراد من شيء له ظل، من جبل، أو شجر، أو جسم قائم يتفيؤا قرأ الجماعة بالياء، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بالتاء ظلاله وهو جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد، لأنه واحد يراد به الكثرة، كقوله تعالى: لتستووا على ظهوره «١» قال ابن قتيبة: ومعنى يتفيأ ظلاله: يدور ويرجع من جانب إلى جانب، والفيء: الرجوع، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق، قال

(١) سورة الزخرف: ١٣.." (١)

"ذهبت الشمس» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل، فتستأذن في الرجوع، فيؤذن لها، فكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها، ثم قرأ: والشمس تجري لمستقر لها «١» ، أخرجه البخاري ومسلم.

وأما النبات والشجر، فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء. أحدها: أن يكون سجودا لا نعلمه وهذا إذا قلنا: إن الله يودعه فهما. والثاني: أنه تفيؤ ظلاله. والثالث: بيان الصنعة فيه. والرابع: الانقياد لما سخر له.

قوله تعالى: والملائكة إنما أخرج الملائكة من الدواب لخروجهم بالأجنحة عن صفة الدبيب.

وفي قوله: وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون قولان:

أحدهما: أنه من صفة الملائكة خاصة، قاله ابن السائب، ومقاتل.

والثاني: أنه عام في جميع المذكورات، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وفي قوله: من فوقهم قولان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنه ثناء على الله تعالى، وتعظيم لشأنه، وتلخيصه: يخافون ربهم عاليا رفيعا عظيما. والثاني: أنه حال، وتلخيصه: يخافون ربهم معظمين له عالمين بعظيم سلطانه.

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٦٢/٢

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٥١ الى ٥٢]

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢)

قوله تعالى: وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين.

(٨٦٢) سبب نزولها: أن رجلا من المسلمين دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قال الزجاج: ذكر الاثنين توكيد، كما قال تعالى: إنما هو إله واحد.

قوله تعالى: وله الدين واصبا في المراد بالدين أربعة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص، قاله مجاهد. والثاني: العبادة، قاله سعيد بن جبير. والثالث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود، والفرائض، قاله عكرمة. والرابع: الطاعة، قاله ابن قتيبة.

وفي معنى «واصبا» أربعة أقوال. أحدها: دائما، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد والثوري واللغويون. قال أبو الأسود الدؤلي:

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه ... يوما بذم الدهر أجمع واصبا

عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيث أطلق، وهو ممن يضع الحديث.

- وقد ورد نحو هذا في آخر سورة الإسراء، وسيأتي.

---

(١) سورة يس: ٣٨.." (١)

"والنزول لا يكون إلا بأمر الله تعالى، ونظيره قوله تعالى: وما نتنزل إلا بأمر ربك [مريم: ٦٤] وقوله: لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء: ٢٧] وقوله: وهم من خشيته مشفقون [الأنبياء: ٢٨] وقوله: يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥] وقوله: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [التحريم: ٦] فكل هذه الآيات دالة على أنهم لا يقدمون على عمل من الأعمال إلا بأمر الله تعالى وإذنه،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٦٤/٢

وقوله: على من يشاء من عباده يريد الأنبياء الذين خصهم الله تعالى برسالته، وقوله: أن أنذروا قال الزجاج: أن بدل من الروح والمعنى: ينزل الملائكة بأن أنذروا، أي أعلموا الخلائق أنه لا إله إلا أنا، والإنذار هو الإعلام مع التخويف.

المسألة الثالثة: في الآية فوائد: الفائدة الأولى: أن وصول الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء لا يكون إلا بواسطة الملائكة، ومما يقوي ذلك أنه تعالى قال في آخر سورة البقرة: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله [البقرة: ٢٨٥] فبدأ بذكر الله سبحانه ثم أتبعه بذكر الملائكة، لأنهم هم الذين يتلقون الوحي من الله ابتداء من غير واسطة، وذلك الوحي هو الكتب، ثم إن الملائكة يوصلون ذلك الوحي إلى الأنبياء فلا جرم كان الترتيب الصحيح هو الابتداء بذكر الله تعالى، ثم بذكر الملائكة، ثم بذكر الكتب وفي الدرجة الرابعة بذكر الرسل.

إذا عرفت هذا فنقول: إذا أوحى الله تعالى إلى الملك فعلم ذلك الملك بأن ذلك الوحي وحي الله علم ضروري أو استدلالي. وبتقدير أن يكون استدلاليا فكيف الطريق إليه؟ وأيضا الملك إذا بلغ ذلك الوحي إلى الرسول فعلم الرسول بكونه ملكا صادقا لا شيطانا رجيما ضروري أو استدلالي فإن كان استدلاليا فكيف الطريق إليه؟ فهذه مقامات ضيقة، وتمام العلم بها لا يحصل إلا بالبحث عن حقيقة الملك وكيفية وحي الله إليه، وكيفية تبليغ الملك ذلك الوحي إلى الرسول. فأما إذا أجرينا هذه الأمور على الكلمات المألوفة صعب المرام وزال النظام، وذلك لأن آيات القرآن ناطقة بأن هذا الوحي والتنزيل إنما حصل من الملائكة أو نقول: هب أن آيات القرآن لم تدل على ذلك إلا أن احتمال كون الأمر كذلك قائم في بديهة العقل.

وإذا عرفت هذا فنقول: لا نعلم كون جبريل عليه السلام صادقا معصوما عن الكذب والتلبيس إلا بالدلائل السمعية، وصحة الدلائل السمعية موقوفة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق، وصدقه يتوقف على أن هذا القرآن معجز من قبل الله تعالى، لا من قبل شيطان خبيث، والعلم بذلك يتوقف على العلم بأن جبريل صادق محق مبرأ عن التلبيس وعن أفعال الشيطان، وحينئذ يلزم الدور، فهذا مقام صعب. أما إذا عرفنا حقيقة النبوة وعرفنا حقيقة الوحي زالت هذه الشبهة بالكلية، والله أعلم.

المسألة الرابعة: هذه الآية تدل على أن الروح المشار إليها بقوله: ينزل الملائكة بالروح من أمره ليس إلا لمجرد قوله: لا إله إلا أنا فاتقون وهذا كلام حق، لأن مراتب السعادات البشرية أربعة: أولها:

النفسانية، وثانيها: البدنية، وفي المرتبة الثالثة: الصفات البدنية التي لا تكون من اللوازم، وفي المرتبة الرابعة: الأمور المنفصلة عن البدن.

أما المرتبة الأولى: وهي الكمالات النفسانية، فاعلم أن النفس لها قوتان: إحداهما: استعدادها لقبول صور الموجودات من عالم الغيب، وهذه القوة هي القوة المسماة بالقوة النظرية، وسعادة هذه القوة في حصول." (١)

"تعالى: ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك [الزخرف: ٧٧] وأسماء جملتهم الزبانية قال تعالى: فليدع ناديه سندع الزبانية [العلق: ١٧، ١٨] وسادسها: الموكلون ببني آدم لقوله تعالى: عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق ١٧، ١٨] وقوله تعالى: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله [الرعد: ١١] وقوله تعالى: وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة [الأنعام: ٦١] . وسابعها: كتبة الأعمال وهو قوله تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [الانفطار: ١٠- ١٢] . وثامنها: الموكلون بأحوال هذا العالم وهم المرادون بقوله تعالى: والصافات صفا [الصافات: ١] وبقوله: والذاريات ذروا إلى قوله: فالمقسمات أمرا [الذاريات: ١، ٤] وبقوله:
والنازعات غرقا [النازعات: ١] . وعن ابن عباس قال: إن لله ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الأشجار، فإذا أصاب أحدكم حرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله يرحمكم الله. وأما أوصاف الملائكة فمن وجوه: أحدها: أن الملائكة رسل الله، قال تعالى: جاعل الملائكة رسلا [فاطر: ١] أما قوله تعالى: الله يصطفي من الملائكة رسلا [الحج: ٧٥] فهذا يدل على أن بعض الملائكة هم الرسل فقط، وجوابه أن من للتبيين لا للتبعيض. وثانيها: قربهم من الله تعالى، وذلك يمتنع أن يكون بالمكان والجهة فلم يبق إلا أن يكون ذلك القرب هو القرب بالشرف وهو المراد من قوله: ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته [الأنبياء: ١٩] وقوله: بل عباد مكرمون [الأنبياء: ٢٦] وقوله: يسبحون الليل والنهار لا يفترون [الأنبياء: ٢٠] وثالثها: وصف طاعاتهم وذلك من وجوه: الأول: قوله تعالى حكاية عنهم: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقال في موضع آخر وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون [الصافات: ١٦٦] والله تعالى ما كذبهم في ذلك فثبت بها مواظبتهم على العبادة. الثاني: مبادرتهم إلى امتثال أمر الله تعظيما له وهو قوله: فسجد الملائكة كلهم أجمعون [الحجر: ٣٠] . الثالث: أنهم لا يفعلون شيئا إلا بوحيه وأمره وهو قوله:
/ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء: ٢٧] . ورابعها: وصف قدرتهم وذلك من وجوه: الأول: أن حملة العرش وهم ثمانية يحملون العرش والكرسي ثم إن الكرسي الذي هو أصغر من العرش أعظم من

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩/١٧٠

جملة السموات السبع لقوله: وسع كرسيه السماوات والأرض [البقرة: ٢٥٥] فانظر إلى نهاية قدرتهم وقوتهم. الثاني: أن علو العرش شيء لا يحيط به الوهم ويدل عليه قوله: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [المعارج: ٤] ثم إنهم لشدة قدرتهم ينزلون منه في لحظة واحدة. الثالث: قوله تعالى: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون [الزمر: ٦٨] فصاحب الصور يبلغ في القوة إلى حيث أن بنفخة واحدة منه يصعق من في السموات والأرض، وبالنفخة الثانية منه يعودون أحياء. فاعرف منه عظم هذه القوة. والرابع: أن جبريل عليه السلام بلغ في قوته إلى أن قلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة. وخامسها: وصف خوفهم ويدل عليه وجوه: الأول: أنهم مع كثرة عباداتهم وعدم إقدامهم على الزلات البتة يكونون خائفين وجلين حتى كأن عبادتهم معاصي قال تعالى: يخافون **ربهم من فوقهم** [النحل: ٥٠] وقال: وهم من خشيته مشفقون [الأنبياء: ٢٨] . الثاني: قوله تعالى: حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير [سبأ: ٢٣]

روي في التفسير أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعه أهل السموات مثل صوت السلسلة على الصفوان ففزعوا فإذا انقضى الوحي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير،." (١)

"أحدهما: أنه آدم عليه السلام. وقوله: أتجعل فيها من يفسد فيها المراد ذريته لا هو، والثاني: أنه ولد آدم، أما الذين قالوا المراد آدم عليه السلام فقد اختلفوا في أنه تعالى لم سماه خليفة وذكروا فيه وجهين: الأول: بأنه تعالى لما نفى الجن من الأرض وأسكن آدم الأرض كان آدم عليه السلام خليفة لأولئك الجن الذين تقدموه.

يروى ذلك عن ابن عباس. الثاني: إنما سماه الله خليفة لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي متأكد بقوله: إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق [ص: ٢٦] أما الذين قالوا المراد ولد آدم فقالوا: إنما سماهم خليفة لأنهم يخلف بعضهم بعضا وهو/ قول الحسن ويؤكده قوله: وهو الذي جعلكم خلائف الأرض والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى وقرئ خليقة بالقاف. فإن قيل ما الفائدة في أن قال الله تعالى للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة مع أنه منزه عن الحاجة إلى المشورة والجواب من وجهين: الأول: أنه تعالى علم أنهم إذا اطلعوا على ذلك السر أوردوا عليه ذلك السؤال فكانت المصلحة تقتضي إحاطتهم بذلك الجواب فعرفهم هذه الواقعة لكي يوردوا ذلك السؤال ويسمعوا ذلك الجواب. الوجه الثاني: أنه تعالى علم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨٧/٢

عباده المشاورة. وأما قوله تعالى: قالوا أتجعل فيها إلى آخر الآية، ففيه مسائل:

المسألة الأولى: الجمهور الأعظم من علماء الدين اتفقوا على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب ومن الحشوية من خالف في ذلك ولنا وجوه: الأول: قوله تعالى: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [التحريم: ٦] إلا أن هذه الآية مختصة بملائكة النار فإذا أردنا الدلالة العامة تمسكنا بقوله تعالى: يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥٠] فقوله ويفعلون ما يؤمرون يتناول جميع فعل المأمورات وترك المنهيات لأن المنهي عن الشيء مأمور بتركه. فإن قيل ما الدليل على أن قوله ويفعلون ما يؤمرون يفيد العموم قلنا لأنه لا شيء من المأمورات إلا ويصح الاستثناء منه والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل على ما بيناه في أصول الفقه. والثاني: قوله تعالى: بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء: ٢٦- ٢٧] فهذا صريح في براءتهم عن المعاصي وكونهم متوقفين في كل الأمور إلا بمقتضى الأمر والوحي. والثالث: أنه تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في البشر بالمعصية ولو كانوا من العصاة لما حسن منهم ذلك الطعن الرابع: أنه تعالى حكى عنهم أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومن كان كذلك امتنع صدور المعصية منه واحتج المخالف بوجوه: الأول: أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهذا يقتضي صدور الذنب عنهم ويدل على ذلك وجوه:

أحدها: أن قولهم: أتجعل فيها. هذا اعتراض على الله تعالى وذلك من أعظم الذنوب. وثانيها: أنهم طعنوا في بني آدم بالفساد والقتل وذلك غيبة والغيبة من كبائر الذنوب. وثالثها: أنهم بعد أن طعنوا في بني آدم مدحوا أنفسهم بقولهم: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وأنهم قالوا: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون [الصافات: ١٦٥، ١٦٦] وهذا للحصر فكأنهم نفوا كون غيرهم كذلك وهذا يشبه العجب والغيبة وهو من الذنوب المهلكة قال عليه السلام. (ثلاث مهلكات، وذكر فيها إعجاب المرء بنفسه) . وقال تعالى: فلا تزكوا أنفسكم [النجم: ٣٢] . ورابعها: أن قولهم لا علم لنا إلا ما علمتنا يشبه الاعتذار فلولا تقدم الذنب وإلا لما اشتغلوا بالعذر. وخامسها: أن قوله: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين [البقرة: ٣١] يدل على أنهم." [1]

"جهة تفضيل وتعظيم. أما أولا فبالإجماع. وأما ثانيا فلقوله تعالى: والسابقون السابقون أولئك المقربون [الواقعة: ١٠، ١١] وأما ثالثا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢/٣٨٩

فلقوله عليه السلام: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» فهذا يقتضي أن يكون قد حصل الملائكة من الثواب كل ما حصل للأنبياء مع زيادة الثواب التي استحقوها بأفعالهم التي أتوا بها قبل خلق البشر. ولقائل أن يقول، فهذا يقتضي أن يكون آدم عليه السلام أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أول من سن عبادة الله تعالى من البشر وأول من سن دعوة الكفار إلى الله تعالى ولما كان ذلك باطلا بالإجماع بطل ما ذكروه والتحقيق فيه ما قدمناه أن كثرة الثواب تكون بأمر يرجع إلى النية فيجوز أن تكون نية المتأخر أصفى فيستحق من الثواب أكثر ما يستحقه المتقدم، وخامسها: أن الملائكة رسل الأنبياء والرسول أفضل من الأمة فالملائكة أفضل من الأنبياء. أما أن الملائكة رسل إلى الأنبياء فلقوله تعالى: علمه شديد القوى [النجم: ٥] وقوله: نزل به الروح الأمين على قلبك [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وأما أن الرسول أفضل من الأمة فبالقياس على أن الأنبياء من البشر أفضل من أممهم فكذا هاهنا. فإن قيل: العرف أن السلطان إذا أرسل واحدا إلى جمع عظيم ليكون حاكما فيهم ومتوليا لأمورهم فذلك الرسول يكون أشرف من ذلك الجمع، أما إذا أرسل واحدا إلى واحد فقد لا يكون الرسول أشرف من المرسل إليه كما إذا أرسل واحدا من عبيده إلى وزيره في مهم فإنه لا يلزم أن يكون ذلك العبد أشرف من الوزير. قلنا، لكن جبريل عليه السلام مبعوث إلى كافة الأنبياء والرسل من البشر فلزم على هذا القانون الذي ذكره السائل أن يكون جبريل عليه السلام أفضل منهم. واعلم أن هذه الحجة يمكن تقريرها على وجه آخر وهو أن الملائكة رسل لقوله تعالى: جاعل الملائكة رسلا [فاطر: ١] ثم لا يخلو الحال من أحد أمرين إما أن يكون الملك رسولا إلى ملك آخر أو إلى واحد من الأنبياء الذين هم من البشر وعلى التقديرين فالملك رسول وأمته رسل وأما الرسول البشري فهو رسول لكن أمته ليسوا برسل والرسول الذي كل أمته رسل أفضل من الرسول الذي لا يكون كذلك فثبت فضل الملك على البشر من هذه الجهة ولأن إبراهيم عليه السلام كان رسولا إلى لوط عليه السلام فكان أفضل منه وموسى عليه السلام كان رسولا إلى الأنبياء الذين كانوا في عسكره وكان أفضل منهم فكذا هاهنا. ولقائل أن يقول الملك إذا أرسل رسولا إلى بعض النواحي قد يكون ذلك لأنه جعل ذلك الرسول حاكما عليهم ومتوليا لأمورهم ومتصرفا في أحوالهم وقد لا يكون لأنه يبعثه إليهم ليخبرهم عن بعض الأمور مع أنه لا يجعله حاكما عليهم ومتوليا لأمورهم فالرسول في القسم الأول يجب أن يكون أفضل من المرسل إليه أما في القسم الثاني فظاهر أنه لا يجب أن يكون أفضل من المرسل إليه فالأنبياء المبعوثون إلى أممهم من القسم الأول فلا جرم كانوا أفضل من الأمم فلم قلتم إن بعثة الملائكة إلى الأنبياء من/ القسم الأول حتى يلزم أن يكونوا أفضل من الأنبياء، وسادسها: أن الملائكة أتقى

من البشر فوجب أن يكونوا أفضل من البشر أما إنهم أتقى فلأنهم مبرؤون عن الزلات وعن الميل إليها لأن خوفهم دائم وإشفاقهم دائم لقوله تعالى: يخافون ربهم من فوقهم [النحل: ٥٠] وقوله: وهم من خشيته مشفقون [الأنبياء: ٢٨] والخوف والإشفاق ينافيان العزم على المعصية وأما الأنبياء عليهم السلام فهم مع أنهم أفضل البشر ما خلا كل واحد منهم عن نوع زلة

وقال عليه الصلاة والسلام «ما منا من أحد إلا عصى أو هم بمعصية غير يحيى بن ذكريا عليهما السلام فثبت أن تقوى الملائكة أشد فوجب أن يكونوا أفضل من البشر لقوله تعالى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: ١٣] فإن قيل: إن قوله: إن أكرمكم عند الله أتقاكم خطاب مع الآدميين فلا يتناول الملائكة وأيضا فالتقوى مشتق من الوقاية ولا شهوة في حق الملائكة فيستحيل." (١)

"هذا أخذا ورد عليهم بعد أن يمر بهم قبل ذلك زمانا طويلا في الخوف والوحشة.

والقول الثاني: أن التخوف هو التنقص قال ابن الأعرابي يقال: تخوفت الشيء وتخيفته إذا تنقصته، وعن عمر أنه قال على المنبر: ما تقولون في هذه الآية؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا التخوف التنقص، فقال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال نعم: قال شاعرنا وأنشد:

تخوف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر: أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم.

إذا عرفت هذا فنقول: هذا التنقص يحتمل أن يكون المراد منه ما يقع في أطراف بلادهم كما قال تعالى: أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها [الأنبياء: ٤٤] والمعنى أنه تعالى لا يعاجلهم بالعذاب ولكن ينقص من أطراف بلادهم إلى القرى التي تجاورهم حتى يخلص الأمر إليهم فحينئذ يهلكهم. ويحتمل أن يكون المراد أنه ينقص أموالهم وأنفسهم قليلا قليلا حتى يأتي الفناء على الكل فهذا تفسير هذا الأمور الأربعة، والحاصل أنه تعالى خوفهم بخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة واحدة حال ما لا يكونون عالمين بعلاماتها ودلائلها، أو بآفات تحدث قليلا قليلا إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم ختم الآية بقوله: فإن ربكم لرؤف رحيم والمعنى أنه يمهل في أكثر الأمر لأنه رؤوف رحيم فلا يعاجل بالعذاب.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٨ الى ٥٠]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢/٤٣٣

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

[في قوله تعالى أولم يروا إلى ما خلق الله إلى قوله وهم داخرون] في الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى لما خوف المشركين بالأنواع الأربعة المذكورة من العذاب أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال العالم العلوي والسفلي وتدبير أحوال الأرواح والأجسام، ليظهر لهم أن مع كمال هذه القدرة القاهرة، والقوة الغير المتناهية لا يعجز عن إيصال العذاب إليهم على أحد تلك الأقسام الأربعة.

المسألة الثانية: قرأ حمزة والكسائي: أولم تروا بالتاء على الخطاب، وكذلك في سورة العنكبوت: أولم تروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده [العنكبوت: ١٩] بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء فيهما كناية عن الذين مكروا السيئات، وأيضا أن ما قبله غيبة وهو قوله: أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب ... أو يأخذهم [النحل: ٤٥، ٤٦] فكذا قوله: أولم يروا وقرأ أبو عمرو وحده: تتفيؤا بالتاء والباقون بالياء، وكلاهما جائز لتقدم الفعل على الجمع.

المسألة الثالثة: قوله أولم يروا إلى ما خلق الله لما كانت الرؤية هاهنا بمعنى النظر وصلت بإلى، لأن." (١)

"وهو التواضع والانقياد، والدليل عليه أن اللائق بالدابة ليس إلا هذا السجود ومنهم من قال: المراد بالسجود هاهنا هو المعنى الأول، لأن اللائق بالملائكة هو السجود بهذا المعنى لأن السجود بالمعنى الثاني حاصل في كل الحيوانات والنباتات والجمادات، ومنهم من قال: السجود لفظ مشترك بين المعنيين، وحمل اللفظ المشترك لإفادة مجموع معنييه جائز، فحمل لفظ السجود في هذه الآية على الأمرين معا، أما في حق الدابة فبمعنى التواضع، وأما في حق الملائكة فبمعنى سجود المسلمين لله تعالى، وهذا القول ضعيف، لأنه ثبت أن استعمال اللفظ المشترك لإفادة جميع مفهوماته معا غير جائز.

المسألة الثانية: قوله: من دابة قال الأخفش: يريد من الدواب وأخبر بالواحد كما تقول ما أتاني من رجل مثله، وما أتاني من الرجال مثله، وقال ابن عباس: يريد كل ما دب على الأرض.

المسألة الثالثة: لقائل أن يقول: ما الوجه في تخصيص الدواب والملائكة بالذكر؟ فنقول فيه وجوه:

الوجه الأول: أنه تعالى بين في آية الظلال أن الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى وبين بهذه الآية أن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢١٣

الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى، لأن أخسها الدواب وأشرفها الملائكة، فلما بين في أخسها وفي أشرفها كونها منقادة لله تعالى كان ذلك دليلا على أنها بأسرها منقادة خاضعة لله تعالى.

والوجه الثاني: قال حكماء الإسلام: الدابة اشتقاقها من الدبيب، والدبيب عبارة عن الحركة الجسمانية، فالدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب، فلما بين الله تعالى الملائكة عن الدابة علمنا أنها ليست مما يدب، بل هي أرواح محضة مجردة، ويمكن الجواب عنه بأن الجناح للطيران مغاير للدبيب بدليل قوله تعالى:

وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه [الأنعام: ٣٨] والله أعلم.

أما قوله تعالى: وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ففيه مسائل:

المسألة الأولى: المقصود من هذه الآية شرح صفات الملائكة وهي دلالة قاهرة قاطعة على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب، لأن قوله: وهم لا يستكبرون يدل على أنهم منقادون لصانعهم وخالقهم وأنهم ما خالفوه في أمر من الأمور، ونظيره قوله تعالى: وما نتنزل إلا بأمر ربك [مريم: ٦٤] وقوله: لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء: ٢٧] وأما قوله: ويفعلون ما يؤمرون فهذا أيضا/ يدل على أنهم فعلوا كل ما كانوا مأمورين به، وذلك يدل على عصمتهم عن كل الذنوب.

فإن قالوا: هب أن هذه الآية تدل على أنهم فعلوا كل ما أمروا به فلم قلتم إنها تدل على أنهم تركوا كل ما نهوا عنه؟

قلنا: لأن كل ما نهي عن شيء فقد أمر بتركه، وحينئذ يدخل في اللفظ، وإذا ثبت بهذه الآية كون الملائكة معصومين من كل الذنوب، وثبت أن إبليس ما كان معصوما من الذنوب بل كان كافرا، لزم القطع بأن إبليس ما كان من الملائكة.

والوجه الثاني: في بيان هذا المقصود أنه تعالى قال في صفة الملائكة: وهم لا يستكبرون ثم قال لإبليس: أستكبرت أم كنت من العالين [ص: ٧٥] وقال أيضا له: فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها [الأعراف: ١٣] فثبت أن الملائكة لا يستكبرون وثبت أن إبليس تكبر واستكبر فوجب أن لا يكون من." (١)

"الملائكة وأيضا لما ثبت بهذه الآية وجوب عصمة الملائكة، ثبت أن القصة الخبيثة التي يذكرونها في حق هاروت وماروت كلام باطل، فإن الله تعالى وهو أصدق القائلين لما شهد في هذه الآية على عصمة الملائكة وبراءتهم عن كل ذنب، وجب القطع بأن تلك القصة كاذبة باطلة والله أعلم. واحتج الطاعنون في

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٧/٢٠

عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا: إنه تعالى وصفهم بالخوف، ولولا أنهم يجوزون على أنفسهم الإقدام على الكبائر والذنوب وإلا لم يحصل الخوف.

والجواب من وجهين: الأول: أنه تعالى منذرهم من العقاب فقال: ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم [الأنبياء: ٢٩] وهم لهذا الخوف يتركون الذنب. والثاني: وهو الأصح أن ذلك الخوف خوف الإجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، والدليل على صحته قوله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء [فاطر: ٢٨] وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم، كان الخوف منه أعظم، وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء والله أعلم.

المسألة الثانية: قالت المشبهة قوله تعالى: يخافون **ربهم من فوقهم** هذا يدل على أن الإله تعالى فوقهم بالذات.

واعلم أنا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى: وهو القاهر فوق عباده [الأنعام: ١٨] والذي نزيده هاهنا أن قوله: يخافون **ربهم من فوقهم** معناه يخافون ربهم من أن ينزل عليهم العذاب من فوقهم، وإذا كان اللفظ محتملا لهذا المعنى سقط قولهم، وأيضا يجب حمل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة والقهر كقوله: وإنا فوقهم قاهرون [الأعراف: ١٢٧] والذي يقوي هذا الوجه أنه تعالى لما قال: يخافون **ربهم من فوقهم** وجب أن يكون المقتضى لهذا الخوف هو كون ربهم فوقهم لما ثبت/ في أصول الفقه أن الحكم المرتب على الوصف يشعر بكون الحكم معللا بذلك الوصف.

إذا ثبت هذا فنقول: هذا التعطيل إنما يصح لو كان المراد بالفوقية الفوقية بالقهر والقدرة لأنها هي الموجبة للخوف، أما الفوقية بالجهة والمكان فهي لا توجب الخوف بدليل أن حارس البيت فوق الملك بالمكان والجهة مع أنه أخس عبيده فسقطت هذه الشبهة.

المسألة الثالثة: دلت هذه الآية على أن الملائكة مكلفون من قبل الله تعالى وأن الأمر والنهي متوجه عليهم كسائر المكلفين، ومتى كانوا كذلك وجب أن يكونوا قادرين على الخير والشر.

المسألة الرابعة: تمسك قوم بهذه الآية في بيان أن الملك أفضل من البشر من وجوه:

الوجه الأول: أنه تعالى قال: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وذكرنا أن تخصيص هذين النوعين بالذكر إنما يحسن إذا كان أحد الطرفين أخس المراتب وكان الطرف الثاني أشرفها حتى يكون ذكر هذين الطرفين منبها على الباقي، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الملائكة أشرف خلق الله تعالى.

الوجه الثاني: أن قوله تعالى: وهم لا يستكبرون يدل على أنه ليس في قلوبهم تكبر وترفع وقوله: ويفعلون ما يؤمرون يدل على أن أعمالهم خالية عن الذنب والمعصية، فمجموع هذين الكلامين يدل على أن بواطنهم وظواهرهم مبرأة عن الأخلاق الفاسدة والأفعال الباطلة، وأما البشر فليسوا كذلك. ويدل عليه القرآن." (١)

"والخبر، أما القرآن فقوله تعالى: قتل الإنسان ما أكفره [عبس: ١٧] وهذا الحكم عام في الإنسان، وأقل مراتبه أن تكون طبيعة الإنسان مقتضية لهذه الأحوال الذميمة، وأما الخبر

فقوله عليه السلام: «ما منا إلا وقد عصى أو هم بالمعصية غير يحيى بن زكريا»

ومن المعلوم بالضرورة أن المبرأ عن المعصية والهم بها أفضل ممن عصى أو هم بها.

الوجه الثالث: أنه لا شك أن الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بأدوار متطاولة وأزمان ممتدة، ثم إنه وصفهم بالطاعة والخضوع والخشوع طول هذه المدة، وطول العمر مع الطاعة يوجب مزيد الفضيلة لوجهين: الأول:

قوله عليه السلام: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»

فضل الشيخ على الشاب، وما ذاك إلا لأنه لما كان عمره أطول فالظاهر أن طاعته أكثر فكان أفضل. والثاني:

أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة

فلما كان شروع الملائكة في الطاعات قبل شروع البشر فيها لزم أن يقال إنهم هم الذين سنوا هذه السنة الحسنة، وهي طاعة الخالق القديم الرحيم، والبشر إنما جاءوا بعدهم واستنوا سنتهم، فوجب بمقتضى هذا الخبر أن كل ما حصل للبشر من الثواب فقد حصل مثله للملائكة ولهم ثواب القدر الزائد من الطاعة فوجب كونهم أفضل من غيرهم.

الوجه الرابع: في دلالة الآية على هذا المعنى قوله: يخافون **ربهم من فوقهم** وقد بينا بالدليل أن هذه الفوقية عبارة عن الفوقية بالرتبة والشرف والقدرة والقوة، فظاهر الآية يدل على أنه لا شيء فوقهم في الشرف والرتبة إلا الله تعالى، وذلك يدل على كونهم أفضل المخلوقات والله أعلم.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٥١ الى ٥٥]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٨/٢٠

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥)

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن كل ما سوى الله سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام، فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه، أتبعه في هذه الآية بالنهي عن الشرك وبالأمر بأن كل ما سواه فهو ملكه وملكه وأنه غني عن الكل فقال: لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: لقائل أن يقول: إن الإلهين لا بد وأن يكونا اثنين، فما الفائدة في قوله: إلهين اثنين.

وجوابه من وجوه: أحدها: قال صاحب «النظم» : فيه تقديم وتأخير، والتقدير: لا تتخذوا اثنين إلهين.

وثانيها: وهو الأقرب عندي أن الشيء إذا كان مستنكرا مستقبحا، فمن أراد المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سببا لوقوف العقل على ما فيه من القبح.

إذا عرفت هذا فالقول بوجود الإلهين قول مستقبح في العقول، ولهذا المعنى فإن أحدا من العقلاء لم يقل بوجود إلهين متساويين في الوجوب والقدم وصفات الكمال، فقوله: لا تتخذوا إلهين اثنين المقصود." [1]

"يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥٠] وأما أهل الأرض فليس الأمر في حقهم كذلك وثالثها: السماء موصوفة بكمال الحال في جميع الأمور، قالوا إنها أفضل الألوان وهي المستنيرة، وأشكالها أفضل الأشكال وهي المستديرة، ومكانها أفضل الأمكنة وهو الجو العالي، وأجرامها أفضل الأجرام وهي الكواكب المتلألئة بخلاف الأرض فإنها مكان الظلمة والكثافة واختلاف الأحوال وتغير الذوات والصفات، فلا جرم وقع التعبير عن تكون السماء بالطوع وعن تكون الأرض بالكره، وإذا كان مدار خلق الأرض على الكره كان أهلها موصوفين أبدا بما يوجب الكره والكرب والقهر والقسر.

السؤال الثاني: ما المراد من قوله ائتيا ومن قوله أتينا؟، الجواب: المراد ائتيا إلى الوجود والحصول وهو كقوله كن فيكون [البقرة: ١١٧] وقيل المعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف، أي بأرض مدحوة قرارا ومهادا وأي بسماء مقببة سقفا لهم، ومعنى الإتيان الحصول والوقوع على وفق المراد، كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا، ويجوز أيضا أن يكون المعنى لتأتي كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي تقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض.

السؤال الثالث: هلا قيل طائعين على اللفظ أو طائعات على المعنى، لأنهما سموات وأرضون؟ الجواب:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢١٩

لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين [الأعراف: ١٢٠] ومنهم من استدل به على كون السموات أحياء وقال الأرض في جوف السموات أقل من الذرة الصغيرة في جوف الجبل الكبير، فلهذا السبب صارت اللفظة الدالة العقل والحياة غالبة، إلا أن هذا القول باطل، لإجماع المتكلمين على فساده.

ثم قال تعالى: فقضاهن سبع سماوات في يومين وقضاء الشيء إنما هو إتمامه والفراغ منه والضمير في قوله فقضاهن يجوز أن يرجع إلى السماء عىى المعنى كما قال: طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية [الحاقة: ٧] ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز.

ذكر أهل الأثر أنه تعالى خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين وخلق سائر ما في الأرض في يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة، فإن قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك إنما يحصل بسبب طلوع الشمس وغروبها، وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم؟ قلنا معناه إنه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا بيوم.

ثم قال تعالى: وأوحى في كل سماء أمرها قال مقاتل أمر في كل سماء بما أراد، وقال قتادة خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها، وقال السدي خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد، قال ولله في كل سماء بيت يحج إليه ويطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل الكعبة ولو وقعت منه حصاة ما وقعت إلا على الكعبة، والأقرب أن يقال قد ثبت في علم النحو أنه يكفي في حسن الإضافة أدنى سبب، ولله تعالى على أهل كل سماء تكليف خاص، فمن الملائكة من هو في القيام من أول خلق العالم إلى قيام القيامة، ومنهم ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون، وإذا كان ذلك الأمر مختصا بأهل ذلك السماء كان ذلك الأمر." (١)

"الجلال والهيبة فلا يزول البتة عن العبد، ألا ترى أن الملائكة مع علو درجاتهم وكمال عصمتهم لا يزول الخوف عنهم فقال تعالى: يخافون **ربهم من فوقهم** [النحل: ٥٠] وهذه المسألة سبقت بالاستقصاء في آيات كثيرة منها قوله تعالى: لا يحزنهم الفزع الأكبر [الأنبياء: ١٠٣] .

ثم قال تعالى: أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة: هذه الآية تدل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٤٨/٢٧

على مسائل أولها: قوله تعالى: أولئك أصحاب الجنة وهذا يفيد الحصر، وهذا يدل على أن أصحاب الجنة ليسوا إلا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وهذا يدل على أن صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة وثانيها: قوله تعالى: جزاء بما كانوا يعملون وهذا يدل على فساد قول من يقول: الثواب فضل لا جزاء وثالثها: أن قوله تعالى: بما كانوا يعملون يدل على إثبات العمل للعبد ورابعها: أن هذا يدل على أنه يجوز أن يحصل الأثر في حال المؤثر، أو أي أثر كان موجودا قبل ذلك بدليل أن العمل المتقدم أوجب الثواب المتأخر وخامسها: كون العبد/ مستحقا على الله تعالى، وأعظم أنواع هذا النوع الإحسان إلى الوالدين، لا جرم أردفه بهذا المعنى، فقال تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وقد تقدم الكلام في نظير هذه الآية في سورة العنكبوت، وفي سورة لقمان، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ عاصم وحمزة والكسائي بوالديه إحسانا والباقون حسنا.

واعلم أن الإحسان خلاف الإساءة والحسن خلاف القبيح، فمن قرأ إحسانا فحجته قوله تعالى في سورة بني إسرائيل وبالوالدين إحسانا [الإسراء: ٤٣] والمعنى أمرناه بأن يوصل إليهما إحسانا، وحجة القراءة الثانية قوله تعالى في العنكبوت ووصينا الإنسان بوالديه حسنا [العنكبوت: ٨] ولم يختلفوا فيه، والمراد أيضا أنا أمرناه بأن يوصل إليهما فعلا حسنا، إلا أنه سمى ذلك الفعل الحسن بالحسن على سبيل المبالغة، كما يقال: هذا الرجل علم وكرم، وانتصب حسنا على المصدر، لأن معنى ووصينا الإنسان بوالديه أمرناه أن يحسن إليهما إحسانا.

ثم قال تعالى: حملته أمه كرها ووضعته كرها وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي كرها بضم الكاف، والباقون بفتحها، قيل هما لغتان: مثل الضعف والضعف، والفقر والفقر، ومن غير المصادر: الدف والدف، والشهد والشهد، قال الواحدي: الكره مصدر من كرهت الشيء أكرهه، والكره الاسم كأنه الشيء المكروه قال تعالى: كتب عليكم القتال وهو كره لكم [البقرة: ٢١٦] فهذا بالضم، وقال: أن ترثوا النساء كرها [النساء: ١٩] فهذا في موضع الحال، ولم يقرأ الثانية بغير الفتح، فما كان مصدرا أو في موضع الحال فالفتح فيه أحسن، وما كان اسما نحو ذهبت به على كره كان الضم فيه أحسن.

المسألة الثانية: قال المفسرون. حملته أمه على مشقة ووضعته في مشقة، وليس يريد ابتداء الحمل، فإن ذلك لا يكون مشقة، وقد قال تعالى: فلما تغشاها حملت حملا خفيفا [الأعراف: ١٨٩] يريد ابتداء

الحمل، فإن ذلك لا يكون مشقة، فالحمل نطفة وعلقة ومضغة، فإذا أثقلت فحينئذ حملته كرها ووضعته كرها يريد شدة الطلق.." (١)

"تشبه النحاس تنبسط على الأرض كلها، والمملكة الرابعة تكون قوتها مثل الحديد، وأما الرجل التي كان بعضها من خزف فإن بعض المملكة يكون عزيزا وبعضها يكون ذليلا وتكون كلمة الملك متفرقة ويقيم إله السماء في تلك الأيام مملكة أبدية لا تتغير ولا تزول وإنها تزيل جميع الممالك وسلطانها يبطل جميع السلاطين وتقوم هي إلى الدهر الداهر فهذا تفسير الحجر الذي رأيت أنه يقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخزف والله أعلم بما يكون في آخر الزمان. فهذه هي البشارات الواردة في الكتب المتقدمة بمبعث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما قوله تعالى: أوف بعهدكم فقالت المعتزلة: ذلك العهد هو ما دل العقل عليه من أن الله تعالى يجب عليه إيصال الثواب إلى المطيع وصح وصف ذلك الوجوب بالعهد لأنه بحيث يجب الوفاء به فكان ذلك أوكد من العهد بالإيجاب بالنذر واليمين: وقال أصحابنا: إنه لا يجب للعبد على الله شيء، وفي هذه الآية ما يدل على ذلك لأنه تعالى لما قدم ذكر النعم، ثم رتب عليه الأمر بالوفاء بالعهد دل على أن تلك النعم السالفة توجب عهد العبودية، وإذا كان كذلك كان أداء العبادات أداء لما وجب بسبب النعم السالفة وأداء الواجب لا يكون سببا لواجب آخر، فثبت أن أداء التكاليف لا يوجب الثواب فبطل قول المعتزلة بل التفسير الحق من وجهين: الأول:

أنه تعالى لما وعد بالثواب وكل ما وعد به استحال أن لا يوجد، لأنه لو لم يوجد لانقلب خبره الصدق كذبا والكذب عليه محال، والمفضي إلى المحال محال فكان ذلك واجب الوقوع فكان ذلك آكد مما ثبت باليمين والنذر، الثاني: أن يقال العهد هو الأمر والعبد يجوز أن يكون مأمورا إلا أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مأمورا لكنه سبحانه وتعالى جرى في ذلك على موافقة اللفظ كقوله: يخادعون الله وهو خادعهم [النساء: ١٤٢] ، ومكروا ومكر الله [آل عمران: ٥٤] وأما قوله: وإياي فارهبون فاعلم أن الرهبة هي الخوف قال المتكلمون: الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه وقد يقال في المكلف إنه خائف على وجهين: أحدهما: مع العلم والآخر مع الظن، أما العلم فإذا كان على يقين من أنه أتى بكل ما أمر به واحترز عن كل ما نهي عنه فإن خوفه إنما يكون عن المستقبل وعلى هذا نصف الملائكة والأنبياء عليهم السلام بالخوف والرهبة. قال تعالى:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٢٨

يخافون **ربهم من فوقهم** [النحل: ٥٠] وأما الظن فإذا لم يقطع بأنه فعل المأمورات واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف أن لا يكون من أهل الثواب، واعلم أن كل من كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس.

روي: «أنه ينادي مناد يوم القيامة وعزتي وجلالي إني لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من أمنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا أمنته يوم/ القيامة»

وقال العارفون: الخوف خوفان خوف العقاب وخوف الجلال، والأول: نصيب أهل الظاهر، والثاني: نصيب أهل القلب، والأول: يزول، والثاني: لا يزول. واعلم أن في الآية دلالة على أن كثرة النعم تعظم المعصية، ودلالة على ما تقدم العهد يعظم المخالفة ودلالة على أن الرسول كما كان مبعوثا إلى العرب كان مبعوثا إلى بني إسرائيل. وقوله: وإياي فارهبون يدل على أن المرء يجب أن لا يخاف أحدا إلا الله تعالى، وكما يجب ذلك في الخوف فكذا في الرجاء والأمل وذلك يدل على أن الكل بقضاء الله وقدره إذ لو كان العبد مستقلا بالفعل لوجب أن يخاف منه كما يخاف من الله تعالى وحينئذ يبطل الحصر الذي دل عليه قوله تعالى: وإياي فارهبون بل كان يجب أن لا يرهب إلا نفسه، لأن مفاتيح الثواب والعقاب بيده لا بيد الله تعالى فوجب أن لا يخاف إلا نفسه وأن لا يخاف." (١)

"أما قوله: وما بعضهم بتابع قبلة بعض قال القفال: هذا يمكن حمله على الحال وعلى الاستقبال، أما على الحال فمن وجوه. الأول: أنهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن إرضاؤهم باتباعها.

الثاني: أن اليهود والنصارى مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك إلى ترك قبلتك مع أنهم فيما بينهم مختلفون. الثالث: أن هذا إبطال لقولهم إنه لا يجوز مخالفة أهل الكتاب لأنه إذا جاز أن تختلف قبلتاهما للمصلحة جاز أن تكون المصلحة في ثالث، وأما حمل الآية على الاستقبال ففيه إشكال وهو أن قوله: وما بعضهم بتابع قبلة بعض ينفي أن يكون أحد منهم قد اتبع قبلة الآخر لكن ذلك قد وقع فيفضي إلى الخلف، وجوابه أنا إن حملنا أهل الكتاب على علمائهم الذين كانوا في ذلك الزمان فلم يثبت عندنا أن أحدا منهم يتبع قبلة الآخر فالخلف غير لازم، وإن حملناه على الكل قلنا إنه عام دخله التخصيص.

أما قوله: ولئن اتبعت أهواءهم ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: الهوى المقصور هو ما يميل إليه الطبع والهواء الممدود معروف.

المسألة الثانية: اختلفوا في المخاطب بهذا الخطاب، قال بعضهم: الرسول وقال بعضهم: الرسول وغيره.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣/٤٨٢

وقال آخرون: بل غيره، لأنه تعالى عرف أن الرسول لا يفعل ذلك فلا يجوز أن يخصه بهذا الخطاب، وهذا القول الثالث خطأ لأن كل ما لو وقع من الرسول لقبح، والإلجاء عنه مرتفع، فهو منهي عنه، وإن كان المعلوم منه أنه لا يفعله، ويدل عليه وجوه. أحدها: أنه لو كان كل ما علم الله أنه لا يفعله وجب أن لا ينهاه عنه، لكان ما علم أنه يفعله وجب أن لا يأمره/ به، وذلك يقتضي أن لا يكون النبي مأمورا بشيء ولا منهيا عن شيء وأنه بالاتفاق باطل. وثانيها: لولا تقدم النهي والتحذير لما احترز النبي صلى الله عليه وسلم عنه فلما كان ذلك الاحتراز مشروطا بذلك النهي والتحذير فكيف يجعل ذلك الاحتراز منافيا للنهي والتحذير. وثالثها: أن يكون الغرض من النهي والوعيد أن يتأكد قبح ذلك في العقل، فيكون الغرض منه التأكيد ولما حسن من الله التنبيه على أنواع الدلائل الدالة على التوحيد بعد ما قررها في العقول والغرض منه تأكيد العقل بالنقل فأي بعد في مثل هذا الغرض هاهنا. ورابعها: قوله تعالى في حق الملائكة: ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم [الأنبياء: ٢٩] مع أنه تعالى أخبر عن عصمتهم في قوله: يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥٠] وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم: لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر: ٦٥] وقد أجمعوا على أنه عليه الصلاة والسلام ما أشرك وما مال إليه، وقال: يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين [الأحزاب: ١] وقال تعالى: ودوا لو تدهن فيدهنون [القلم: ٩] وقال: بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته [المائدة: ٦٧] وقوله: ولا تكونن من المشركين [الأنعام: ١٤] فثبت بما ذكرنا أنه عليه الصلاة والسلام منهي عن ذلك، وأن غيره أيضا منهي عنه لأن النهي عن هذه الأشياء ليس من خواص الرسول عليه الصلاة والسلام بقي أن يقال: فلم خصه بالنهي دون غيره؟ فنقول فيه وجوه، أحدها: أن كل من كان نعم الله عليه أكثر، كان صدور الذنب منه أقبح، ولا شك أن نعم الله تعالى على الرسول عليه الصلاة والسلام أكثر فكان حصول الذنب منه أقبح فكان أولى بالتخصيص. وثانيها: أن مزيد الحب يقتضي التخصيص بمزيد التحذير. وثالثها: أن الرجل الحازم إذا أقبل على أكبر أولاده وأصلحهم فزجره عن أمر بحضرة جماعة." (١)

"وأما الإيمان بالملائكة، فهو من أربعة أوجه أولها: الإيمان بوجودها، والبحث عن أنها روحانية محضة، أو جسمانية، أو مركبة من القسمين، وبتقدير كونها جسمانية فهي أجسام لطيفة أو كثيفة، فإن كانت لطيفة فهي أجسام نورانية، أو هوائية، وإن كانت كذلك فكيف يمكن أن تكون مع لطافة أجسامها بالغة في القوة إلى الغاية القصوى، فذاك مقام العلماء الراسخين في علوم الحكمة القرآنية والبرهانية.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤/ ١٠٩

والمرتبة الثانية في الإيمان بالملائكة: العلم بأنهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [النحل: ٥٠] لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون [الأنبياء: ١٩] فإن لذتهم بذكر الله، وأنسهم بعبادة الله، وكما أن حياة كل واحد منا بنفسه الذي هو عبارة عن استنشاق الهواء، فكذلك حياتهم بذكر الله تعالى ومعرفته وطاعته.

والمرتبة الثالثة: أنهم وسائط بين الله وبين البشر، فكل قسم منهم متوكل على قسم من أقسام هذا العالم، كما قال سبحانه: والصافات صفا فالزاجرات زجرا [الصافات: ١، ٢] وقال: والذاريات ذروا فالحاملات وقرا [الذاريات: ١، ٢] وقال: والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا [المرسلات: ١، ٢] وقال: والنازعات غرقا والناشطات نشطا [النازعات: ١، ٢] ولقد ذكرنا في تفسير هذه الآيات أسرارا مخفية، إذا طالعها الراسخون في العلم وقفوا عليها.

والمرتبة الرابعة: أن كتب الله المنزلة إنما وصلت إلى الأنبياء بواسطة الملائكة، قال الله تعالى: إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين [التكوير: ١٩، ٢٠، ٢١] فهذه المراتب لا بد منها في حصول الإيمان بالملائكة، فكلما كان غوص العقل في هذه المراتب أشد كان إيمانه بالملائكة أتم.

وأما الإيمان بالكتب: فلا بد فيه من أمور أربعة أولها: أن يعلم أن هذه الكتب وحي من الله تعالى إلى رسوله، وأنها ليست من باب الكهانة، ولا من باب السحر، ولا من باب إلقاء الشياطين والأرواح الخبيثة وثانيها: أن يعلم أن الوحي بهذه الكتب وإن كان من قبل الملائكة المطهرين، فالله تعالى لم يمكن أحدا من الشياطين من إلقاء شيء من ضلالاتهم في أثناء هذا الوحي الطاهر، وعند هذا يعلم أن من قال: إن الشيطان ألقى قوله: تلك الغرانيق العلا في أثناء الوحي، فقد قال قولا عظيما، وطرق الطعن والتهمة إلى القرآن.

والمرتبة الثالثة: أن هذا القرآن لم يغير ولم يحرف، ودخل فيه فساد قول من قال: إن ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان رضي الله عنه، فإن من قال ذلك أخرج القرآن عن كونه حجة.

والمرتبة الرابعة: أن يعلم أن القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه، وأن محكمه يكشف عن متشابهه.

وأما الإيمان بالرسل: فلا بد فيه من أمور أربعة:

المرتبة الأولى: أن يعلم كونهم معصومين من الذنوب، وقد أحكمنا هذه المسألة في تفسير قوله فأزلهما

الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه [البقرة: ٣٦] وجميع الآيات التي يتمسك بها المخالفون قد ذكرنا وجه تأويلاتها في هذا التفسير بعون الله سبحانه وتعالى.." (١)

"الذي يكون دلالة لفظه على معناه متعينة راجحة، والمتشابه ما لا يكون كذلك، وهو إما المجمل المتساوي، أو المؤول المرجوح، فهذا هو الذي ذكرناه أولا، وإن عنى به أن المحكم هو الذي يعرف صحة معناه من غير دليل، فيصير المحكم على قوله ما يعلم صحته بضرورة العقل، والمتشابه ما يعلم صحته بدليل العقل، وعلى هذا يصير جملة القرآن متشابها، لأن قوله خلقنا النطفة علقة أمر يحتاج في معرفة صحته إلى الدلائل العقلية، وإن أهل الطبيعة يقولون: السبب في ذلك الطبائع والفصول، أو تأثيرات الكواكب، وتركيبات العناصر وامتزاجاتها، فكما أن إثبات الحشر والنشر مفتقر إلى الدليل، فكذلك إسناد هذه الحوادث إلى الله تعالى مفتقر إلى الدليل، ولعل الأصم يقول: هذه الأشياء وإن كانت كلها مفتقرة إلى الدليل، إلا أنها تنقسم إلى ما يكون الدليل فيه ظاهرا بحيث تكون مقدماته قليلة مرتبة مبينة يؤمن الغلط معها إلا نادرا، ومنها ما يكون الدليل فيه خفيا كثير المقدمات غير مرتبة فالقسم الأول: هو المحكم والثاني: هو المتشابه. القول الرابع: أن كل ما أمكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي، أو بدليل خفي، فذاك هو المحكم، وكل ما لا سبيل إلى معرفته فذاك هو المتشابه، وذلك كالعلم بوقت قيام الساعة، والعلم بمقادير الثواب والعقاب في حق المكلفين، ونظيره قوله تعالى: يسئلونك عن الساعة أيان مرساها [الأعراف: ١٨٧] [النازعات: ٤٢] .

المسألة الرابعة: في الفوائد التي لأجلها جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها.

اعلم أن من الملحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات، وقال: إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه، فالجبري يتمسك بآيات الجبر، كقوله تعالى: وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا [الأنعام: ٢٥] والقدري يقول: بل هذا مذهب الكفار، بدليل أنه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر [فصلت: ٥] وفي موضع آخر وقالوا قلوبنا غلف [البقرة: ٨٨] وأيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة [القيامة: ٢٢، ٢٣] والنافي يتمسك بقوله لا تدركه الأبصار [الأنعام: ١٠٣] ومثبت الجهة يتمسك بقوله يخافون **ربهم من فوقهم** [النحل: ٥٠] وبقوله الرحمن على العرش استوى [طه: ٥] والنافي يتمسك بقوله ليس كمثله شيء

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧/١١٠

[الشورى: ١١] ثم إن كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه: محكمة، والآيات المخالفة لمذهبه: متشابهة وربما آل الأمر في ترجيح بعضها على بعض إلى ترجيحات خفية، ووجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدين إلى قيام الساعة هكذا، أليس أنه لو جعله ظاهرا جليا نقيا عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى حصول الغرض.

واعلم أن العلماء ذكروا في فوائد المتشابهات وجوها:

لوجه الأول: أنه متى كانت المتشابهات موجودة، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، قال الله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين [آل عمران: ١٤٢] .." (١)

"أخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه، وكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكونون عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من زمرة الأموات، والميت لا يكون مكلفا فلما كان الذين أخذ الميثاق عليهم يجب عليهم الإيمان بمحمد عليه السلام عند مبعثه ولا يمكن إيجاب الإيمان على الأنبياء عند مبعث محمد عليه السلام، علمنا أن الذين أخذ الميثاق عليهم ليسوا هم النبيين بل هم أمم النبيين قال: ومما يؤكد هذا أنه تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق أنهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما يليق بالأمم، أجاب القفال رحمه الله فقال لم لا يجوز أن يكون المراد من الآية أن الأنبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام، ونظيره قوله تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر: ٦٥] وقد علم الله تعالى أنه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض فكذا هاهنا، وقال: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين [الحاقة: ٤٤، ٤٥، ٤٦] وقال في صفة الملائكة ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين [الأنبياء: ٢٩] مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يسبقونه بالقول وبأنهم يخافون **ربهم من فوقهم**، فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير فكذا هاهنا، ونقول إنه سماهم فاسقين على تقدير التولي فإن اسم الفسق ليس أقبح من اسم الشرك، وقد ذكر تعالى ذلك على سبيل الفرض والتقدير في قوله لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر: ٦٥] فكذا هاهنا. الحجة الثانية: أن المقصود من هذه الآية أن يؤمن الذين كانوا في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الميثاق مأخوذا عليهم كان ذلك أبلغ في تحصيل هذا المقصود من أن يكون مأخوذا على الأنبياء

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤١/٧

عليهم السلام، وقد أجيب عن ذلك بأن درجات الأنبياء عليهم السلام، أعلى وأشرف من درجات الأمم، فإذا دلت هذه الآية على أن الله تعالى أوجب على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام لو كانوا في الأحياء، وأنهم لو تركوا ذلك لصاروا من زمرة الفاسقين فلأن يكون الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على أممهم لو كان ذلك أولى، فكان صرف هذا الميثاق إلى الأنبياء أقوى في تحصيل المطلوب من هذا الوجه.

الحجة الثالثة: ما روي عن ابن عباس أنه قيل له إن أصحاب عبد الله يقرؤن وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونحن نقرأ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم.

الحجة الرابعة: أن هذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي/ أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وبقوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه [آل عمران: ١٨٧] فهذا جملة ما قيل في هذا الموضوع والله أعلم بمراده.

وأما قوله تعالى: لما آتيتكم من كتاب وحكمة ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ الجمهور لما بفتح اللام وقرأ حمزة بكسر اللام وقرأ سعيد بن جبير لما مشددة، أما القراءة بالفتح فلها وجهان الأول: أن (ما) اسم موصول والذي بعده صلة له وخبره قوله لتؤمنن به والتقدير: للذي آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به، وعلى هذا التقدير (ما) رفع بالابتداء والراجع إلى لفظة (ما) وموصولتها محذوف والتقدير: لما آتيتكموه فحذف الراجع كما حذف من قوله أهذا الذي بعث الله رسولا [الفرقان: ٤١] وعليه سؤالان:." [١]

"فيها، وجمع داخرون بالواو لأن من جملتها من يعقل، أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء. وقيل المراد ب اليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله هو الجانب الغربي المقابل له من الأرض، فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض، وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٩ الى ٥٠]

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٥/٨

فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح إسناده إلى عامة أهل السموات والأرض وقوله: من دابة بيان لهما لأن الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض أو سماء. والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم، أو عطف المجردات على الجسمانيات، وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له إجلالا وتعظيما، أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم، وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق من تغليبا للعقلاء. وهم لا يستكبرون عن عبادته.

يخافون ربهم من فوقهم يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم، أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى: وهو القاهر فوق عباده. والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون، أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته. ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير، وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٥١ الى ٥٢]

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢)

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه، أو إيماء بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله: إنما هو إله واحد للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية. فإياي فارهبون نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير.

وله ما في السماوات والأرض خلقا وملكا. وله الدين أي الطاعة. واصبا لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق بأن يرهب منه. وقيل واصبا من الوصب أي وله الدين ذا كلفة. وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر. أفغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٥٣ الى ٥٥]

وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥)

وما بكم من نعمة فمن الله أي وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله، وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول، فإن استقرار النعمة بهم يكون سببا للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه. ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون فما تتضرعون إلا إليه، والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة.." [١]

"يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

﴿يخافون ربهم﴾ هو حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين ﴿من فوقهم﴾ ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي وأنهم بين الخوف والرجاء." [٢]

"غدوة، وقال رؤبة بن العجاج: يقال بعد الزوال ظل وفيء، ولا يقال قبله إلا ظل، ففي لفظة: يتفيأ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم، لأن المقصود الإعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع يتفيأ موضع ينتقل أو يميل، والضمير في ظلاله يعود على ما أو على شيء عن اليمين والشمائل يعني عن الجانبين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب، واليمين بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام، فإن اليمين والشمائل إنما هما في الحقيقة للإنسان سجدا لله حال من الظلال، وقال الزمخشري حال من الضمير في ظلاله، إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله: من شيء، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام، واختلف في معنى هذا السجود فقيل عبر به عن الخضوع والانقياد، وقيل هو سجود حقيقة وهم داخرون أي صاغرون وجمع بالواو [والنون] لأن الدخور من أوصاف العقلاء.

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة يحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السموات وما في الأرض معا، لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب، ويحتمل أن يكون بيانا لما في الأرض خاصة وإنما قال: ما في السموات وما في الأرض ليعم العقلاء وغيرهم، ولو قال. من في السموات لم يدخل في

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣/٢٢٩

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٢١٦

ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري والملائكة إن كان قوله من دابة بيانا لما في السموات والأرض، فقد دخل الملائكة في ذلك، وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا، وإن كان من دابة لما في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم يخافون **ربهم من فوقهم** هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم لا تتخذوا إلهين اثنين وصف الإلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى وقيل: إن إثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثاني، فلا يكون في الكلام تأكيد فإياي فارهبون خرج من الغيبية إلى التكلم، لأن الغائب هو المتكلم، وإياي مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله وله الدين واصبا أي واجبا وثابتا، وقيل: دائما، وانتصابه على الحال من الدين وما بكم من نعمة فمن الله يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو الحال، فيكون الكلام متصلا بما قبله: أي كيف تتقون غير الله، وما بكم من نعمة فمنه وحده فإليه تجئرون أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع ليكفروا بما آتيناهم اللام لام الأمر." (١)

"أضله الله وقرئ بضم الياء، وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له وما لهم من ناصرين أي مانعين يمنعونهم من العذاب وأقسموا بالله جهد أيمانهم قال ابن الجوزي: سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له

على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم: والذي أرجوه بعد الموت. فقال المشرك:

إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت، وأقسم بالله لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله أبو العالية. وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في إنكار البعث بعد الموت أن الإنسان ليس هو، إلا هذه البنية المخصوصة، فإذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لأن الشيء إذا عدم فقد فني، ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه، فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في إنكار البعث بعد الموت، فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت فرد الله عليهم ذلك، وكذبهم في قولهم فقال تعالى بلى يعني بلى يبعثهم بعد الموت لأن لفظة بلى إثبات لما بعد النفي. والجواب عن شبهتهم أن الله سبحانه وتعالى، خلق الإنسان وأوجده من العدم ولم يك شيئا فالذي أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على إيجاده بعد إعدامه لأن النشأة الثانية أهون من الأولى وعدا عليه حقا يعني أن الذي وعد به من البعث بعد

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/ ٤٢٨

الموت وعد حق لا خلف فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى، قادر على كل شيء.

[سورة النحل (١٦): الآيات ٣٩ الى ٥٠]

ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين (٣٩) إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (٤٠) والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٤١) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٤٢) وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٤٣)

بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (٤٤) أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون (٤٥) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤف رحيم (٤٧) أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨)

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلق فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون

يعني أن الله سبحانه وتعالى قادر إذا أراد أن يحيي الموتى، ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في إحي ائهم وبعثهم إنما يقول لشيء أراده كن فيكون على ما أراد لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء أراده (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني، وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني» وفي رواية «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني، ولم يكن له ذلك أما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون من إعادته وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» وقوله تعالى والذين هاجروا في

الله من بعد ما ظلموا يعني أوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الإسلام إلى." (١)

"المراد به الجمع للإيجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع إلى لفظ الشيء وهو واحد والشمائل راجع إلى المعنى لأن لفظ الشيء يراد به الجمع سجدا لله في معنى هذا السجود قولان: أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع. يقال سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل والمعنى أن جميع الأشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله تعالى مستسلمة لأمره غير ممتنعة عليه، فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله، والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الأرض، ملتصقة بها كالساجد على الأرض فلما كانت الظلال يشبه شكلها الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أو لا ويقال إن ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله، وهم داخرون أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك أن جميع الأشياء منقادة لأمر الله تعالى. فإن قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنا بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون. قلت: لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لأمره، وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل، وجاز جمعها بالواو والنون، وهو جمع العقلاء قوله عز وجل ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة قال العلماء: السجود على نوعين سجود طاعة، وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل، وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله: ولله يسجد ما في السموات، وما في الأرض من دابة يحتمل النوعين لأن سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين، والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد، وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الأرض للتغليب لأن ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ولأنه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل الكل، ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية، فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الإنسان، لأنه مما يدب على الأرض، ولهذا أفرد الملائكة في قوله والملائكة لأنهم أولو أجنحة يطيرون بها أو أفردهم بالذكر، وإن كانوا من جملة من في السموات لشرفهم. وقيل: أراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة، وما في الأرض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة، وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٧٧/٣

لما خلقت له وسجود ما لا يعقل، وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى، فيدعو الغافلين إلى السجود لله عند التأمل والتدبر وهم لا يستكبرون يعني الملائكة يخافون **ربهم من فوقهم** وكقوله «وهو القاهر فوق عباده» وقد تقدم تفسيره ويفعلون ما يؤمرون عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا، وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» قال أبو ذر: لوددت أني كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفا.

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن، فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها. قوله سبحانه وتعالى:

[سورة النحل (١٦): الآيات ٥١ الى ٦٠]

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥) ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون (٥٦) ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (٥٧) وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم (٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون (٥٩) للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم (٦٠)." [١]

"في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر «١» وفي موضع آخر: وقالوا قلوبنا غلف «٢» .

ومثبتو الرؤية تمسكوا بقوله: إلى ربها ناظرة «٣» والآخرون، بقوله: لا تدركه الأبصار «٤» . ومثبتو الجهة بقوله يخافون **ربهم من فوقهم** «٥» وبقوله: على العرش استوى «٦» والآخرون بقوله: ليس كمثله شيء «٧» فكيف يليق بالمحكم أن يرجع إلى المرجوح إليه هكذا؟ انتهى كلام الفخر الرازي. وبعضه ملخص.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/ ٨٠

وقد ذكر العلماء لمجيء المتشابه فوائد، وأحسن ذلك ما ذكره الزمخشري. قال:

فإن قلت: فهلا كان القرآن كله محكما؟

قلت: لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتقانهم القرائح في استخراج معانيه، ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم الجمة، ونيل الدرجات عند الله، ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله، ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره، ففتح الله عليه، وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده، ودقة في إتقانه. انتهى كلام الزمخشري، وهو مؤلف مما قاله الناس في فائدة المجيء بالمتشابه في القرآن.

ولما ذكر تعالى أول السورة الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب ذكر هنا كيفية الكتاب، وأتى بالموصول، إذ في صلته حوالة على التنزيل السابق، وعهد فيه.

وقوله: منه آيات محكمات إلى آخره، في موضع الحال، أي: تركه على هذين الوجهين محكما ومتشابها، وارتفع: آيات، على الفاعلية بالمجرور لأنه قد اعتمد، ويجوز ارتفاعه على الابتداء، والجملة حالية. ويحتمل أن تكون جملة مستأنفة، ووصف الآيات بالإحكام صادق على أن كل آية محكمة، وأما قوله: وأخر متشابهات فأخر صفة لآيات

---

(١) سورة فصلت: ٤١/ ٥.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٨٨.

(٣) سورة القيامة: ٧٥/ ١٢٣.

(٤) سورة الأنعام: ٦/ ١٠٣.

(٥) سورة النحل: ١٦/ ٥.

(٦) سورة طه: ٢٠/ ٥.

(٧) سورة الشورى: ٤٢/ ١١.." [١]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٢٥

"والمخصوص بالذم محذوف أي: فلبئس مثوى المتكبرين هي أي جهنم. ووصف التكبر دليل على استحقاق صاحبه النار، وذلك إشارة إلى قوله: قلوبهم منكرة وهم مستكبرون «١» .

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٣٠ الى ٥٠]

وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين (٣٠) جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين (٣١) الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون (٣٢) هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٣) فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٣٤)

وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (٣٥) ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٣٦) إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين (٣٧) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٨) ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين (٣٩)

إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (٤٠) والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٤١) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٤٢) وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٤٣) بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (٤٤)

أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون (٤٥) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤف رحيم (٤٧) أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩)

يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

(١) سورة النحل: ١٦/ ٢٢.." (١)

"لا يشعرون: من الجهة التي لا شعور لهم بمجيء العذاب منها، كما فعل بقوم لوط في تقلبهم في أسفارهم قاله قتادة، أو في منامهم روي هذا وما قبله عن ابن عباس. وقال الضحاك، وابن جريج، ومقاتل: في ليلهم ونهارهم أي: حالة ذهابهم ومجيئهم فيهما.

وقيل: في تقلبهم في مكرهم وحيلهم، فيأخذهم قبل تمام ذلك. وقال الزجاج: جميع ما يتقلبون فيه، فما هم بسابقين الله ولا فائتيه. والأخذ هنا الإهلاك كقوله: فكلا أخذنا بذنبه «١» وعلى تخوف على تنقص قاله: ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. وقال ابن قتيبة: يقال خوفته وتخوفته إذا تنقصته وأخذت من ماله وجسمه. وقال الهيثم بن عدي: هو النقص بلغة أزدشنوءة. وفي حديث لعمر أنه سأل عن التخوف، فأجابه شيخ: بأنه التنقص في لغة هذيل. وأنشده قول أبي كثير الهذلي:

تخوف الرجل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السقر

وهذا التخوف بمعنى التنقص، قيل: من أعماله، وقيل: يأخذ واحدا بعد واحد، ورويا عن ابن عباس. وقال الزجاج: ينقص ثمارهم وأموالهم حتى يهلكهم. وقيل: على تخوف، على خوف أن يعاقبهم أو يتجاوز عنهم قاله قتادة. وقال الزمخشري: على تخوف متخوفين، وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا، فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: من حيث لا يشعرون انتهى. وقاله الضحاك، يأخذ قرية فتخاف القرية الأخرى. وقال ابن بحر: على تخوف ضد البغتة أي: على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق، ولهذا ختم بقوله تعالى: إن ربكم لرؤوف رحيم، لأن في ذلك مهلة وامتداد وقت، فيمكن فيه التلافي. وقال الليث بن سعد: على تخوف على عجل. وقيل: على تقريع بما قدموه، وهذا مروي عن ابن عباس. ولما كان تعالى قادرا على هذه الأمور ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرأفة والرحمة.

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون: لما ذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين وإهلاكهم بأنواع من الأخذ، ذكر تعالى طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعه ضد حال الماكرين، لينبههم على أنه ينبغي بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٢٤/٦

(١) سورة العنكبوت: ٢٩/ ٤٠.." (١)

"﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٨٤) ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٥) ﴾

يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله، الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو عبادته وحده لا شريك له، الذي ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض﴾ أي: استسلم له من فيهما طوعا وكرها، كما قال تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد:١٥] وقال تعالى: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون. ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون. يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٤٨ –٥٠] .

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرها، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم، الذي لا يخالف ولا يمانع. وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية، على معنى آخر فيه غرابة، فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني:

حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا سعيد بن حفص النفيلي، حدثنا محمد بن محصن العكاشي، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ أما من في السماوات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرها فمن أتي به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال، يقادون إلى الجنة وهم كارهون" (١) .

وقد ورد في الصحيح: "عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل" (٢) وسيأتي له شاهد من وجه آخر ولكن المعنى الأول للآية أقوى.

وقد قال وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ قال: هو كقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان:٢٥] .

وقال أيضا: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ قال: حين أخذ الميثاق.

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٥٣٥

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٩٤/١١) وهنا سقط اسم ابن عباس، فالإسناد عنده: عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم به. قال الهيثمي في المجمع (٣٢٦/٦) : "فيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروك".
(٢) صحيح البخاري (٣٠١٠) .." (١)

"﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون (٤٥) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم (٤٧) ﴾

يخبر تعالى عن حلمه [وإمهاله] (١) وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على ﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي: من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم، كما قال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك: ١٦، ١٧] ، وقوله ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي: في تقلبهم في المعايش واشتغالهم بها، من أسفار (٢) ونحوها من الأشغال الملهية.

قال قتادة والسدي: ﴿تقلبهم﴾ أي: أسفارهم.

وقال مجاهد، والضحاك: ﴿في تقلبهم﴾ في الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ [الأعراف: ٩٧، ٩٨] . وقوله ﴿فما هم بمعجزين﴾ أي: لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه.

وقوله: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ أي: أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم، فإنه يكون أبلغ وأشد حالة الأخذ؛ فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد؛ ولهذا قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ يقول: إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك. وكذا روي عن مجاهد، والضحاك، وقتادة وغيرهم.

ثم قال تعالى: ﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ أي: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، كما ثبت في الصحيحين " [لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم " (٣) ، وفي الصحيحين]

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٩/٢

(٤) إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢] (٥) وقال تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير﴾ [الحج: ٤٨] .

﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠) ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها: جمادها وحيواناتها، ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر (٦) أن كل ما له ظل يتفيأ

---

(١) زيادة من أ.

(٢) في أ: "بما في أسفارهم".

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٠٩٩) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٤) .

(٤) زيادة من ت، ف، أ.

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

(٦) في ت: "والمخبر".." [1]

"ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى.

قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل. وكذا قال قتادة، والضحاك، وغيرهم.

وقوله: ﴿وهم داخرون﴾ أي: صاغرون.

وقال مجاهد أيضا: سجود كل شيء فيه. وذكر الجبال قال: سجودها فيها.

وقال أبو غالب الشيباني: أمواج البحر صلاته.

ونزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم.

ثم قال: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة﴾ كما قال: ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥] ، وقوله: ﴿والملائكة وهم لا يستكبرون﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٥٧٥

أي: تسجد لله أي غير مستكبرين عن عبادته، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ أي: يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله، ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي: مثابرين على طاعته (١) تعالى، وامتثال أوامره، وترك زواجره.

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ﴾

---

(١) في ف: "طاعة الله".." [1]

"الثاني: أن ذلك الخوف خوف الإجلال؛ هكذا نقل عن ابن عباس؛ كقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وكقول النبي صلى الله عليه وسلم «إني لأخشاكم لله» حين قالوا له وقد بكى: أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ .

وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الله أتم، كان الخوف منه أعظم. وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء.

فصل في استدلال المشبهة بالآية والرد عليهم

استدل المشبهة بقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ على أنه – تعالى – فوقهم بالذات.

والجواب: أن معناه: يخافون ربهم؛ من أن ينزل عليهم العذاب من فوقهم، وإذا احتمل اللفظ هذا المعنى؛ سقط استدلالهم، وأيضا يجب حمل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة، والقهر والغلبة؛ لقوله تعالى: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ [الأعراف: ١٢٧]

ويقوي هذا الوجه أنه تعالى قال: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ فوجب أن يكون المقتضي لخوفهم هو كون ربهم فوقهم؛ لأن الحكم المرتب على وصف يشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف، وهذا التعليل، إنما يصدح إذا كان المراد بالفوقية، القهر والقدرة؛ لأنها هي الموجبة للخوف، وأما الفوقية بالجهة، والمكان، فلا توجب الخوف؛ لأن حارس البيت فوق الملك بالمكان والجهة مع أنه أخس عبيده.

فصل في أن الملك أفضل من البشر

تمسك قوم بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر من وجوه:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٥٧٦

الأول: قوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دآبة والملائكة﴾ وقد تقدم أن تخصيص هذين النوعين بالذكر، إنما يحسن إذا كان أحد الطرفين أخس المراتب، وكان الطرف الثاني أشرفها، حتى يكون ذكر هذين الطرفين منبها على الباقي، وإذا كان كذلك، وجب أن يكون الملائكة أشرف خلق الله – عز وجل –.

الثاني: أن قوله ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يدل على أنه ليس في قلوبهم تكبر، وترفع، وقوله تعالى: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يدل ع‍دى أن أعمالهم خالية عن الذنب، والمعصية، فمجموع هذين الكلامين يدل على أن بواطنهم، وظواهرهم، مبرأة عن الأخلاق الفاسدة، والأفعال الباطلة، وأما البشر، فليسوا كذلك ويدل عليه القرآن والخبر.

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿قتل الإنسان مآ أكفره﴾ [عبس: ١٧] وهذا الحكم عام في الإنسان، وأقل مراتبه أن تكون طبيعة الإنسان مقتضية لهذه الأحوال الذميمة.." (١)

"فالجواب: أن الملائكة: إما أن يقال: إنها واجبة الوجود لذواتها، أو يقال: إنها ممكنة الوجود لذواتها، والأول باطل؛ لأن جميع الكفار كانوا معترفين بأن الملائكة عباد الله، ومحتاجون إليه.

وأما الثاني: فهو يوجب القول بأن الملائكة محتاجون في ذواتها، وفي كمالاتها إلى الله تعالى، فكان الاشتغال بعبادة الله تعالى أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة.

وإن أعدنا «يدعون» إلى الأنبياء – عليهم السلام – المذكورين في قوله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ فالمعنى هو أن الذي عظمت منزلتهم – وهم الأنبياء – لا يعبدون إلا الله تعالى، ولا يبتغون الوسيلة إلا إليه، فأنتم بالاقتداء بهم أحق، فلا تعبدوا غير الله – عز وجل – والمراد بالوسيلة: الدرجة العليا. وقيل: كل ما يتقرب إلى الله تعالى.

واحتجوا على صحة هذا القول بأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، فلا يخافون عذابه، فثبت أن هذا غير ل‍ائق بالملائكة، وإنما هو لائق بالأنبياء – صلوات الله عليهم –.

وأجيب بأن الملائكة يخافون من عذاب الله، لو اقدموا على الذنب، قال تعالى: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ [الأنبياء: ٢٩] وقال تعالى: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] ثم قال عز وجل: ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ أي من حقه أن يحذر، فإن لم يحذره بعض الناس لجهله، فإنه لا يخرج عن كونه يجب الحذر عنه.

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٥/١٢

قوله تعالى: ﴿أيهم أقرب﴾ في «أي» هذه وجها:
أحدهما: أنها التفهامية.
والثاني: أنها موصولة بمعنى «الذي» وإنما كثر كلام المعربين فيها من حيث التقدير، فقال الزمخشري: «وأيهم بدل من واو» يبتغون «و» أي «موصولة، أي: يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف، أو ضمن» يبتغون الوسيلة «معنى يحرصون، فكأنه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب» . فجعلها في الوجه الأول موصولة، وصلتها جملة من مبتدأ وخبر، حذف المبتدأ، وهو عائدها، و «أقرب» خبر. واحتملت «أي» حينئذ أن تكون مبنية، وهو الأكثر فيها، وأن تكون معربة، وسيأتي موضعه في مريم: [٦٩] إن شاء الله تعالى وفي الثاني جعلها استفهامية؛ بدليل أنه ضمن الابتغاء معنى شيء تعلق، وهو يحرصون، فيكون «أيهم» مبتدأ و «أقرب» خبره، والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض؛ لأن «تحرص» يتعدى ب «على» قال تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ [النحل: ٣٧] ، ﴿أحرص الناس على حياة﴾ [البقرة: ٩٦] .
وقال أبو البقاء: «أيهم» مبتدأ، و «أقرب» خبره، وهو استفهام في موضع نصب." (١)
"الثاني: أنه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال: ﴿قالتآ أتينا طآئعين﴾ .
الثالث: قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ [الأحزاب: ٧٢] وهذا يدل على كونها عارفة بالله، عالمة بتوجه تكليف الله تعالى.
وأجاب ابن الخطيب عن هذا القول: بأن المراد من قوله ﴿١٦٤٩؛ئتيا طوعا أو كرها﴾ الإثبات الى الوجود والحدوث والحصول، فعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الأمر كانت السموات والأرض معدومة، إذ لو كانت موجودة فذلك لا يجوز، فثبت أن حال توجه هذا الأمر عليها كانت معدومة، وإذا كانت معدومة لم تكن فاهمة، ولا عارفة للخطاب، فلم يجز توجه الأمر عليها.
فصل
روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس أنه قال: قال الله للسموات والأرض أخرجا ما فيكما من المنافع ومصالح العباد، أما أنت يا سماء فأطعلي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشققي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما: افعلا ما آمركما طوعا، وإلا ألجأتكما إلى ذلك (حتى) تفعلا فنقول: فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله: أتينا طائعين حدوثهما في ذاتهما، بل يصير المراد من هذا الأمر أن يظهرا ما كان مودعا فيهما، وهذا باطل؛ لأنه تعالى قال: ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾ وذلك يدعل على حدوث

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣١٥/١٢

السماء إنما حصل بعد قوله: ﴿١٦٤٩؛ئتيا طوعا أو كرها﴾ .

فصل

اعلم أن المقصود من هذا الكلام إظهار كمال القدرة، والتقدير ائتيا ذلك أو أبيتما كما يقول الجبار لمن تحت يده: لتفعلن هذا شئت أو أبيت، ولتفعلنه طوعا أو كرها.

وقيل: إنه تعالى ذكر السماء والأرض، ثم ذكر الطوع والكره فوجب أن ينصرف الطوع إلى السماء والكره إلى الأرض، وتخصص السماء بالطوع لوجوه:

أحدهما: أن السماء في دوام حركتها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا مطعيا لله عز وجل بخلاف الأرض فإنها مختلفة الأحوال، تارة تكون ساكنة، وتارة تضطرب.

وثانيها: أن الموجود في السماء ليس إلا الطاعة، قال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم." [1]

"مشروطا بذلك النهي والتحذير، فكيف يجعل ذلك الاحتراز منافيا للنهي والتحذير.

وثالثها: أن يكون الغرض من النهي والوعيد أن يتأكد قبح ذاك في العقل، فيكون الغرض منه التأكيد، ولما حسن من الله التنبيه على أنواع الدلائل الدالة على التوحيد بعدما قررها في العقول والغرض منه تأكيد العقل بالنقل، فأي بعد في مثل هذا الغرض هاهنا.

ورابعها: قوله تعالى في حق الملائكة: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ [الأنبياء: ٢٩] مع أنه – تعالى – أخبر عن عصمتهم في قوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠] وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥]

.

والإجماع على أنه عليه الصلاة والسلام ما أشرك، وما مال إليه، وقال ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب: ١] وقال: ﴿بلغ مآ أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧] ، وقوله: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ [الأنعام: ١٤] .

فثبت بما قلنا أنه – عليه الصلاة والسلام – منهي عن ذلك وأن غيره أيضا منهي عنه؛ لأن النهي عن هذه الأشياء ليس من خواص الرسول عليه الصلاة والسلام .

بقي أن يقال: فلم خصه بالنهي دون غيره؟

فنقول فيه وجوه:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٢/١٧

أحدها: أن كل من كان نعم الله عليه أكثر، كان صدور الذنب منه أقبح، فكان أولى بالتخصيص.
وثانيها: أن مزيد الحب يقتضي التخصيص بمزيد التحذير.
وثالها: أن الرجل الحازم إذا أقبل على أكبر أولاده وأصلحهم، فزجره عن أمر بحضرة جماعه أولاده، فإنه يكون منبها بذلك على عظم ذلك الفعل إن ارتكبوه، فهذه قاعدة مقررة في أمثال هذه الآية.
القول الثاني: أن قوله: ﴿ولئن اتبعت أهوآءهم﴾ [البقرة: ١٢٠] ليس المراد منه إن اتبع أهواءهم في كل الأمور، فلعله – عليه الصلاة والسلام – كان في بعض الأمور يتبع أهواءهم، مثل ترك المخاشنة في القول والغلظة في الكلام، طمعا منه – عليه الصلاة والسلام – في استمالتهم، فنهاه الله – تعالى – عن ذلك القدر أيضا، وآيسه منهم بالكلية على ما قال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء: ٧٤].
القول الثالث: أن ظاهر الخطاب وإن كان مع الرسول إلا ان المراد منه غيره وهذا كما أنك إذا عاتبت [إنسانا أساء عبده إلى عبدك فتقول له: لو فعلت مرة أخرى مثل] هذا الفعل لعاقبتك عليه عقابا شديدا، فكان الغرض منه زجر العبد.." [(١)]

"القيامة، ثم إنا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه، فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله:
﴿وجعلنا
على
قلوبهم
أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ [الأنعام: ٢٥]، والقدري يقول: بل هذا مذهب الكفار؛ بدليل أنه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ [البقرة: ٨٨]، وأيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣٢ – ٢٣]، والنافي يتمسك بقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ومثبت الجهة يتمسك بقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] والنافي يتمسك بقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] ثم إن كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة، والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة، وإنما يرجع في ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفية، ووجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨/٣

يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدين إلى قيام القيامة هكذا أليس أنه لو جعله ظاهرا جليا خاليا عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى حصول الغرض؟ فذكر العلماء في فوائد المتشابهات وجوها:

الأول: أنه متى ك انت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب.

الثاني: أن القرآن إذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر إلى الاستعانة بدليل العقل، وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد، ويصل إلى ضياء الاستدلال، ولو كان كله محكما لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية، وكان يبقى – حينئذ – في الجهل والتقليد.

الثالث: أن القرآن لما كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر إلى تعلم طرق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علوم اللغة، والنحو، وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان الإنسان يحتاج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان في إيراد هذه المتشابهات هذه الفوائد.

الرابع: أن القرآن يشتمل على دعوة الخواص، والعوام بالكلية، وطباع العوام تنبو – في أكثر الأمر – عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام – في أول الأمر – إثبات موجود ليس بجسم ولا متحرك ولا يشار إليه ظن بأن هذا عدم ونفي، فوقع في العطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه، وتخيلوه، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالمخاطبة في أول الأمر تكون من أبواب المتشابهات، والثاني وهو الذي انكشف لهم في آخر الأمر هو المحكم.." (١)

"تخوفهم حتى أذل سراتهم ... بطعن ضرار بعد فتح الصفائح «١»

وهذا التنقص يتجه به الوعيد على معنيين:

أحدهما: أن يهلكهم ويخرج أرواحهم على تخوف، أي: أفذاذا يتنقصهم بذلك الشيء بعد الشيء، ويصيرهم إلى ما أعد لهم من العذاب، وفي هذه الرتبة الثالثة من الوعيد رأفة ورحمة وإمهال ليتوب التائب، ويرجع الراجع، والثاني: ما قاله الضحاك: أن يأخذ بالعذاب طائفة أو قرية، ويترك أخرى، ثم كذلك حتى يهلك الكل «٢» .

وقالت فرقة: «التخوف» هنا: من الخوف، أي: فيأخذهم بعد تخوف ينالهم/ يعذبهم به.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٤/٥

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٨ الى ٥٣]

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠) وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١)

وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢)

وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣)

وقوله سبحانه: أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء ... الآية: قوله: من شيء لفظ عام في كل شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك، وفاء الظل رجع، ولا يقال: الفيء إلا من بعد الزوال في مشهور كلام العرب، لكن هذه الآية:

الاعتبار فيها من أول النهار إلى آخره فكأن الآية جارية في بعض على تجوز كلام العرب واقتضائه، والرؤية، هنا: رؤية القلب ولكن الاعتبار برؤية القلب هنا إنما تكون في مرئيات بالعين، وعن اليمين والشمائل هنا: فيه تجوز وآتساع، وذكر «٣» الطبري عن الضحاك، قال: إذا زالت الشمس، سجد كل شيء قبل القبلة من نبت أو شجر «٤» ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت. قال الداودي: وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع

المنثور» (٤/ ٢٢٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٩٦) .

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٥٩٠) برقم: (٢١٦٢٦) ، وذكره البغوي (٣/ ٧٠) بنحوه، وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٧١) بنحوه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٢٣) ، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٥٩٣) .

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٥٩٣) برقم: (٢١٣٤) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٣٩٨) ، وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٧٢) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٢٤) ، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، عن الضحاك.

[.....]".[1]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٤٢٦

"أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم (٤٧) أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

* * *

(والذين هاجروا في الله) أي: في رضاه وحقه، (من بعد ما ظلموا)، عذبوا وأوذوا والمراد المهاجرون إلى الحبشة وغيرها كعثمان بن عفان رضي الله عنه – وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه – وغيرهما، (لنبوئنهم في الدنيا) تبوئة، (حسنة) وهي أن مكنهم الله تعالى في البلاد وحكمهم على رقاب العباد فصاروا أمراء حكاما وللمتقين إماما أو مباءة حسنة وهي المدينة، (ولأجر الآخرة أكبر) مما أعطى لهم في الدنيا، (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير للكفار فإن المؤمنين يعلمون، (الذين صبروا) منصوب أو مرفوع على المدح، (وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) لا ملائكة رد على من قال: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، (نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر) أهل الكتاب ليخبروكم أنهم بشر لا ملائكة، (إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) كأنه جواب قائل: بم أرسلوا؟ فقال: أرسلناهم بالمعجزات والكتب وقيل صفة رجالا، وقيل: متعلق بما." [١]

"في متاجرهم ومسايرهم في طلب معاشهم، فما هم بمعجزين بفائتين قدرتنا حتى نعجز عن أخذهم، أو يأخذهم على تخوف: على تنقص، بأن ينقص أموالهم وأنفسهم، شيئا فشيئا، حتى يهلكوا جميعا، من غير أن يهلكهم جملة واحدة. وعليه يترتب قوله: فإن ربكم لرؤف رحيم حيث لم يهلكهم دفعة واحدة، أو: على تخوف: على مخافة بأن يهلك قوما قبلهم، فيتخوفوا، فيأتيهم العذاب وهم متخوفون.

وهو قسيم قوله: (وهم لا يشعرون) ، وقوله: فإن ربكم لرؤف رحيم أي: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ما خوف به أهل المكر بالأنبياء والرسل، يخوف به أهل المكر بالأولياء والمنتسبين، وقد تقدم هذا مرارا.

ثم أمر بالتفكر والاعتبار لأنه سبب النجاة من الاغترار، فقال:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٤٨ الى ٥٠]

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٣٩/٢

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

قلت: الاستفهام للإنكار، و (من شيء) : بيان ل «ما» . والضمير في (ظلاله) يعود على (ما) ، أو على (شيء) .

و (سجدا) : حال من الظلال، وكذا جملة: (وهم داخرون) ، وجمعه بالواو لأنه من صفة العقلاء. وقال الزمخشري:

هما حالان من الضمير في (ظلاله) إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله: (من شيء) ، فعلى الأول يكون السجود من صفة الضلال، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام. و (من دابة) : يحتمل أن يكون بيانا ل (ما في السماوات وما في الأرض) معا لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب، ويحتمل أن يكون بيانا ل (ما في الأرض) خاصة، فعلى الأولى: يكون عطف الملائكة عليه، من عطف الخاص على العام تشريفا لهم، وعلى الثاني: من عطف المباين.

يقول الحق جل جلاله: أولم يروا أي: أهل المكر والخدع بالرسل والمؤمنين، إلى ما خلق الله من شيء من الأجرام والأشكال كالجبال والأشجار والبحار ليظهر لهم كمال قدرته وقهره، فيخافوا سطوته وبطشه، حتى لا يمكروا بخواصه. حال كون ما خلق من الأجرام يتفيؤا أي: يميل ظلاله عن اليمين والشمائل أي: يرجع الظل من جانب إلى جانب، أي: يميل عن الأيمان والشمائل، وذلك أن الظل من وقت." [1]

"أو عطف المجردات على الجسمانيات، وبه احتج من قال: إن الملائكة أرواح مجردة. قاله البيضاوي. قلت: وهو خلاف الجمهور. بل الملائكة: أجسام لطيفة نورانية متحيزة، لها مادة نورانية وتشكيل مخصوص، غير أن الله تعالى أعطاها قوة التشكيل لأنها قريبة من أسرار المعاني الأزلية. وعبر الحق تعالى ب «ما» ليشمل العقلاء وغيرهم.

ثم قال تعالى في وصف الملائكة: وهم لا يستكبرون عن عبادته، يخافون **ربهم من فوقهم** هو تقرير، وبيان لنفي الاستكبار عنهم، أي: يخافون عظمة **ربهم من فوقهم** إذ هم محاطون بأفلاك أسرار الجبروت، مقهورون تحت القدرة والمشيئة، أو: يخافون عذاب ربهم أن يرسل عليهم من فوقهم، أو: يخافون ربهم وهو من فوقهم بالقهر والغلبة. والجملة: حال من الضمير في (يستكبرون) ، أو بيان له وتقرير لأن من خاف ربه لم يستكبر

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٣٣/٣

عن عبادته، ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة وتدبير الأمور التي أمرهم بتدبيرها. وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مداورن بين الخوف والرجاء. قاله البيضاوي.
الإشارة: كل ما دخل تحت عالم التكوين لزمته العبودية، وأحاطت به القهرية، فلا بد من الخضوع لأحكام الواحد القهار، تكليفية كانت أو تعريفية، فمن لم ينقد لها بملاطفة الإحسان، قيد بسلاسل الامتحان. وبهذا امتاز الخصوص من العموم، فالخصوص علموا أن سلسلة الأقدار في عنقهم، تجرهم إلى مراد ربهم، فاستسلموا لها، وانقادوا، وخضعوا، وتأدبوا لها، فاستحقوا التقريب والاصطفائية. والعموم جهلوا هذه السلسلة، أو علموها، ولم يقدروا على الاستسلام لها فاستحقوا البعد من حضرة الحق إذ لا يدخلها إلا أهل التهذيب والتأديب. وبالله التوفيق.
ثم نهى عن الشرك الجلى والخفي، فقال:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٥١ الى ٥٥]
وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١) وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢) وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥)
قلت: (إلهين اثنين) ، إلهين: مفعول أول، واثنين: تأكيد، والثاني: محذوف، أي: معبودين لكم، وفائدة التأكيد:
التنبيه على أن المقصود هو النهي عن الإثنينية تنبيها على أن الإثنينية تنافي الألوهية، كما ذكر الواحد في قوله:
إنما هو إله واحد إثبات الوحدانية دون الإلهية. قاله البيضاوي. وعبارة صاحب المطول: لفظ إلهين حامل لمعنى الجنسية- أعني: الإلهية- ومعنى العدد- أعني: الإثنينية- وكذا لفظ «الله» حامل لمعنى الجنسية والوحدة،." (١)
"قوله - تعالى -: تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض.
قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير نافع والكسائي (تكاد) بالتاء الفوقية ؛ لأن السماوات مؤنثة، وقرأه نافع

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٣٥/٣

والكسائي (يكاد) بالياء التحتية لأن تأنيث السماوات غير حقيقي.

وقرأه عامة السبعة غير أبي عمرو، وشعبة عن عاصم (يتفطرن) بتاء مثناة فوقية مفتوحة بعد الياء وفتح الطاء المشددة، مضارع تفطر، أي تشقق.

وقرأه أبو عمرو وشعبة عن عاصم (ينفطرن) بنون ساكنة بعد الياء وكسر الطاء المخففة، مضارع انفطرت، كقوله: إذا السماء انفطرت [٨٢ \ ١] أي انشقت.

وقوله: تكاد، مضارع كاد، التي هي فعل مقاربة، ومعلوم أنها تعمل في المبتدإ والخبر، ومعنى كونها فعل مقاربة، أنها تدل على قرب اتصاف المبتدإ بالخبر.

وإذا، فمعنى الآية أن السماوات قاربت أن تتصف بالتفطر على القراءة الأولى، والانفطار على القراءة الثانية.

واعلم أن سبب مقاربة السماوات للتفطر في هذه الآية الكريمة - فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له قرآن:

الوجه الأول: أن المعنى: تكاد السماوات يتفطرن خوفا من الله، وهيبة وإجلالا، ويدل لهذا الوجه قوله - تعالى - قبله: وهو العلي العظيم [٤٢ \ ٤] ؛ لأن علوه وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تتفطر.

وعلى هذا الوجه، فقوله بعده: والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض مناسبته لما قبله واضحة؛ لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه - تعالى - والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة، فهم (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله مع إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفا منه وهيبة وإجلالا، كما قال - تعالى -: ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته [١٣ \ ١٣] . وقال - تعالى -: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [١٦ \ ٤٩ - ٥٠] .." [1]

"فهو في قوة الوعد في المستقبل، فيكون الإخبار بالرضى مسبقا عليه.

وكذلك آية سورة الفتح في البيعة تحت الشجرة إذ فيها: لقد رضي الله عن المؤمنين [٤٨ \ ١٨] ، وهو إخبار بصيغة الماضي، وقد سميت «بيعة الرضوان» .

تنبيه

في هذا الأسلوب الكريم سؤال، وهو أن العبد حقا في حاجة إلى أن يعلم رضوان الله تعالى عليه ؛ لأنه غاية أمانيه، كما قال تعالى: ذلك الفوز العظيم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٩/٧

أما الإخبار عن رضى العبد عن الله، فهل من حق العبد أن يسأل عما إذا كان هو راضيا عن الله أم لا؟ إنه ليس من حقه ذلك قطعا، فيكون الإخبار عن ذلك بلازم الفائدة، وهي أنهم في غاية من السعادة والرضى فيما هم فيه من النعيم إلى الحد الذي رضوا وتجاوز رضاهم حد النعيم إلى الرضى عن المنعم.

كما يشير إلى شيء من ذلك آخر آية النبأ: عطاء حسابا [٧٨ \ ٣٦] ، قالوا: إنهم يعطون حتى يقولوا: حسبنا حسبنا، أي: كافينا.

قوله تعالى: ذلك لمن خشي ربه.

اسم الإشارة منصب على مجموع الجزاء المتقدم، وقد تقدم أنه للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهنا يقول: إنه لمن خشي ربه، مما يفيد أن تلك الأعمال تصدر منهم عن رغبة ورهبة. رغبة فيما عند الله، ورهبة من الله، ومثله قوله تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتان [٥٥ \ ٤٦] ، وقوله: وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى.

[٧٩ \ ٤٠ - ٤١]

والواقع أن صفة الخوف من الله تعالى هي أجمع صفات الخير في الإنسان ؛ لأنها صفة للملائكة المقربين. كما قال تعالى عنهم: يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [١٦ \ ٥٠] .." [١]

"ومن في الأرض طوعا وكرها عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤١٣٤٩) - قال مقاتل بن سليمان: (ولله يسجد ما في السماوات) من الملائكة، (وما في الأرض من دابة) أيضا يسجدون تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٧١) - .

(والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩))

(٤١٣٥٠) - قال مقاتل بن سليمان: ثم نعت الله الملائكة، فقال: (والملائكة وهم لا يستكبرون)، يعني: لا يتكبرون عن السجود تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٧١) - (٤٧٢) - .

(٤١٣٥١) - قال يحيى بن سلام: قوله: (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله، يعني: الملائكة تفسير يحيى بن سلام (١) / (٦٨) - .

(يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)

(٤١٣٥٢) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد - في قوله: (يخافون ربهم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/٥٤

من فوقهم)، قال: مخافة الإجلال أخرجه الخطيب في تاريخه (١) / (٣٣١) - .

(٤١٣٥٣) - قال مقاتل بن سليمان: (يخافون **ربهم من فوقهم**) الذي هو فوقهم؛ لأن الله تعالى فوق كل شيء؛ خلق العرش، والعرش فوق كل شيء، (ويفعلون ما يؤمرون) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٧٢) - .

(وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١))

(٤١٣٥٤) - قال مقاتل بن سليمان: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين)، وذلك أن رجلا من المسلمين دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن - فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعو ربين

". [1]

"وأما أهل السنة فيحتجون بهذه الآية أيضا فيقولون الآية تضمنت نفيا و إثباتا فأثبت لله صفات كمال مع نفي مماثلته للمخلوقات

وهذا ما نفعله فنثبت له العلو المطلق الذي ليس لأحد من مخلوقاته

فإن قال السقاف رددت هذا الفهم لوقوع الإجماع على خلافه

قلنا وبهذا يجيبك منازعك أيضا وآيات العلو لم ينعقد الإجماع على خلافها بل انعقد الإجماع على القول بها كما سيأتي بيانه

ويقال للسقاف أيضا ليس كل تأويل صحيح فصحة تأويل أو اثنين لا يدل على صحة بقية التأويلات

ولا توجد فرقة من المسلمين تأخذ بجميع التأويلات

فالأشاعرة يردون تأويلات المعتزلة للسمع والبصر

والمعتزلة يردون تأويلات المرجئة للآيات المدخلة للأعمال في مسمى الإيمان

فإذا كان التأويل الذي يخالف السياق _ على زعم السقاف _ يعد تأويلا صحيحا

فما هو التأويل الفاسد إذن ؟!!

وخذ مثالا على آيات العلو التي يمتنع تأويلها وهو قوله تعالى ((يخافون **ربهم من فوقهم**)) يمتنع حمل

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٨/٢٢

الآية على علو القهر لأن حرف الجر (من) إذا جاء قبل قوله (فوق) دل ذلك على الفوقية الحقيقية كقوله تعالى ((فخر عليهم السقف من فوقهم))

وقوله ((كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار))

وقوله تعالى ((هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم))

وهذا مطرد في جميع القرآن والسنة وكلام العرب
ومنه قول أم المؤمنين زينب بنت جحش ((زوجني الله من فوق سبع سماوات)) رواه البخاري ٦٩٨٥ في كتاب التوحيد باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ /هود: ٧/. ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ /التوبة: ١٢٩/

الآية الثانية." (١)

"قوله (باب الخوف من الله عز وجل)
هو من المقامات العل١ية ، وهو من لوازم الإيمان ، قال الله تعالى ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وتقدم حديث " أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية " وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه ، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ والأنبياء بقوله ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ﴾ وإنما كان خوف المقربين أشد لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة ، ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة ، فالعبد إن كان مستقيما فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى ﴿ يحول بين المرء وقلبه ﴾ أو نقصان الدرجة بالنسبة ، وإن كان مائلا فخوفه من سوء فعله . وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع ، فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها ، وأن يحرم التوبة ، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له ، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له . ويدخل في هذا الباب الحديث الذي قبله ، وفيه أيضا " ورجل دعته امرأة ذات جمال ومال فقال إني أخاف الله " ، وحديث الثلاثة أصحاب الغار فإن أحدهم الذي عف

---

(١) الدفاع عن حديث الجارية، ص/٤٥

عن المرأة خوفا من الله وترك لها المال الذي أعطاها ، وقد تقدم بيانه في ذكر بني إسرائيل من أحاديث الأنبياء . وأخرج الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة قصة الكفل وكان من بني إسرائيل ، وفيه أيضا أنه عف عن المرأة وترك المال الذي أعطاها خوفا من الله ثم ذكر قصة الذي أوصى بأن يحرق بعد موته من حديث حذيفة وأبي سعيد ، وقد تقدم شرحه في ذكر بني إسرائيل أيضا .." (١)

"٦٨٧٠ - قوله (حدثنا أحمد)

كذا للجميع غير منسوب وذكر أبو نصر الكلاباذي أنه أحمد بن يسار المروزي ، وقال الحاكم : هو أحمد بن نصر النيسابوري ، يعني المذكور في سورة الأنفال وشيخه فيه محمد بن أبي بكر المقدمي قد أخرج عنه البخاري في "كتاب الصلاة " بغير واسطة ، وجزم أبو نعيم في المستخرج بأن البخاري أخرج هذا الحديث عن محمد بن أبي بكر المقدمي ولم يذكر واسطة ، والأول هو المعتمد ، وقد أخرج البخاري طرفا منه في تفسير سورة الأحزاب من وجه آخر عن حماد بن زيد ، وتقدم الكلام على قصة زينب بنت جحش وزيد بن حارثة هناك مبسوطا .

قوله (قال أنس لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا لكتم هذه)

ظاهره أنه موصول بالسند المذكور ، لكن أخرجه الترمذي والنسائي وابن خزيمة والإسماعيلي عنه نزلت (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) في شأن زينب بنت جحش وكان زيد يشكو وهم بطلاقها يستأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له (أمسك عليك زوجك واتق الله) وهذا القدر هو المذكور في آخر الحديث هنا بلفظ " وعن ثابت وتخفي في نفسك " إلخ ، ويستفاد منه موصول أنه بالسند المذكور وليس بمعلق ، وأما قوله " لو كان كاتما " إلخ ، فلم أره في غير هذا الموضع موصولا عن أنس ، وذكر ابن التين عن الداودي أنه نسب قوله " لو كان كاتما لكتم قصة زينب " إلى عائشة ، قال وعن غيرها " لكتم عبس وتولى " ، قلت : قد ذكرت في تفسير سورة الأحزاب حديث عائشة قالت " لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي " الحديث ، وأنه أخرجه مسلم والترمذي ثم وجدته في مسند الفردوس من وجه آخر عن عائشة من لفظه صلى الله عليه وسلم " لو كنت كاتما شيئا من الوحي " الحديث ، واقتصر عياض في الشفاء على نسبتها إلى عائشة والحسن البصري وأغفل حديث أنس هذا وهو عند البخاري ، وقد قال الترمذي بعد تخريج حديث عائشة ، وفي الباب عن ابن عباس ، وأشار إلى ما أخرجه وأما الرواية الأخرى في عبس وتولى فلم أرها إلا عند عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أحد الضعفاء ، أخرجه الطبري وابن أبي حاتم

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٠٦/١٨

عنه قال "كان يقال لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي لكتم هذا عن نفسه " وذكر قصة ابن أم مكتوم ونزول عبس وتولى انتهى ، وقد أخرج القصة الترمذي وأبو يعلى والطبري والحاكم موصولة عن عائشة وليس فيها هذه الزيادة ، وأخرجها مالك في الموطأ عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلة وهو المحفوظ عن هشام ، وتفرد يحيى بن سعيد الأموي بوصله عن هشام ، وأخرجها ابن مردويه من وجه آخر عن عائشة كذلك بدونها ، وكذا من حديث أبي أمامة ، وأوردها عبد بن حميد والطبراني وابن أبي حاتم من مرسل قتادة ومجاهد وعكرمة وأبي مالك الغفاري والضحاك والحكم وغيرهم ، وليس في رواية أحد منهم هذه الزيادة ، والله تعالى أعلم .

قوله (قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم – إلى قولها – وزوجني الله عز وجل من فوق سبع سماوات)

أخرجه الإسماعيلي من طريق عارم بن الفضل عن حماد بهذا السند بلفظ " نزلت في زينب بنت جحش : فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها الآية ، وكانت تفخر " إلخ ثم ذكر رواية عيسى بن طهمان عن أنس في ذلك وهو آخر ما وقع في الصحيح من ثلاثيات البخاري ، وقد تقدم لعيسى حديث آخر في اللباس لكنه ليس ثلاثيا ولفظه هنا " وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تقول : إن الله أنكحني في السماء " وزاد الإسماعيلي من طريق الفريابي وأبي قتيبة عن عيسى " أنتن أنكحكن آباؤكن " وهذا الإطلاق محمول على البعض ، وإلا فالمحقق أن التي زوجها أبوها منهن عائشة وحفصة فقط ، وفي سودة وزينب بنت خزيمة وجويرية احتمال ، وأما أم سلمة وأم حبيبة وصفية وميمونة فلم يزوج واحدة منهن أبوها ، ووقع عند ابن سعد من وجه آخر عن أنس بلفظ " قالت زينب يا رسول الله إني لست كأحد من نسائك ، ليست منهن امرأة إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها غيري " وسنده ضعيف من وجه آخر موصول عن أم سلمة " قالت زينب ما أنا كأحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم إنهن زوجن بالمهور زوجهن الأولياء ، وأنا زوجني الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله في الكتاب " وفي مرسل الشعبي " قالت زينب يا رسول الله أنا أعظم نسائك عليك حقا ، أنا خيرهن منكحا وأكرمهن سفيرا وأقربهن رحما فزوجنيك الرحمن من فوق عرشه ، وكان جبريل هو السفير بذلك ، وأنا ابنة عمتك وليس لك من نسائك قريبة غيري " أخرجه الطبري وأبو القاسم الطحاوي في "كتاب الحجة والتبيان " له .

قوله (من فوق سبع سماوات) في رواية عيسى بن طهمان عن أنس المذكورة عقب هذا " وكانت تقول إن الله عز وجل أنكحني في السماء " وسنده هذه آخر الثلاثيات التي ذكرت في البخاري ، وتقدم لعيسى

بن طهمان حديث آخر غير ثلاثي تكلم فيه ابن حبان بكلام لم يقبلوه منه ، وقوله في هذه الرواية " وأطعم عليها يومئذ خبزا ولحما " يعني في وليمتها ، وقد تقدم بيانه واضحا في تفسير سورة الأحزاب .

قوله (في رواية حماد بن زيد ، بعد قوله سبع سماوات ، وعن ثابت وتخفي في نفسك إلخ)

كذا وقع مرسلا ليس فيه أنس ، وقد تقدم من رواية يعلى بن منصور عن حماد بن زيد موصولا بذكر أنس فيه ، وكذلك وقع في رواية أحمد بن عبدة موصولا ، وأخرجه الإسماعيلي من رواية محمد بن سليمان لوين عن حماد موصولا أيضا وقد بين سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس كيفية تزويج زينب " قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذكرها علي " فذكر الحديث ، وقد أورده في تفسير سورة الأحزاب ، قال الكرماني قوله " في السماء " ظاهره غير مراد ، إذ الله منزه عن الحلول في المكان ، لكن لما كانت جهة العلو أشرف من غيرها أضافها إليه إشارة إلى علو الذات والصفات ، وبنحو هذا أجاب غيره عن الألفاظ الواردة من الفوقية ونحوها ، قال الراغب " فوق " يستعمل في المكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة والقهر ،

فالأول : باعتبار العلو ويقابله تحت نحو (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم)

والثاني : باعتبار الصعود والانحدار ، نحو (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) ،

والثالث : في العدد نحو (فإن كن نساء فوق اثنتين) ،

الرابع في الكبر والصغر ، كقوله (بعوضة فما فوقها) ،

والخامس : يقع تارة باعتبار الفضيلة الدنيوية ، نحو (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ، أو الأخروية نحو (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) ،

والسادس : نحو قوله (وهو القاهر فوق عباده - يخافون **ربهم من فوقهم**) انتهى ملخصا .." [١]

"والآصال (الرعد ٥١) وفي النحل عند قوله ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون (النحل ٩٤) وفي بني إسرائيل عند قوله ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (الإسراء ٩٠١) وفي مريم عند قوله إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (مريم ٨٥) وفي الأولى في الحج عند قوله ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض إلى قوله إن الله يفعل ما يشاء (الحج ٨٠) وفي الفرقان عند قوله وإذا قيل

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٩٧/٢٠

لهم اسجدوا للرحمن إلى قوله نفورا (الفرقان ٠٦) وفي النمل عند قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون (النمل ٥٢) وقال الشافعي ومالك عند قوله رب العرش العظيم (النمل ٦٢) وفي آلم تنزيل عند قوله إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا إلى لا يستكبرون (السجدة ٥١) وفي ص عند قوله فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (ص ٤٢) وبه قال الشافعي ومالك وروى عن مالك عند قوله وحسن مآب (ص ٥٢) وفي حم السجدة عند قوله فإن استكبروا فالذين عند ربك إلى وهم لا يسأمون (فصلت ٨٣) وبه قال الشافعي في الجديد وأحمد وقال في القديم عند قوله إن كنتم إياه تعبدون (فصلت ٧٣) وبه قال مالك وفي النجم عند قوله فاسجدوا لله (النجم ٢٦) وفي إذا السماء انشقت (الانشقاق ١) عند قوله فما لهم لا يؤمنون وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون (الانشقاق ١٢) وعند ابن حبيب المالكي في آخر السورة وفي اقرأ باسم ربك (العلق ١) عند قوله واسجد واقترب (العلق ٩١) وفي مختصر البحر لو قرأ واسجد (العلق ٩١) وسكت ولم يقل واقترب (العلق ٩١) تلزمه السجدة

٢ -(باب سجدة تنزيل السجدة)

أي هذا باب في بيان سجدة ألم تنزيل السجدة." [١]

"وصية يوصى بهآ أو دين ءابآؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما والرابع في الكبر والصغر كقوله إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذآ أراد الله بهاذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين والخامس يقع تارة باعتبار الفضيلة الدنيوية نحو أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيواة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون والأخروية نحو زين للذين كفروا الحيواة الدنيا ويسخرون من الذين ءامنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشآء بغير حساب والسادس نحو قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون

قوله وعن ثابت أي البناني وهو موصول بالسند المذكور قوله ما الله مبديه أي مظهره والذي كان أخفى في نفسه هو علمه بأن زيدا سيطلقها ثم ينكحها والله أعلمه بذلك والواو في وتخفي في نفسك وفي تخشى الناس للحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك والحال أنك تخفي في نفسك أن لا يمسكها وقال الزمخشري يجوز أن تكون واو العطف كأنه قيل وإذ تجمع بين قولك أمسك وإخفاء خلافه خشية الناس

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧١/١١

والله أحق أن تخشاه

٧٤٢١ - حدثنا (خلاد بن يحياى) حدثنا (عيسى بن طهمان) قال سمعت (أنس بن مالك) رضي الله عنه يقول نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش وأطعم عليها يومئذ خبزا ولحما وكانت تفخر على نساء النبي وكانت تقول إن الله أنكحني في السماء

مطابقته للجزء الثالث للترجمة وهو قول أبي العالية استوى إلى السماء وهنا قوله في السماء." (١)

"يوسف) الصنعاني (أن ابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز المكي (أخبرهم، قال: أخبرني) بالإفراد (أبو بكر بن أبي مليكة) بضم الميم وفتح اللام، عبد الله بن عبيد الله، واسم أبي مليكة: زهير بن عبد الله الأحول (عن عثمان بن عبد الرحمن) بن عثمان (التيمي) القرشي، (عن ربيعة بن عبد الله بن الهدير) بضم الهاء وفتح الدال المهملة وسكون المثناة التحتية ثم راء (التميمي) القرشي المدني التابعي الجليل، (قال أبو بكر) أي ابن أبي مليكة: (وكان ربيعة) بن عبد الله بن الهدير (من خيار الناس: عما حضر ربيعة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الجار متعلق: بأخبرني، والأول وهو

عن عثمان متعلق بمحذوف، لا بأخبرني، لأن حرفي جر بمعنى لا يتعلقان بفعل واحد، والتقدير: أخبرني أبو بكر راويا عن عثمان عن ربيعة عن قصة حضوره مجلس عمر أنه:

(قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة) ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠] (نزل) عن المنبر (فسجد) على الأرض (وسجد الناس) معه (حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها) أي بسورة النحل (حتى إذا جاء السجدة). ولأبي ذر: جاءت السجدة (قال: يا أيها الناس إنا) وللكشميهني: إنما بزيادة ميم بعد النون، (نمر بالسجود) أي: بآيته (فمن سجد فقد أصاب) السنة، (ومن لم يسجد فلا إثم عليه) ظاهر في عدم الوجوب. لأن انتفاء الإثم عمن ترك الفعل مختارا يدل على عدم وجوبه، وقد قاله بمحضر من الصحابة ولم ينكره عليه أحد، فكان إجماعا سكوتيا.

(ولم يسجد عمر رضي الله عنه وزاد نافع) مولى ابن عمر أي: وقال ابن جريج: أخبرني ابن أبي مليكة بالإسناد السابق أن نافعا زاد (عن ابن عمر رضي الله عنهما) مما هو موقوف عليه.

(إن الله لم يفرض السجود) ولأبي ذر: لم يفرض علينا السجود، أي: بل هو سنة.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧٧/٣٦

وأجاب بعض الحنفية بالتفرقة بين الفرض. والواجب، على قاعدتهم، بأن نفي الفرض لا يستلزم نفي الوجوب.
وأجيب: بأن انتفاء الإثم عن الترك مختارا يدل على الندبية.
(إلا أن نشاء) السجود فالمرء مخير: إن شاء سجد، وإن شاء ترك. وحينئذ فلا وجوب.
وادعاء المزي كالحميدي: أن هذا معلق غير موصول: وهم، ويشهد لاتصاله أن عبد الرزاق قال في مصنفه، عن ابن جريج: أخبرني أبو بكر بن أبي مليكة ... فذكره، وقال في آخره: قال ابن جريج: وزادني نافع عن ابن عمر أنه قال: لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء. وكذلك رواه الإسماعيلي والبيهقي وغيرهما، قاله في الفتح.

١١ - باب من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها

(باب من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها) أي بتلك السجدة لا يكره له ذلك خلاقا لمالك حيث قال بكراهة ذلك في الفريضة الجهرية والسرية منفردا، وفي جماعة وسقط لفظ: بها، للأصيلي.
١٠٧٨ - حدثنا مسدد قال: حدثنا معتمر قال: سمعت أبي قال: حدثني بكر عن أبي رافع قال: "صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد، فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم -صلى الله عليه وسلم-، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه".

وبه قال: (حدثنا مسدد) هو: ابن مسرهد (قال: حدثنا معتمر) بضم الميم الأولى وكسر الثانية، ابن سليمان التيمي (قال: سمعت) ولأبي ذر: حدثني بالإفراد (أبي) سليمان بن طرخان التيمي (قال: حدثني) بالإفراد أيضا (بكر) هو: ابن عبد الله المزني (عن أبي رافع) نفيع (قال):
(صليت مع أبي هريرة) رضي الله عنه، (العتمة) أي: صلاة العشاء (فقرأ) سورة (﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد) أي: عند آخر السجدة منها.
(فقلت) له: (ما هذه) السجدة التي سجدتها في الصلاة. (قال: سجدت بها خلف أبي القاسم، -صلى الله عليه وسلم-)، أي: داخل الصلاة، كما في رواية أبي الأشعث عن معمر (فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه) أي: حتى أموت.
ورواة هذا الحديث كلهم بصريون، وفيه: التحديث والعنعنة والقول، وأخرجه المؤلف أيضا في الصلاة، وكذا مسلم وأبو داود والنسائي.

١٢ - باب من لم يجد موضعا للسجود من الزحام

(باب من لم يجد موضعا للسجود من الزحام) ولأبوي ذر، والوقت، والأصيلي: للسجود مع الإمام من الزحام.

١٠٧٩ - حدثنا صدقة قال: أخبرنا يحيي عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ السورة التي فيها السجدة، فيسجد ونسجد، حتى ما يجد أحدنا مكانا لموضع جبهته".

وبالسند قال: (حدثنا صدقة) ولأبوي ذر، والوقت، والأصيلي: صدقة بن الفضل (قال: أخبرنا يحيى) القطان، ولأبي ذر، والأصيلي: يحيى بن سعيد (عن عبيد الله) بضم العين. ابن عمر بن حفص العمري (عن نافع، عن ابن." [1]

"استعمال في بمعنى فوق وقد قال تبارك وتعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾

وقال ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾

وأطلق المسلمون أن الله تعالى فوق خلقه كان حمله على أولى وعليه يتأول أيضا قوله ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾

أي هو فوق السماء إله وفوق الأرض إله

أنشد بعضهم هم صلبوا العبدى في جذع نخلة معناه على جذع نخلة

واعلم أنا إذا قلنا إن الله عز وجل فوق ما خلق لم يرجع به إلى فوقية المكان والإرتفاع على الأمكنة بالمسافة والإشراف عليها بالممارسة لشيء منها بل قولنا إنه فوقها يحتمل وجهين

أحدهما أنه يراد به أنه قاهر لها مستول عليها إثباتا لإحاطة قدرته بها وشمول قهره لها وكونها تحت تدبيره جارية على حسب علمه ومشيئته

والوجه الثاني أن يراد أنه فوقها على معنى أنه مباين لها بالصفة والنعت وأن ما يجوز على المحدثات من العيب والنقص والعجز والآفة والحاجة لا يصح شيء." [2]

"وكذلك قوله العلي العظيم والكبير المتعال ورفيع الدرجات ذو العرش ويخافون ربهم من فوقهم والجهمي يزعم أنه أسفل وقال جل ذكره يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه وقوله تعرج الملائكة

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٨٧/٢

(٢) مشكل الحديث وبيانه ابن فورك ص/١٧٣

والروح إليه وقال لعيسى إني متوفيك ورافعك إلي وقال بل رفعه الله إليه وقال فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وقال ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقال ليس له دافع من الله ذي المعارج والعروج هو الصعود وأما قوله تعالى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم فمعناه من على السماء يعني على العرش وقد يكون في بمعنى على ألا ترى إلى قوله تعالى فسيحوا في الأرض أربعة أشهر أي على الأرض وكذلك قوله لأصلبنكم في جذوع النخل وهذا كله يعضده قوله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب." [1]

"الآية الأولى:

قوله: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ الآية (١)، اعلم أنه لم يرد به مجيء الانتقال والاتيان.

وقال بعض العلماء (٢): إن الواو هاهنا بمعنى الباء.

ومنهم من قال: جاء أمر ربك وحكمه، يريد أمر الله في القيامة وما يختص به ذلك (٣).

وقال آخر: يحتمل وجاء ربك بالملائكة، فيكون المجيء للملائكة.

وتحقيق القول في هذا: أن كل فعل يضاف إلى الله تعالى مما يتعلق بأبداننا يتعالى الله عنه، وانما المراد به مخلوقاته، وذلك جائز من وجهين:

إما بأن يفعل فعلا فيسمى إتيانا.

وإما أن تأتي الملائكة بآمره، كما قال الله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ (٤) بخفض الهاء وبرفعها، فبرفعها يكون الفعل المسمى إثباتا مخصوصا بالظلل. وبكسرها يكون الفعل المسمى إثباتا عاما فيه (٥).

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ (٦) قال علماؤنا (٧): المراد به م ن فوقها، فإذا كان ظاهرا في اللغة استعمال "في" بمعنى "فوق" وقد قال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (٨) وقال: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ الآية (٩)، وقد أطلق المسلمون على (١٠) أن

---

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) هذا القول والذي بعده نقلهما المؤلف من مشكل الحديث لابن فورك: ٨٢.

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٧/١٣٠

(٣) تتمة الكلام كما في المشكل: " ... ذلك الوقت من أمره المخصوص وحكمه الذي لا يقع فيه بالدعاء والنداء".

(٤) البقرة: ٢١٠.

(٥) جـ: "فيها".

(٦) الملك:١٦

(٧) المراد هو الإمام ابن فورك في مشكل الحديث: ٦٤.

(٨) الأنعام: ١٨.

(٩) النحل:٥٠.

(١٠) "على" غير واردة في مشكل الحديث.." [1]

"الأرواح ولذا قال الخليل: إن الدنيا بأسرها لا تسع [٤/ ١٢١] متباغضين وإن شبرا في شبر يسع المتحابين. (خط (١) عن أنس) رمز المصنف لضعفه ورواه عنه الديلمي.

٧٩١١ - "ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. (حم) عن أنس (ح) ".

(ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار) هذا اللفظ من كلام جبريل كما في رواية ابن أبي الدنيا (٢) في "كتاب الخائفين" من حديث ثابت عن أنس بإسناد قال زين الدين العراقي (٣): إنه جيد ولفظه: أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل: "ما لي لا أرى ميكائيل يضحك" قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وذلك من مخافة أن يغضب الله عليه فيعذبه بها، وقد وصف الله ملائكته بمخافته ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠] إلا أنه قد عارضه حديث الدارقطني أنه - صلى الله عليه وسلم - تبسم في الصلاة فلما انصرف سئل عنه فقال: "رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار يضحك إلي فتبسمت إليه" وأجاب السهيلي (٤): بأن المراد لم يضحك منذ خلقت النار إلا تلك المرة أو أنه حدث بالحديث الأول ثم حدث بعد بما حدث من ضحكه إليه.

قلت: ويحتمل أنه ما ضحك حتى بعث - صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله عليه ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ [البقرة: ٩٨] فعلم مكانه من الله فذهب خوفه فضحك بعد ذلك كما قاله جبريل لما قال له - صلى الله عليه وسلم - وقد نزل: ﴿وما أرسلناك﴾

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٣/٤٥٦

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ٢٢٦)، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٦٢٣١)، وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٩٠) وقال: موضوع.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر النار (١٠٨)، وصفة النار (٢١٩)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٥١١).
(٣) تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ٨٢).
(٤) انظر: الروض الأنف (٢/ ٢٠٨)، وسبل الهدى والرشاد (٣/ ١٤٢ - ١٤٢).." [١]

"عليه بالضعف وربما أخطأ أو وهم كما يخطىء غيره ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به

وقال أحمد بن عبد الله العجلي بن إسحاق ثقة

وقد استشهد مسلم بخمسة أحاديث ذكرها لابن إسحاق في صحيحه

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث بن إسحاق حدثنا سعيد بن عبيد بن السباق عن أبيه عن سهل بن حنيف قال كنت ألقى من المذي شدة فأكثر الاغتسال منه الحديث

قال الترمذي هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث بن إسحاق فهذا حكم قد تفرد به بن إسحاق في الدنيا وقد صححه الترمذي

فإن قيل فقد كذبه مالك فقال أبو قلابة الرقاشي حدثني أبو داود سليمان بن داود قال قال يحيى بن القطان أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب قلت وما يدريك قال قال لي وهيب فقلت لوهيب وما يدريك قال قال لي مالك بن أنس فقلت لمالك وما يدريك

ـــQوقال حافظ المغرب إمام السنة في وقته أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابيه التمهيد والاستذكار في شرح حديث مالك عن بن شهاب عن الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي قال ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا الحديث

قال أبو عمر وهذا لفظه في الاستذكار فيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله تعالى في كل مكان وليس على العرش والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قول الله عز وجل ﴿الرحمن على العرش

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني 9/٤٠٨

استوى﴾ وقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ وقوله تعالى ﴿إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقوله ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ وقال ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ وقال ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وهذا من العلو وكذلك قوله ﴿العلي العظيم﴾ و ﴿الكبير المتعال﴾ و ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾

وقال جل ذكره ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ وقوله ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقوله لعيسى ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ وقوله ﴿بل رفعه الله إليه﴾

وقال ﴿فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار﴾ وقال ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾ وقال ليس له دافع من الله ذي المعارج والعروج هو الصعود وأما قوله ﴿أأمنتم من في السماء﴾ فمعناه من على السماء يعني على العرش وقد تكون في بمعنى على ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي على الأرض

وكذلك قوله ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي على جذوع النخل

وهذا كله يعضده قوله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وما كان." [١]

"(من عمر بن الخطاب رضي الله عنه) أي: مجلسه رضي الله عنه، أنه (قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة) أي: آيتها، وهي قوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون*يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠] (نزل) من المنبر (فسجد) على الأرض (وسجد الناس) معه (حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها) أي: بسورة النحل أيضا (حتى إذا جاء السجدة) وفي رواية: [٢](قال: يا أيها الناس إنا) وفي رواية: [٣]بالميم بعد النون (نمر بالسجود) أي: بآية السجود (فمن سجد فقد أصاب) السنة.

(ومن لم يسجد فلا إثم عليه) قالوا: هذا صريح في عدم الوجوب، وهذا كان بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم، ولم ينكر عليه أحد، فكان إجماعا سكوتيا على ذلك، والجواب عنه المنع لم لا يجوز أن يكون معناه، فمن سجد فقد أصاب حيث أدى الواجب على الفور، ومن لم يسجد على الفور فلا إثم عليه في تأخيره من ذلك الوقت.

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١٣/١٩

(٢) جاءت السجدة

(٣) إنما

(ولم يسجد عمر رضي الله عنه) أي: في ذلك الوقت لعارض مثل انتقاض الوضوء أو للإشارة إلى أنه ليس على الفور. وقد روي عن عمر رضي الله عنه ما يؤكد ما ذهبنا إليه من الوجوب، وهو ما رواه الطحاوي: نا أبو بكرة قال: نا أبو داود وروح قالا: نا شعبة قال: أنبأني سعد بن إبراهيم، قال: سمعت ابن أخت لنا يقال له: عبد الله بن ثعلبة قال: صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبح فيما أعلم، ثم قال سعد: صلى بنا الصبح فقرأ الحج، وسجد فيها سجدتين. وأخرجه ابن أبي شيبة

[ج ٥ ص ٤١١]

في «مصنفه» عن غندر عن شعبة ... إلى آخره نحوه.

وهذا الحديث من أفراد البخاري رحمه الله، وفي إسناده توثيق أحد الرواة شيخ شيخه الذي روى عنه، وفيه رواية ثلاثة من التابعين بعضهم عن بعض وهم أبو بكر وعثمان وربيعة، وفيه أن عثمان بن عبد الرحمن من أفراد البخاري، ورواه أبو نعيم من حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج من طريقين.." [١]

"٢٥ - (باب) فضل (الخوف من الله) عز وجل، وهو من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨]، وقد تقدم حديث: ((أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية)) [خ¦٦١٠١]، وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه.

وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠]، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وإنما كان خوف المقربين أشد؛ لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم، فيراعون تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيما فخوفه من سوء العاقبة؛ لقوله تعالى: ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال: ٢٤] أو نقصان الدرجة السنية، وإن كان مائلا فخوفه من سوء فعله، وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع، فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها، وأن يحرم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله في من يغفر له.

ويدخل في هذا الباب الحديث الذي قبله، وفيه أيضا: ((ورجل دعته امرأة ذات جمال ومال فقال: إني أخاف الله)) [خ¦٦٦٠]. وحديث الثلاثة أصحاب الغار: فإن أحدهم الذي عف عن المرأة خوفا من الله، وترك لها المال الذي أعطاها، وقد تقدم بيانه في «ذكر بني إسرائيل» من «أحاديث الأنبياء» [خ¦٣٤٦٥].

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٤٤٦٠

==========

[ج ٢٧ ص ٢١٣]

==================." (١)

"٧٤٢١ - (حدثنا خلاد بن يحيى) بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وبالدال المهملة، ابن يحيى السلمي _ بضم السين المهملة وفتح اللام _ الكوفي ثم المكي، قال: (حدثنا عيسى بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء البكري البصري (قال: سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه تقدم أن هذا الحديث من ثلاثيات البخاري وهو الحديث الثالث والعشرون وهو آخر ثلاثياته (يقول: نزلت آية الحجاب) وهي: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ [الأحزاب: ٥٣]. الآية (في زينب بنت جحش) رضي الله عنها (وأطعم عليها) أي: على وليمتها (يومئذ) الناس (خبزا ولحما) كثيرا (وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تقول: إن الله) عز وجل (أنكحني) به صلى الله عليه وسلم (في السماء) حيث قال تعالى: ﴿زوجناكها﴾ [الأحزاب: ٣٧] والله تعالى منزه عن المكان والجهة فالمراد بقولها: «في السماء»، الإشارة إلى علو الذات و ا لصفات وليس ذلك باعتبار أنه محله وجهته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولما كانت جهة العلو أشرف أضافت إليها مجازا.

وقال الراغب: فوق يستعمل في المكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة والقهر. فالأول باعتبار العلو ويقابله تحت نحو ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ [الأنعام: ٦٥]. والثاني: باعتبار الصعود والانحدار نحو ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ [الأحزاب: ١٠]. والثالث: في العدد نحو: ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ [النساء: ١١]. والرابع: في الكبر والصغر كقوله: ﴿بعوضة فما فوقها﴾ [البقرة: ٢٦]. والخامس: يقع تارة باعتبار الفضيلة الدنيوية نحو: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ [الزخرف: ٣٢]. أو الأخروية نحو: ﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾ [البقرة: ٢١٢]. والسادس: نحو قوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿يخافون **ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠].." (٢)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٣٠٥

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٥١٧٧

"إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ (هود: ٦٩، ٧٣).

روى مسلم بسنده عن عائشة –رضي الله عنه–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم، ومسكنهم السماء، ويتنزلون منها بأمر الله)) روى البخاري بسنده عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال لجبريل: ((ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا قال: فنزلت ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾ (مريم: ٦٤).

ومن الأمور المتعلقة بالإيمان بالملائكة أيضا أن نؤمن بأن الله خلقهم قبل الإنسان وقد أخبرهم الله تعالى بأنه سيخلق الإنسان أي آدم وأنه سيجعله خلفته فهم موجودون من قبل آدم –عليه السلام– قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة: ٣٠) ويتعلق بالإيمان بهم أيضا أن نؤمن بأن الله تعالى جبلهم أي خلقهم مجبولون على الطاعة التامة له، والخضوع لله ولجبروته، والقيام بأوامره، وأنهم يتصرفون في شئون العالم بإرادة الله ومشيئته فهو سبحانه يدبر ملكه، وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم. قال تعالى عن الملائكة: ﴿يخافون **ربهم من فوقهم** ويفعلون ما يؤمرون﴾ (النحل: ٥٠).

وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون﴾ فوصفهم الحق بأنهم عباد مكرمون، وقالوا –أي قال الكفار– ﴿اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم." (١)

"يقتضي منه ألا يكون مستكبرا، فهو مع فقره يستكبر على الناس فدل الكبر هنا على أنه شيء تأصل فيه، وأنه بالغ في ذلك الوصف حتى نسي نفسه ونسي أنه فقير محتاج.

وأبان الله –تبارك وتعالى– أنه لا يؤمن بآيات الله عند تذكيره بها إلا الذين يخضعون لربهم، ويسبحون بحمده، وهم لا يستكبرون؛ فلا يمنعهم كبر في صدورهم عن الخضوع لله والتسبيح بحمده، فالمتكبر هو الذي يأنف أن يسجد لله، ويتكبر على أن يحمد الله، هذا المتكبر لا يأمن بآيات الله إذا ذكر بها؛ قال تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافى

---

(١) الحديث الموضوعي – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٥٨

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ (السجدة: ١٥، ١٦) صدق الله العظيم، فدل بهذا على أن عامل الكبر أخطر العوامل الصارفة عن الإيمان بالله وبآياته.

وأثنى الله تعالى على الملائكة بأنهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم؛ فقال -تبارك وتعالى- في سورة "الأعراف": ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ (الأعراف: ٢٠٦)، وقال تعالى في سورة "النحل": ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (النحل: ٤٩، ٥٠) فأظهر وصف هنا في هذه الآيات للملائكة أنهم وصفوا بأنهم غير متكبرين، لا يستكبرون عن عبادة الله، ولا عن الخضوع والسجود لله، فهم متواضعون وهكذا يجب أن يكون شأن المسلم.

وروى مسلم في (صحيحه) عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبه من خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)) فدلت هذه الأقوال النبوية على أن." [١]

(١) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٦١